إقليم كوردستان– العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صلاح الدين – أربيل

خصائصُ أولي العزمِ مِن الرُّسلِ وأوصافهم في القُرآنِ الكريمِ - دِراسة في الدَلالةِ التركيبيةِ

رسالة
مقدَّمة إلى مجلس كلية اللغات - جامعة صلاح الدين - أربيل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية - اللغة

من قبل
سردار أحمد قادر - بكالوريوس في اللغة العربية- جامعة صلاح الدين- ٢٠٠٤

بإشراف

الأُستاذ الدكتور عز الدين محمد أمين سليمان

نوروز ٢٧١١ الكورديَّة　　جمادى الأولى ١٤٣٢ الهجريَّة　　آذار ٢٠١١ الميلاديَّة

شكر وعِرفان

يُملي عليَّ واجب الوفاء أنْ أشيدَ بِدورِ أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور (**عز الدين محمد أمين سليمان**) فكان بِحقٍ مُعلِّماً وموجِهاً، وأخاً كبيراً، يرسُمُ الخُطى ويسدِّدُها، فكانَ لَهُ الفضلُ في مُتابعةِ خطواتِ العملِ في الرِسالةِ، وصَرفَ لها جُهدَهُ ووقتَهُ ومعرِفتَهُ كيما أكتُبَها بِصورتِها الماثِلةِ بين أيدي قُرَّائِها، فجزاهُ اللهُ عني خيرَ جزاء، كما ينبغي أنْ لا أنسى فضلَ عمَّادة كُليَّة اللغات بجامعة صلاح الدين – أربيل، وقسم اللغة العربية، وأساتِذة القسم، فهم الذين نوَّروا لي سُبُلَ الخيرِ والمعرِفةِ، كما أشكرُ الأخ العزيز ((سەركەوت میران)) لتزويدِهِ إيَّاي بِمصادرَ ومراجعَ قيِّمة تخُص البحث، ولعائلتي الفضلُ الكبيرُ لِتحمُّلِها العناءَ والمشقَّة طوال رِحلة البحثِ، فلهُم مني جميعاً شُكري الجزيل ودعائي المُجاب – إنْ شاءَ الله – إنَّهُ نِعمَ المولى ونِعم النصير.

سردار

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المُقدَّمة	١-٢
التمهيد: مدخلٌ تعريفي بالتركيب الدَّالِ على الوصفِ.	٣-١٩
الفصل الأوّل: التراكيب الدالّة على وصف سيِّدِنا نوح (عليه الصلاةُ والسلام):	٢٠-٣٥
الوصف المفرد في التركيب الاسمي المبدوء بـ (لكِنَّ) الاستدراكية	٢٠
الوصف الثنائي الواقع في التركيب الشرطي	٢٣
الأوصاف الثنائية الواقعة في التراكيب الاسمية المؤكدة	٢٦
الوصف الثنائي الواقع في التركيب الاسمي الحصري	٣٤
الفصل الثاني: التراكيب الدالّة على وصف سيِّدِنا إبراهيم (عليه الصلاةُ والسلام):	٣٦-٥٣
الوصف المُفرد الواقع مفعولاً به في التركيب الاسمي	٣٦
الوصف الثنائي الواقع خبراً مُكرراً في التركيب الفعلي	٤٠
الوصف المتعدد الواقع أخباراً في التركيب الاسمي المؤكد	٤٢
الوصف المُفرد الواقع حالاً في التركيب الفعلي	٤٦
الوصف المفرد الواقع نعتاً بصلة في التركيب الفعلي	٤٩
الوصف المتكرر في تركيب فعلي مُنزاح	٥١
الفصل الثالث: التراكيب الدالّة على وصف سيِّدِنا موسى (عليه الصلاةُ والسلام):	٥٤-٦٦
الوصف المفردِ الواقع فعلاً في التركيب الفعلي	٥٤
الوصف الثنائي الواقع حالاً في التركيب الفعلي	٥٦
الوصف المفرد بالجملة الواقعة حالاً في التركيب الفعلي	٦٠
الوصف المفرد الواقع خبراً لمبتدأ محذوف في تركيب اسمي	٦٣
الوصف المفرد الواقع خبراً في تركيب النداء	٦٧
الفصل الرابع: التراكيب الدالّة على وصف سيِّدِنا عيسى (عليه الصلاة والسلام):	٧١-٩٣
الوصفُ المتعددُ الواقعِ في تركيب النداء	٧١
الوصف المتعدد في صيغ وتراكيب مختلفة	٨٠
الوصف المتعدد في التركيب الاسمي المؤكد	٨٩

الفصل الخامس: التراكيب الدالّة على وصف سيِّدِنا مُحمد (صلى الله عليه وسلم):	**٩٤–١١٠**
الوصف المُفرد الواقع فعلاً في التركيب الفعلي	**٩٤**
الوصف المُفرد الواقع فاعلاً في التركيب الفعلي	**٩٦**
الوصف الثنائي الواقع خبراً أو حالاً في التركيب الاسمي	**٩٨**
الوصف المُفرد الواقع خبراً في التركيب الاسمي	**١٠١**
الوصف المُفرد الواقع خبراً في التركيب المؤكد أو المحصور بـ (إنَّما)	**١٠٤**
الوصف المتعدد في ثنائيات متضادة، والواقع في تركيب استفهامي	**١٠٧**
نتائِجُ البحثِ.	**١١١**
ثبت المصادر والمراجع.	**١١٤–١٣٠**
خلاصة باللغة الكوردية	**I-II**
خلاصة باللغة الإنجليزية.	**A-B**

المُقدَّمةُ

بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

المُقدَّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِنا محمدٍ، خاتَمِ الأنبياءِ والمرسلينَ وعلى آلِهِ وصحبِهِ الطيبينَ الطاهرينَ، وعلى مَن تَبِعَهُم بِإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أمَّا بَعدُ: فيحقُّ للباحثِ في مجالِ الدراساتِ القرآنيةِ أنْ يعتمِدَ منهجاً تحليلياً موازناً يلتمسُ فيهِ الحقائقَ من جذورِها، فالدراساتُ القرآنيةُ من أوسعِ الدراساتِ مساحةً وسُبُلاً، ولا ريبَ في قيامِ العلومِ والمعارفِ في العربيةِ لِخدمةِ القُرآنِ الكريمِ الذي لا تنقضي عجائبُهُ، ويكفي أنْ نقولَ: إنَّ هذهِ العلومَ – مُنذُ نزولِ القُرآنِ الكريمِ إلى يومِنا هذا – لَم تَدرسْ سوى الجُزءِ القليلِ من أسرارِهِ، لِما يحوي من فنونِ القولِ، ولِما ينفردُ بِهِ من سموِّ الأساليبِ ومعجزِ التراكيبِ، ومن رؤى فكريةٍ مُتجددةٍ لِتوافقَ تطوراتِ الفكرِ البشري على مرِّ الزمانِ وكرِّ الحقبِ. لِذا فسيبقى العُلماءُ والباحثونَ يطيلونَ الوقوفَ بينَ يديهِ، ويدققونَ النظرَ في جوانبِهِ المُضيئةِ الباهرةِ على تعدُّدِها، يتأملونَ معانيَهُ، ويتذوقونَ أساليبَهُ، ويستكنهونَ ما تشتملُ عليهِ آياتُهُ من روائعِ النظمِ، وعجيبِ التراكيبِ، ورفيعِ المعاني والدلالاتِ والمقاصدِ.

وفي إطارِ ما ذكرناهُ اخترنا موضوعَ: ((خصائص أولي العزمِ من الرُّسُلِ وأوصافِهم في القُرآنِ الكريمِ/ دراسة في الدَلالة التركيبية)) ليكونَ رسالتَنا للحصولِ على الماجستيرِ في اللغةِ العربيةِ، ولِيُظهِرَ جانباً من الجوانبِ الكثيرةِ في القُرآنِ الكريمِ التي تنتظرُ الدراسةَ، وسنجري فيهِ على هدي المنهجِ اللغوي التحليلي لِهذهِ التراكيبِ ضمنَ سياقاتِها، وقد أردنا لِعملِنا هذا أنْ يَنْشطَ في الدائرةِ القُرآنيةِ نشاطاً واسِعاً، نرصُدُ فيهِ التراكيبَ الدالَّةَ على وصفِ أولي العزمِ من الرُّسُلِ في نصوصِ الآي بدقةٍ وأناةٍ لِنجدَ بين أيدينا ما يُساعِدُنا على تمثُّلِ قضايا هذا الموضوعِ، واستيعابِ أبعادِهِ الأسلوبيةِ بِكُلِّ مقاصدِها ودلالاتِها القُرآنيةِ. ونحنُ في كُلِّ ما قُلناهُ لَم ننطلِقْ في البدءِ من أنفُسِنا، بل من الدراساتِ القُرآنيةِ الضخمةِ التي قدَّمها اللغويونَ والنحاةُ والمفسرونَ، الذينَ شقُّوا لنا الأفكارَ، ومنحونا مداخِلَ النظرِ الجديدِ في النصِ القُرآني كُلٌّ من وجهتِهِ، فضلاً عمَّا أحدثَهُ دارسو القرآنِ المعاصرونَ من أفكارٍ وتصوراتٍ وملحوظاتٍ أفادتنا فوائدَ طيِّبةً.

وقد اقتضى منهجُ البحثِ أنْ يكونَ في تمهيدٍ وخمسةِ فصولٍ وخاتمةٍ، ورأينا أنْ يكونَ التمهيدُ بِعنوانِ: ((مدخل تعريفي بالتركيبِ الدالِّ على الوصفِ))، لأنَّنا لَم نُردْ أنْ يكونَ أكثرَ من مِهادٍ نظريٍّ لِطبيعةِ فهمِنا لِدراسةِ اللُّغةِ والتركيبِ الدالِّ على الوصفِ من حيثُ جُزئياتُهُ المتمثِّلةُ بالصيغِ المُختلفةِ، ووظائِفِها الوصفيَّةِ المُرتَّبةِ على مُرتكزِ ((الوحدةِ الإسناديَّةِ)) المولِّدةِ لحركيَّةِ العناصرِ اللُّغويةِ المُشكِّلةِ

للتركيبِ لتأتيَ بعدَهُ الفصولُ الخمسةُ بِحسَبِ التقسيمِ الخُماسي بِعددِ أولي العزمِ من الرُّسُلِ، مُرتَّبةً بِحسبِ الأقدميَّةِ، فنسَّقنا هذهِ الفصولِ بالعنواناتِ الآتيةِ:

- الفصلُ الأولُ: التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ سيِّدِنا نوحٍ (عليهِ الصلاةُ والسلام).
- الفصلُ الثاني: التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ سيِّدِنا إبراهيمَ (عليهِ الصلاةُ والسلام).
- الفصلُ الثالثُ: التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ سيِّدِنا موسى (عليهِ الصلاةُ والسلام).
- الفصلُ الرابعُ: التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ سيِّدِنا عيسى (عليهِ الصلاةُ والسلام).
- الفصلُ الخامسُ: التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ سيِّدِنا محمدٍ (صلى اللهُ عليهِ وسلم)، أمَّا التقسيماتُ الثانوية المُترتبة ضِمن الفصول الخمسة بنحو: الوصف المُفرد، والوصف الثُنائي، والوصفِ المُتعدد، فالمقصودُ بالمفرد هو أنَّ التركيبَ قد تضمنَ وصفاً واحِداً، والمقصود بالثنائي هو تضمن التركيب وصفينِ اثنينِ، والمتعدد هو تضمن التركيب أكثر من وصفينِ. وقد حاولنا في هذهِ الفصولِ الخمسةِ رصدَ التراكيبِ الواصِفةِ لأولي العزمِ من الرُّسُلِ موزَّعةً بِحسبِ الفصائِلِ النحويةِ، وبدأنا في التأسيسِ للدرسِ بِذكرِ الآيةِ السابِقةِ للنزولِ قبلَ الآيةِ اللاحِقةِ التي تضمَّنت التركيبَ الواصِفِ. ونحنُ في كُلِّ ما قُلناهُ لا ندَّعي الكمالَ، فالكمالُ للهِ وحدَهُ، غيرَ أنَّنا نقولُ: إنَّنا لَم نُقصرْ في هذهِ الدراسةِ في خدمةِ القُرآنِ الكريمِ. وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

الباحث

التمهيد

التمهيد

مدخلٌ تعريفي بالتركيب الدَّالِ على الوصفِ.

تُوَصفُ اللغةُ بِأنَّها ظاهرةٌ اجتماعيةٌ ينبغي دراستُها في ضوءِ عَلاقَتِها بِالمُتحدِثينَ بِها ومشاعِرِهِمِ النفسيةِ[١]، وقد عبَّرَ عنها "ابن جني (ت٣٩٢هـ)": بِأنَّها ((أصواتٌ يُعبِّرُ بِها كُلّ قومٍ عنْ أغراضِهم))[٢]، وذهَبَ "ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)": إلى أنَّها ((عِبارةٌ عمَّا يتواضعُ القومُ عليهِ مِنْ الكلام))[٣]، فهي في جوهرِها ((شكلٌ من أشكالِ السلوكِ الاجتماعي، ذلكَ أنَّها لا تكونُ إلاَّ حيثُ يكونُ المجتمعُ، ومِن ثَمَّ يُمكِنُ فَهْمُها بِوصفِها ظاهرةٌ اجتماعيةٌ))[٤]، فَكمَا أنَّ وظيفةَ الجِسمِ الإنساني تحقيقُ الوجودِ البيولوجي للفردِ، نَجِدُ أنَّ وظيفةَ اللغةِ هي تحقيقُ الوجودِ الاجتماعي للفردِ نَفسِهِ[٥]، لأنَّها أداةٌ للتواصلِ بَينَ بَني البَشَرِ، فهي ظاهرةٌ تداوليةٌ بِامتيازٍ. صحيحٌ أنَّ الوقائعَ لانهائيةٌ، ومَعَ ذلكَ ((فإنَّ كُلَّ لغةٍ تَمْتلِكُ إمكانيةَ التعبيرِ عن هذه الوقائعِ لتحقيقِ التواصلِ))[٦]، والإمكانيةُ هذهِ قد جعلتْها تَنفُذُ إلى كلِّ جوانبِ الحياةِ، فهي نشاطٌ اجتماعيٌ، يقومُ بِما يُسميهِ "سابير" بالتشاركِ الاجتماعي communion وهي التي تفصحُ عن العلاقاتِ الشخصيةِ والقيمِ الحضاريةِ والاجتماعيةِ، بَلْ لعلَّها الوسيلةُ الوحيدةُ للإفصاحِ عن هذه العلاقاتِ، وتلكَ القيمِ[٧]، فاللغةُ بِهذا ((تواصلٌ لا اتصالٌ فقط))[٨]، لأنَّ الحياةَ لا تَستقيمُ بِبَثٍ من طرفٍ واحدٍ، بَلْ لا بُدَّ أنْ نتبادلَ معَ الآخرينَ مَشاعرهم، وأفكارهم، واقتراحاتهم، ويكونُ ((التواصلُ)) لا ((الاتصالُ)) وَحْدَهُ سبيلَ ذلكَ، وتكونُ اللغةُ هي الأداةُ التي تُحدِثُ ذلكَ وتُؤديهِ، فَمِن سِماتِ التواصلِ أنَّهُ مُتعددُ الجِهاتِ، مُتكَرِرُ الحدوثِ[٩]، وقد أطلقَ "مالينوفسكي" على هذهِ الوظيفةِ مُصطلَحَ: ((التواصلُ الوُدي)) phaticcommunion، وهو نوعُ الحديثِ الذي يَتجاذَبُ الناسُ أطرافَهُ للتعارفِ

---

(١) علم اللغة العام: ٢٤.

(٢) الخصائص: ٣٣/١.

(٣) سر الفصاحة: ٤٨.

(٤) اللسانيات الاجتماعية عند العرب: ٥٤

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٤.

(٦) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته: ٣٤٥.

(٧) اللسانيات الاجتماعية عند العرب: ٢٥، والمعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية: ٥١.

(٨) اللسانيات/ المجال، والوظيفة، والمنهج: ٦٧٦.

(٩) م . ن: ٦٧٦– ٦٧٧.

والتواصلِ[1]، فاللغةُ قادرةٌ على أنْ تكشِفَ كلَّ المشاعِرِ والأفكارِ، ذلكَ أنَّها لم تَنْكشِفْ لصاحبِها إلاَّ بطريقِ اللغةِ[2]، وهي التي تُزيحُ الستارَ، وتَكشِفُ خَفيَّاتِ الأمورِ لأبناءِ المُجتمَعِ الإنساني، لأنَّ دائرةَ الأفكارِ غامضةُ المُحتوى[3]، أو أنَّ اللغةَ موجودةٌ على هيئةِ ذخيرةٍ من الانطباعاتِ مخزونةٍ في دماغِ كلِّ فردٍ من أفرادِ مُجتمعٍ معينٍ[4]، وهي كَذلكَ تَرجُمانٌ لِما يدورُ في الذهنِ من أفكارٍ، والوسيلةُ الاجتماعيةُ التي يُمكنُ بها أنْ تَخرُجَ الفكرة الذهنية غير الملموسة إلى حيِّزِ الوجودِ والتداولِ[5]. فكُلُّ ما سَبَقَ عن اللغةِ إشارةٌ إلى أنَّ كُلَّ ما تَمتَلِكُهُ اللغةُ من الإمكانياتِ هي كامنةٌ في حيزِ الكمونِ والسُباتِ بينِ طيَّاتِ العقلِ واللغةِ، وهي كما يقولُ "براتراند راسل": ((ليستْ عادةً جسميةً))[6]، والَّذي يُجسِّدُ إمكانياتِ اللغةِ الكامنةِ هو الاستعمالُ، هو الأداءُ، وهو الكلامُ بِنوعَيهِ: السمعي النُطقي والبصري الكتابي[7]، وما يُحدِثُ الكلامَ هو المواقفُ والمقاماتُ المختلفةُ، وأنَّ نظامَ اللغةِ للمقاماتِ المُستَكن في الذهنِ في نماذجٍ سياقيةٍ يَعملُ على تطويعِ هذهِ النماذجِ للمقاماتِ والمواقفِ المُختلفةِ[8]، ونظامُ اللغةِ المُحَقِقِ لعمليةِ الكلامِ أو ما تُسمَّى بالدلالةِ اللغويةِ التي غايَتُها الإفهامُ – هو المُتمَثِلُ في الصوتِ والصرفِ والمُعجمِ والنحوِ الدَلالي، تِلكَ حلقاتٌ لا تَنْفصِمُ[9]، يقولُ "دي سوسور" كاشِفاً عن العلاقةِ بينَ اللغةِ والكلامِ: إنَّ اللغةَ والكلامَ يَعتمِدُ أحدُهُما على الآخرِ، فإنَّ اللغةَ هي أداةُ الكلامِ وحصيلَتُهُ، ولكنَّ اعتمادَ أحدهما على الآخرِ لا يمنعُ كونهما شيئينِ مُتميِّزينِ تماماً[10]، وقد عبَّرَ "عبدُ القاهرِ الجُرجاني" (ت ٤٧١ هـ) عن أهميةِ الكلامِ بقولهِ: ((اعلمْ أنَّ هو الَّذي يُعطي العلومَ منازِلَها ويُبيِّنُ مراتِبَها، ويَكشِفُ عن صورِها، ويَجني صنوفَ ثَمَرِها، ويَدُلُّ على سرائِرِها، ويُبْرِزُ مكنونَ ضمائِرِها، وبهِ أبانَ اللهُ تعالى الإنسانَ من سائرِ الحيوانِ، ونَبَّهَ فيهِ على عِظَمِ الامتنانِ، فقالَ عزَّ مَنْ قائِلُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ[11]﴾))[12]، وهكذا فإنَّهُ لا معرفةَ بِلا لغةٍ، ولا

---

(١) علم اللغة الاجتماعي: ١٨٨.

(٢) المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية: ٦٨.

(٣) المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية: ٦٦.

(٤) علم اللغة العام: ٣٨.

(٥) علم النفس اللغوي: ٧.

(٦) مقدمة لدراسة فقه اللغة: ٢٨.

(٧) اللغة العربية معناها ومبناها: ٤٢.

(٨) اللسانيات/ المجال، والوظيفة والمنهج: ٢٠٤.

(٩) من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي: ١٥.

(١٠) علم اللغة العام: ٣٨.

(١١) الرحمن: ١–٢.

(١٢) أسرار البلاغة: ١٣.

دونَ لفظٍ مادُمنا نُنْشِدُ الوضوحَ والإبانةَ[1]، فالقيمةُ العُظمى للغةِ، التي تَكمُنُ في وظيفةِ الاتصالِ والتواصلِ – يُبرِزُها الكلامُ بِنوعَيهِ: السمعي والكتابي، فالاتصالُ يكتسبُ شَرعيَتَهُ، ويُحقِّقُ أهدافَهُ عن طريقِ انتظامِ سَيرِ التراكيبِ، وائتلافِ أواصرِها، حيثُ لا يُكْتَبُ لها الوجودُ الفعلي المنطوقُ والمكتوبُ WRITTEN SPOKEN – خارجَ دائرةِ الاتصالِ[2]، فالمُحَقِّقُ لعمليةِ التفاهُمِ باللغةِ، التي تجري أبداً بينَ طرفينِ مُتصلينِ مُتواصلينِ هُما طرفا الكلامِ، هذهِ العمليةُ تَتَكونُ من عُنصرينِ اثنينِ هما: أداءُ الكلامِ، وفَهمُهُ، أو فَهْمُهُ وأداؤهُ، وهذانِ العنصرانِ هُما من التداخلِ، والتفاعلِ، والتكاملِ، والتلازُمِ في عمليةِ الأداءِ، بحيثُ يتعذَّرُ الفصلُ بينهُما، فَنَحنُ لا نستطيعُ أداءَ معانينا إلاَّ إذا فَهمناها، ولا نؤدِّيها إلاَّ ونحنُ نفهمُها[3]، هو السلوكُ[4]، وهو الأسلوبُ، كونه المجسدُ لشخصيةِ صاحبِهِ[5]، وهو التركيبُ الماثلُ للكلامِ. وأداءُ الكلامِ لِمُهِمَّتِهِ هذا لا يأتي عَبَثاً، بَلْ يقتضي علاقةً تربطُ بينَ أجزائِهِ، وخَيطاً ينتظِم تراكيبَهُ وألفاظَهُ، وعَقلاً يصوغُ عباراته في تآخٍ، وتلاؤمٍ يجعلُها مسبوكةً محبوكةً[6]، والكلامُ على ما حدَّهُ "ابن سنان الخفَّاجي": ((ما انتظمَ من حرفينِ فصاعداً من الحروفِ المعقولةِ إذا وقَعَ ممَّنْ تَصِحُّ عَنْهُ أو من قبيلِهِ الإفادةُ))[7]، ولتحقيقِ ذلكَ فلا بُدَّ في الكلامِ من أمرينِ مَعاً، هُما: التركيبُ، والإفادةُ المُستقلةُ[8]، فالتركيبُ هو مَحَكُ استقامةِ الكلامِ واستحالتِهِ[9]، التركيبُ الذي يتوفرُ فيه شرط الفهمِ والإفهام، ذلكَ التركيبُ الَّذي حدَّدَ "سيبويه" (ت١٨٠ هـ) محاورَهُ في بابِ الاستقامةِ من الكلامِ والإحالةِ[10]، والَّذي اشتملَ في أبسطِ صورِهِ على طرفينِ هما: المسندُ إليهِ والمسندُ، عندَ أهلِ العربيةِ، أو: الموضوعُ والمحمولُ عندَ أهلِ المنطقِ، وما يُلحَقُ بِهما مِمَّا يكملُ بِهِ معنى الكلامِ[11]، فالقصدُ من الإسنادِ الربطُ الدلالي بين أجزاءِ الجُملةِ، بحيثُ يجعلُها كلاماً مفيداً يؤدي معنىً[12]، فالإسنادُ ((علاقةٌ ينتفي المعنى دونَها، لأنَّها هي

---

(١) اللغة بين العقل والمغامرة: ٢٨.

(٢) المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية: ٧٦.

(٣) كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة: ١٨٨.

(٤) اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة: ١٢٩.

(٥) التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث: ٢٢٥.

(٦) في البلاغة القرآنية، أسرار الفصل والوصل: ٥٥.

(٧) سرُّ الفصاحة: ٣٣.

(٨) النحو الوافي: ١/ ١٧.

(٩) اللغة والأسلوب: ٢١١.

(١٠) الكتاب: ١/ ٢٥– ٢٦.

(١١) نحو المعاني: ٦٣.

(١٢) اللغة والأسلوب: ٢١٨.

المعنى، كما ينتفي الكلامُ باعتبارِه بُنيةً نحويةً منجزةً، وانعكاساً مُجسَّماً لانعقادِ المعنى بِمُقتضى التركيبِ))[1]، فَعلى الرَغمِ مِن أهميةِ الإسنادِ الَّذي ((لا يجدُ المُتكلِّمُ منهُ بُدًّا))[2]، إلاَّ أنَّ الظاهرَ هو أنَّ التركيبَ المُسمَّى بالإسنادِ أو ((الوحدةِ الإسناديةِ))[3]، ليسَ كافياً للكلامِ لأنْ يستقِلَ ويكونَ موضِعَ فائدةٍ يحسنُ السكوتُ عليهِ من المُتكلِّمِ والسامعِ، لأنَّ الغرضَ من الكلامِ الَّذي هو صورةُ اللغةِ، هو التصويرُ، وهو من أهمِّ الوسائلِ التي تُمكِّنُ الفردَ مِنْ أنْ يَنقُلَ صورَتَهُ أو ملامِحَهُ الشخصيةِ لِلآخرينَ حتَّى يَتَمَّكنَ الآخرونَ مِنْ تَقويمِها من خلالِ ما يقولُهُ الفردُ، ومن خلالِ طريقتِهِ في الكلامِ[4]، هذا التصويرُ غالبَاً ما يعكِسُ العلاقاتِ الاجتماعيةَ بينَ المُتحدِّثِ والمُتلقي، وخاصةً علاقاتِ القوةِ power والتضامُنِ solidarity المُتجليَّةِ في هذهِ العلاقةِ[5]، فمثلُ هذا التصويرِ لا يتأتَّى بِرُكني الإسنادِ، لأنَّ الإسنادَ ليسَ إلاَّ تجسيداً لِجانبٍ من جوانبِ الصورةِ، بَلْ تأتي الصورةُ مؤدِّيَةً لِتمامِ غرضِها إذا ما قُيِّدَ الحُكمُ – المسندُ إليهِ والمسندُ– بالمُتممات مُشكّلةً ما يُسمَّى بـ ((الوحدةِ الإسناديةِ المُركَّبةِ))، فهي التركيبُ الإسنادي الذي يكونُ عنصراً أو أكثر من عناصره الأساسيةِ والمُتمِّمةِ، وحدةً إسناديةً بسيطةً، على أنْ يكونَ هذا التركيبُ الإسنادي غيرَ مُستقلٍ بِنفسِهِ[6] قبلَ دخولِ المتممةِ عليهِ، فالحُكْمُ ((كُلَّما كثُرَتْ قيودُهُ ازدادَ إيضاحاً وتخصيصاً، فتكونُ فائدَتُهُ أتمَّ وأكملَ))[7]، وقد بيَّنَ "عبد القاهرِ الجرجاني" أهميةَ هذهِ المُتمِّماتِ في النظمِ بقولِه: ((أنْ لا محصولَ لها (أي عمليةِ التعليقِ) غَيرَ أنْ تَعمَدَ إلى اسمٍ فتجعَلَهُ فاعلاً لِفعلٍ أو مَفعولاً، أو تعمَدَ إلى اسمينِ فتجعَلَ أحدَهُما خبراً عنِ الآخرِ، أو تتبعَ الاسم اسماً على أنْ يكونَ الثاني صِفةً لِلأولِ، أو تأكيداً لَهُ، أو بدلاً منهُ، أو تجيءَ باسمٍ بعدَ تمامِ كلامِكَ على أنْ يكونَ صفةً أو حالاً أو تمييزاً، أو تتوخَّى في كلامٍ هو لإثباتِ معنى أنْ يصيرَ نفياً أو استفهاماً أو تمنيًّا، فتدخلُ عليهِ الحروف الموضوعة لذلك، أو تريدَ في فعلينِ أنْ تجعلَ أحدَهُما شرطاً في الآخرِ، فتجيءَ بِهما بعدَ الحرفِ الموضوعِ لهذا المعنى، أو بعدَ اسمٍ من الأسماءِ التي ضُمِّنَتْ معنى ذلك الحرفِ، وعلى هذا القياسِ))[8]، وما سَبَقَ تُبرِزُهُ الأمثلةُ

---

(١) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية: ٥٤.

(٢) الكتاب: ١/ ٢٣.

(٣) التحويل في النحو العربي، مفهومهُ – أنواعه– صورهُ، البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة: ٣٥.

(٤) علم اللغة الاجتماعي: ١٩٧.

(٥) م . ن: ٢٠٩.

(٦) التحويل في النحو العربي: ٣٥.

(٧) جواهر البلاغة: ١٤٤.

(٨) دلائل الإعجاز: ٤٥.

القرآنيةُ بنحوِ ما في قولِه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[1]، فلو حُذِفَ الحالُ وهو (لاعبينَ) لكانَ الكلامُ غيرَ واضحٍ بدليلِ المشاهدِ والواقعِ، ولو حَذفنا أداةَ النفي (ما) لَما أتضحَ الكلامُ كذلكَ، ونحو قولُهُ تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾[2]، إذ لو حُذِفَ (يكادُ) لفاتَ الغرضُ المقصودُ، وهو إفادةُ المُقاربَةِ. والمُتَمِّماتُ تَشْتملُ على القيودِ والمُخصصاتِ، فالقيودُ: هي معمولاتُ المُسندِ كالمفعولِ ونحوِه من المُتعلَّقاتِ، كالحالِ، والتَّمييزِ، والاستثناءِ، وفعلِ الشرطِ كذلكَ مقيد للجوابِ، وكذلك الأفعال الناقصة ((كان وأخواتها)) قيودٌ للأخبارِ، أو الوصفِ. والمُخصصاتُ: هي الإضافةُ، والوصفُ، والصلةُ[3]، ومن المعاصرينَ من يَطلُقُ مُصطلحَ عناصرَ الامتدادِ على المُتمِّماتِ complement حيثُ يرى الدكتور علي أبو المكارمِ أنَّ دخولَ المُتمِّماتِ على رُكني الإسنادِ عبارةٌ عن عمليةِ الامتدادِ فيقولُ: ((الامتدادُ تغيرٌ كمِّيٌ إضافيٌ مرنُ التشكيلِ والموقعِ غالباً، يَتمثَّلُ في زيادةِ بعضِ الصيغِ من كلماتٍ أو مُركَّباتٍ – على البنيةِ الأساسيةِ – ومعنى كونه تغيراً كميًّا أنَّهُ لا يتناولُ بالتغييرِ نوعِ الجملةِ ... ومعنى كونه تغيراً إضافيًّا أنَّهُ يأخذُ طابعَ الزيادةِ على بنيةِ الجُملةِ الأساسيةِ، وهذهِ الزيادةُ تَهدفُ بالضرورةِ إلى أداءِ معانٍ لا تَتَحقَّقُ بدونِها، بَيدَ أنَّها ليستْ عُنصُراً من العناصرِ الإسناديةِ في الجُملَةِ، وكونُهُ (مرنَ التشكيلِ) ليستْ احترازاً من أنماطٍ تَتَّسمُ بثباتِ التشكيلِ ومِنْ ثَمَّ تَتَّصفُ بعدمِ المرونةِ، بَلْ هو وصفٌ يكشفُ طبيعةَ الامتدادِ))[4]، فالمُتمِّماتُ هذهِ لا تَقِّلُ أهميةً ووظيفةً عن المُسنَدِ الذي هو ((المحكومُ به أو المُخْبَرُ بِهِ وهو الوصفُ الذي يقومُ بِهِ الكلامُ وتَتُمُّ بِهِ الفائدةُ))[5]، فضلاً عن إضفائِهِ ميزة التَجَدُّدِ والحدوثِ والتغييرِ حينَ يكونُ فِعْلاً، وميزة الثبوتِ والاستقرارِ حينَ يكونُ اسماً[6]، إلاَّ أنَّ "جون لاينز" يُعَمِّمُ الميزةَ هذهِ بقولِهِ: إنَّ الحركةَ ((لا ترتبطُ بالفعلِ فقط، والثبوتَ لا يرتبطُ بالصفةِ دائماً))[7] كالمُشتقات التي تتميزُ بالحركة حيناً وبالثبوتِ حيناً آخر، أمَّا المُسندُ إليهِ فالظاهرُ أنَّهُ البؤرةُ ونقطةُ البدءِ بالكلامِ عليهِ، فهو الاسمُ الَّذي يستحقُ أنْ يوصفَ[8]، وبقيةُ العناصرِ ابتداءاً بالمسندِ تُعَدُّ عناصرَ الامتدادِ بالموضوعِ. فنقطةُ التماسِ بينَ الجميعِ هي الوصفُ، ولكون المسند وصفاً مُتناوَباً بَينَ الفعليةِ والاسميةِ، فالفعلُ المُسندُ إلى الفاعلِ

---

(١) الأنبياء: ١٦.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١١٥.

(٤) مقومات الجملة العربية: ١٣٤.

(٥) نحو الفعل: ١٨.

(٦) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٤١.

(٧) علم الدلالة: ٦١.

(٨) نحو الفعل: ١٨.

يتضمنُ معنى الوصفِ، وكذلكَ الحالُ، والنعتُ، فوجهُ التشابُهِ بينَ الحالِ والخبرِ، والحالِ والنعتِ يكمُنُ في ((أنَّهُ قد يكونُ للإنسانِ الواحدِ حالانِ فصاعداً، لأنَّ الحالَ خبرٌ من حيثُ المعنى، والمبتدأ قد يكونُ لهُ خبرانِ فصاعداً، فتقولُ: هذا زيدٌ واقفاً ضاحكاً مُتحدِّثاً))، أمَّا الحالُ والصفةُ فقيلَ: ((إنَّ الحالَ صفةٌ من جهةِ المعنى، ولذلكَ اشترطَ فيها ما يشترطُ في الصفاتِ من الاشتقاقِ نحو: ضاربٌ، ومَضروبٌ، وشبههما، فكما أنَّ الصفةَ يعملُ فيها عاملُ الموصوفِ، فكذلكَ الحالُ يعملُ فيها العاملُ في صاحبِ الحالِ، إلاَّ أنَّ عَمَلَهُ في الحالِ على سبيلِ الفُضلةِ، لأنَّها جاريةٌ مجرى المفعولِ، وعمله في الصفةِ على سبيلِ الحاجةِ إليها، إذ كانتْ مُبيِّنةً للموصوفِ، فجرتْ مجرى أداةَ التعريفِ))[1]. أمَّا الفرقُ بينَ الصفةِ والحالِ فيكمُنُ في ((أنَّ الصفةَ تَفْرقُ بينَ اسمينِ مُشتركينِ في اللفظِ، والحالَ زيادةٌ في الفائدةِ والخبرِ))[2]، فالتعدُّدُ في عناصرِ الوصفِ وتباينها في وظائفِها ومواقعِها، واعتباطية العلاقةِ بينَ اللفظِ والمعنى، أي التعددُ الدلالي والوظيفي للفظ هي التي جعلتِ اللغةَ تستجيبُ لكلِّ مُقتضياتِ الحياةِ ومواقفِها المختلفةِ، وتأتي ((التعابيرُ والتصاويرُ والتراكيبُ مُتنوعَةً كذلكَ كبصمةِ البنانِ لا تَتَّفِقُ في اثنينِ))[3]، فقيمةُ العناصرِ اللغويةِ ومعناها لا ينبعانِ من ذاتِها بَلْ من موقعِها بوصفِها عناصر مترابطة ومتعلق بعضها ببعض ضمنَ كُليةٍ ما[4]، وهكذا، فإنَّ المُتمِّماتِ تحظى بمكانةٍ مُتميِّزةٍ من بينِ العناصرِ المُشاركةِ في التركيبِ، التي تكمُنُ في طرفي الإسنادِ، اللذينِ يُمثلانِ محوري أي تصويرٍ كلامي، والمُتَمِّماتُ هي مكمِّلاتُ أبعادُ هذا التصويرِ، لأنَّ التعبيرَ اللغوي لدى الإنسانيةِ جمعاءَ ((لا يقومُ على أُسُسٍ منطقيةٍ فحسب، وإنَّما يتضمنُ مشاعرَ وأحاسيسَ مُعيَّنةً، تعكسُ صورةً صادقةً لما مَرَّ بهِ الفردُ من خبراتٍ متباينةٍ إزاءَ تلكَ الألفاظِ))[5]، وإنَّ ((كلَّ حدثٍ لغوي يَحملُ أثراً انفعالياً، فالحدثُ الكلامي ليسَ مُجرَّدَ تقريرٍ، ولكنَّهُ تعبيرٌ خاصٌ بانفعالٍ مُعيَّنٍ))[6]، أي تقفُ وراءَ الحدثِ الكلامي أسبابٌ وعللٌ، لأنَّ الفردَ في حياتِهِ اليوميةِ يتفاعلُ بصورٍ شتَّى معَ مواقفِ الحياةِ بكلِّ ما فيها من موضوعاتٍ ماديةٍ وبشريةٍ، وتتحدَّدُ استجاباتُهُ تَبَعاً لنوعِ التفاعُلِ الذي حَدَثَ بَينَهُ وبينَ هذهِ الموضوعاتِ، فإمَّا أنْ تكونَ استجاباتِ قبولٍ، أو رفضٍ، تُصاغُ – غالبيَتُها– في نمطٍ ما من أنماطِ السلوكِ اللفظي[7]، أي أنَّ الحدثَ الكلامي أو عمليةَ التوصيلِ اللغوي نابِعٌ من مواقفٍ وسياقاتٍ مختلفةٍ، ومتلقي الكلامِ –

---

(١) شرح المفصل: ٢/ ٦–٧.

(٢) م . ن: ٢/ ٧.

(٣) في البلاغة القرآنية، أسرار الفصل والوصل: ٥٨.

(٤) البنيوية والتاريخ: ١٤، وبنية الجملة ودلالاتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع: ٩.

(٥) علم النفس اللغوي: ٩.

(٦) اتجاهات البحث اللساني: ١٣٢، والألسنية، محاضرات في علم الدلالة: ١١٧.

(٧) علم النفس اللغوي: ٢٠.

قارئاً أو سامعاً – يتصوَّرُ أبعاداً لِلكلامِ غايةَ الوصولِ إلى الفهمِ أو الإعلامِ التامِ بِما يحيطُ بالكلامِ، فلا بُدَّ للمتكلمِ أنْ يُعلِمَ المُخاطَبَ بِدقائِقِ الحدثِ بإكمالِ كلِّ الأبعادِ التي يتصوَّرُها المُتلقي بأنْ تتحقَّقَ فيهِ شرطُ الإعلاميةِ، لأنَّها ((ما هي إلاَّ دافعٌ من الدوافعِ التي تقودُ إلى إجراءِ تحويلٍ على النماذجِ التوليديةِ، لتجعلَها أقدرَ على أنْ تقومَ بالوظيفةِ الإعلاميةِ التي يرغبُ المُرسِلُ في نَقلِها إلى المُستقبِلِ عَبْرَ الوسيطِ اللغوي))[1]، فالعلاقةُ القويةُ بينَ الكلامِ والمقامِ هي التي تجعلُ المُتكلِّمَ يعدلُ عن استعمالِ الكلماتِ والتعابيرِ التي تنطبِقُ على الحالةِ التي يوجدُ فيها خوفاً أو تأدُّباً، أو مراعاةً لواقعِ الحالِ، بَلْ يضطرُّ المُتكلِّمُ إلى العدولِ عن الاستعمالِ الحقيقي للكلماتِ فيلجأُ إلى التلميحِ بَدَلِ التصريحِ، وكُلَّما وافَقَ الكلامُ ظروفَ المقامِ والمُخاطَبِ كانَ مقبولاً مُستحسناً في أحيانِهِ وظروفِهِ[2]. ما ذكرناهُ قد استهدفَ غايتينِ، إحداهما تكمُنُ في تحقيقِ كونِ التركيبِ هو ما اشتملَ على المُتمِّماتِ فَضْلاً عن رُكني الإسنادِ، وهذا يعني تحقيقَ كونِ التركيبِ هو الكلامِ إنْ صحَّ السكوتُ عليهِ[3]، فقد ذَهَبَ "علي أبو المكارم" إلى: أنَّ الكلامَ هو أحدُ أشكالِ التركيبِ[4]، إلاَّ أنَّ الظاهرَ هو أنَّ الكلامَ يتَّخِذُ كلَّ أشكالِ التركيبِ سدَّاً لمقتضياتِ الأحوالِ واستجابةً لِكلِّ المقاماتِ، وبِهذا يكونُ الكلامُ هو كل أشكالِ التركيبِ، لأنَّ الكلامَ لا يقتصِرُ على ركني الإسنادِ فقط ((لأنَّ تحديدَ تمامِ الفائدةِ في القولةِ ينبغي ألاَّ يقتصِرَ على ما يُعرَفُ بالإسنادِ فحسب، لأنَّ ذلكَ يجعلُ قولَهُ تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾[5]، قولةً مفيدةً معَ أنَّ الاقتصارَ عليها لا يفي بالغرضِ الإبلاغي، ولَعلَّ معيارَ السكوتِ أو حُسنَ السكوتِ هو المعيارُ الأفضلُ الَّذي يُمكِنُ الاعتمادَ عليهِ في رسمِ حدودِ القولةِ التامةِ، وإذا احتكمنا إلى هذا المعيارِ فَسنجِدُ أنَّ قولَهُ تعالى: (فويلٌ للمصلينَ)، ليسَ قولةً تامةً، وهو ما جعلَ المفسرينَ وغيرَهم يمنعونَ الوقوفَ عليها مع أنَّها جملةٌ كاملةٌ بمقياسِ الإسنادِ[6]، لأنَّ القولَةَ هذهِ بحاجةٍ إلى أنْ توضِحَها المتمِماتُ بمجيءِ قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾[7]، وذلكَ لِبيانِ صفاتِ أولئكَ المُصلينَ، أمَّا الغايةُ الثانيةُ فهي الوصولُ إلى إبرازِ الوظائفِ المُتعدِّدَةِ للمُتمِّمات، التي تتعدَّى لِتشمَلَ مظاهرَ الأسلوبِ المُتمثِّلِ بالأنساقِ اللغويةِ لفظيةً كانت أم معنويةً أم تركيبيةً[8]،

---

(١) التراكيب الإعلامية في اللغة العربية: ٤٠.

(٢) الألسنية، محاضرات في علم الدلالة: ١٢١.

(٣) الكليات: ٨٢٩.

(٤) الجملة الفعلية: ٢١.

(٥) الماعون: ٤.

(٦) المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية: ٣٠٧.

(٧) الماعون:٥–٧.

(٨) التفكير الأسلوبي: ١١٥.

فالتراكيبُ ((هي محلُّ الظاهرةِ باتساعِ مُتغيراتِها من التحويلاتِ والانزياحاتِ التي تَقِفُ وراءَها الدوافعُ النفسيةُ والاجتماعيةُ والثقافيةُ التي تُحيطُ بِعمليةِ التوصيلِ اللغوي))[1]، فالأسلوبُ انعكاسٌ للفضائلِ والرذائلِ ولِخواصِ الامتيازِ والضعفِ في أمةٍ بِعينِها، لأنَّ اللغةَ والحياةَ أصبحتا مظهرينِ لحقيقةٍ واحدةٍ[2]، والأساليبُ أبرزُ مظاهرَ اللغةِ التي تُعربُ عن حيوتِها[3]، فبدونِها لا نَشعُرُ بحيويةِ اللغةِ، وتَضيقُ دائرةُ الكلامِ، ومن وظيفةِ الأسلوبِ هذه تنبثِقُ وظيفةٌ أُخرى للمُتَمِّمات، التي تَتَمثَّلُ في كونِها قرائنَ ذاتَ كفاءةٍ مُتميِّزةٍ في الكشفِ عمَّا هو غامضٌ ومستورٌ من المشاعرِ والأحاسيسِ المُعبَّرِ عنها بالتركيبِ، فالأسلوبُ ((يقومُ من خلالِ مظاهرِه وخصائصِه المختلفةِ بِخدمةِ النصِ ورفدِه بالمعاني وإيضاحِها وشرحِها، وضمانِ أمنِ اللبسِ فيها لِغايةِ إيصالِها إلى المُتلقي))[4]، لأنَّ المُتلقي دائماً في حاجةٍ إلى الوقوفِ على مُلابساتِ القولةِ، والأحوالِ التي قيلتْ فيها، لكي يبلغَ مُرادَ المُتكلِّمِ من كلامِه[5]، الَّذي يتكونُ من كلماتٍ، بينها روابط وصلات، وهذه الصلاتُ والروابطُ ضروبٌ من المعاني، فمعنى الكلمةِ يزدادُ وضوحاً بازديادِ عددِ الارتباطاتِ التي تمتلكُها الكلمةُ باتساعِ خِبراتِ الفردِ بِكلمةٍ أُخرى، وكُلَّما ازدادَ عددُ الارتباطاتِ ازدادَ معنى الكلمةِ وضوحاً[6]، فالمتكلِّمونَ لا يتقيدونَ بحرفيةِ اللغةِ في كثيرٍ من الأحيانِ، وهو ما يجعلُ المُخاطَبَ في حاجةٍ إلى عواملٍ عديدةٍ منها: السياقُ الثقافي والاجتماعي، وجملةُ الاستنتاجاتِ التي يهتدي إليها منطقياً أو عُرفياً عن طريقِ القرائنِ[7].

يُستنتَجُ ممَّا سَبَقَ أنَّ المُتَمِّمات لا تقلُ أهميةً عن المُسندِ في إنشاءِ التركيبِ أو الكلامِ وتفكيكِه قَصدَ الكَشفِ عن أسرارِه ومظاهرِه الأسلوبية، أمَّا الَّذي ننحو إليه والَّذي هو غايَتُنا فهو الإقرارُ بذلكَ التركيبِ الَّذي حَصلَتْ فيه عمليةُ التأليفِ أو نظمُ المفرداتِ في شكلٍ مُعيَّنٍ[8]، وقد اشتملَ النظمُ فيه على العملياتِ الثلاثِ التي هي[9]:

١- رسمٌ من العقلِ.

---

(١) التراكيب الإعلامية في اللغة العربية: ٤٠.

(٢) جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم: ٨٧-٨٨.

(٣) خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٣٤٩.

(٤) التفكير الأسلوبي: ٢٤٨.

(٥) المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية: ١٣٨.

(٦) اللغة وعلم النفس دراسة للجوانب النفسية للغة: ١٧٣، واللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج: ٢٩٩.

(٧) المعنى وظلال المعنى: ١٤١.

(٨) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١١٨.

(٩) يُنظر دلائلُ الأعجاز: ٤٢، والتفكير الأسلوبي: ٩٣.

٢- ترتيبُ المعاني في النفسِ وحصولِها على نسقٍ بمراعاةِ أحكامِ النحوِ.

٣- تعليقُ الكلِمِ في النطقِ وترتُبِها بِحسبِ ترتُبِ المعاني في النفسِ.

فالتركيبُ المقصود دراستهُ يقتربُ بذلكَ مِن النَظمِ الَّذي عَبَّرَ عَنهُ "عبد القاهِرِ الجرجاني" بالكلامِ، فقد بيَّنَ فيهِ أهميةِ المُتممات في بيانِ جوانبِ الغموضِ مِن الكلامِ، بقولِهِ: ((واعلمْ أنَّ مَثَلَ واضِعِ الكلامِ مِثلُ مَنْ يأخُذُ قِطعَاً مِنْ الذَّهَبِ أو الفِضَّةِ فيذيبُ بَعضَها في بعضٍ حتَّى تصيرَ قطعةً واحدةً، أي أنَّ هذا حال المُتكلِّمِ في خطابِهِ بالكلماتِ عِندَ مَنْ يُخاطِبَه ... إنَّكَ إذا قُلتَ: (ضَرَبَ زيدٌ عمراً يومَ الجُمُعةِ ضَرْباً شديداً تأديباً لهُ)، فإنَّكَ تَحصُلُ من مجموعِ هذهِ الكَلِمِ كُلِّها على مفهومٍ، هو معنى واحد لا عدةَ معانٍ، كما يتوهَّمُهُ الناسُ، وذلكَ لأنَّكَ لم تأتِ بهذهِ الكَلِمِ لِتُفيدَهُ أنفسَ معانيها، وإنَّما جئتَ بِها لِتُفيدَهُ وجوهَ التَعلُّقِ التي بينَ الفِعلِ الَّذي هو ((ضَرَبَ)) وبينَ ما عَمِلَ فيهِ، والأحكامَ التي هي محصولُ التَعَلُّقِ))[١]، أو الرَّصفُ الَّذي غايته رصف عناصر اللغة لكلِّ نشاطٍ أو إجراءٍ كلامي أو كتابي في ترتيبٍ نسقي مُناسبٍ[٢]، بِهدفِ إبرازِ الصورةِ الدلاليةِ الواحدةِ بأبعادِها، والَّذي عَبَّرَ عنهُ "الجُرجاني" بالنظمِ ومَثَّلَ لَهُ بالتركيبِ القرآني قائلاً: ((هل تَشُكُّ إذا فَكَّرتَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، أنَّكَ لَمْ تَجِدْ ما وجدتَ من المزيةِ الظاهرةِ، والفضيلةِ القاهرةِ، إلاَّ لأمرٍ يَرجِعُ إلى ارتباطِ هذهِ الكلمِ بعضِها ببعضٍ، وأنْ لَمْ يعرضْ لها الحُسنُ والشرفُ إلاَّ من حيثُ لاقتِ الأولى بالثانيةِ، والثالثةُ بالرابعةِ، وهكذا، إلى أنْ تستقريها إلى آخرِها، وأنَّ الفَضلَ تناتَجَ ما بينها وحَصَلَ مِن مجموعِها؟ إنْ شَكَكْتَ، فتأمَّلْ: هلْ ترى لفظةً منها بحيثُ لو أُخِذَتْ من بينِ أخواتِها وأُفرِدَتْ، لأدَّتْ من الفُصاحةِ ما تؤديهِ وهي في مَكانِها من الآيةِ؟ قُلْ: (أبْلعي) واعدها وَحدَها من غيرِ أنْ تنظُرَ إلى ما قبلَها وما بعدَها، وكذلكَ فاعْتبِرْ سائرَ ما يَليها ... فالكلمةُ تروقُكَ وتؤنِسُكَ في موضعٍ، ثُمَّ تراها بِعينها تَثقُلُ عليكَ وتوحِشُكَ في موضعٍ آخرٍ))[٤]، ويقولُ "ابنُ الأثيرِ" (ت ٦٣٧ هـ) مُضيفاً إلى ما سَبَقَ: ((إنَّ هذا يُنكِرُهُ مَنْ لم يَذُقْ طعمَ الفصاحةِ، ولا عَرَفَ أسرارَ الألفاظِ في تركيبِها وانفرادِها))[٥]، التي يُنبِؤ بِها النحو.

---

(١) دلائل الإعجاز: ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) النص والخطاب والإجراء: ١٣٦.

(٣) هود: ٤٤.

(٤) دلائل الإعجاز: ٣٩-٤٠، والمثل السائر: ١/ ١٦٦.

(٥) المثل السائر: ١٦٦.

أمَّا تمثيلُ التركيبِ بذلكَ النظمِ الَّذي عَبَّرَ عَنْهُ "الجُرجاني"، فلِكونِ التراكيبِ التي قد اختيرَتْ من القُرآنِ نماذِجَ للدراسةِ هي الغايةُ في النظمِ، فَشرطُ الاتصالِ والتواصلِ والفهمِ والفائدةِ المؤديةِ إلى حُسنِ السكوتِ والاستقلالِ قد تَشكَّلَ من تلكَ العناصرِ التي قد سبقتِ الإشارةُ إليها ابتداءاً بالإسنادِ، وليستِ التراكيبُ التي تُطلَقُ على وحدتينِ دلالتينِ، التي تأتي لتحقيقِ أغراضٍ جُزئيةٍ كالمضافِ والمضافِ إليهِ، والنعتِ والمنعوتِ، والصلةِ والموصولِ، التي يُناسبُها مُصطلحُ ((الوحدة المركبة)) – مُستقلَّةً بنفسِها، وذاتَ فائدةٍ، فإمكانيةُ هذهِ الوحداتُ المركبةُ لا تزيدُ عن إمكانيةِ المفرداتِ، فهي غيرُ مُستقلةٍ عن التركيبِ، ولا هي ذاتُ وظيفةٍ فيهِ، وإنَّما تستمدُّ دلالتها من ترتيبِها، أي وضعها في الجملة[1]، وقد جاءَ عنوانُ الرسالةِ هذهِ: ((التراكيبُ الدالةُ على وصفِ أولي العزمِ من الرُّسلِ)) من دونِ التركيزِ على جزئيَّاتِ التركيبِ، كالصيَّغِ الحاملةِ للوصفِ، والتي تُمثلُهَا المُشتقَّاتُ والمصادرُ والأفعالُ، لأنَّ أنموذجَ التركيبِ يتمثَّلُ بشجرةٍ واحدةٍ ذاتَ عروقٍ وأغصانٍ وأوراقٍ، فإنَّ الكُلَّ يُشاركُ في إرواءِ هذهِ النَّبتَةِ، كذلك حال الوحدات المشاركة في التركيبِ من إسنادٍ ومُتمِّماتٍ، وروابطٍ تُوَجِّهُ حركةَ تلكَ الوحداتِ، فالكُلُّ يُشاركُ في بناءِ لَوحةٍ واحدةٍ، فيؤدي ذلك إلى تحفيزِ الكُلِّ للتركيبِ من أجلِ تحريرِ شُحناتهِ الدلاليةِ، فالتركيزُ على جانبٍ من هذهِ الشجرةِ لا يُعطينا المُتعَةَ الكاملَةَ، لأنَّ جماليتَها تكمُنُ في رؤيةِ الشجرةِ بكاملِها، أي أنَّنا لا نقومُ بعمليَّةِ تسلسُلٍ للانتقالِ من جزءٍ إلى آخرٍ، لغرضِ فَهمِ معاني تلكَ الأجزاءِ أو العناصرِ، ((وإنَّما تَتُمُّ عمليةُ الفهمِ عن طريقِ إدراكِ الكُليَّاتِ داخلَ إطارٍ مُتكاملٍ للوسيلةِ))[2]، فاللفظةُ الواحدةُ بالنسبةِ للتركيبِ من الاسمِ والفعلِ لا تُفيدُ شيئاً وإذا قرنْتَها بما يصلحُ حَدَثَ معنىً واستغنى الكلامُ[3]،كما أنَّ معاني الأبنيةِ ودلالاتها إنَّما تتحدَّدُ من خلالِ التركيبِ الَّذي تَرِدُ فيهِ، إذ لا يُمكنُ الاقتصارَ على وزنِ الكلمةِ وبنائها في معرفةِ دلالتها، فإذا قُلنا: أللهُ مالكُ كلِّ شيءٍ، دلَّ ((مالكُ)) على الصفةِ المُشبَّهةِ، وإنْ كانَ بصيغةِ ((فاعلُ))، فالعبرَةُ في دلالةِ اللفظةِ في التركيبِ الَّذي ترِدُ فيهِ وليسَ إفرادَهُ[4]، فالأبنيةُ الصرفيةُ بوصفها مجموعات معرفية دلالية ليستْ مُنعزلَةً عن التراكيبِ التي تَضُمُّها، وترتبِطُ فيها بِطائفةٍ من العلاقاتِ التركيبيةِ المُتشعبةِ، ومن دونِ التفحُصِ الدقيقِ لهذهِ العلاقاتِ التركيبيةِ لا يُمكنُ تحديدُ دلالةُ اللفظةِ بدقةٍ ووضوحٍ[5]، فالغرَضُ من دخولِ اللفظِ في التشكيلاتِ الصياغيةِ الفنيةِ هو لأجلِ إيجادِ صورةٍ أدبيَّةٍ، تتوافرُ فيها عناصرُ الجمالِ، والحيويَّةِ، مثلُ استعمالِ التقديمِ، والتأخيرِ، والتعريفِ، والتنكيرِ، والحذفِ، والذِّكرِ، والإظهارِ، والإضمارِ، والفصلِ

---

(١) اللغة والأسلوب: ٢١٣.

(٢) علم النفس اللغوي: ٣٠.

(٣) المقتضب: ٤/ ١٢٦.

(٤) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٥٦–٥٧.

(٥) م . ن: ٦١.

والوصلِ، والإيجازِ، والإطنابِ، وهذهِ التحولاتُ من أجلِ بناءِ دلالةٍ مُركَّزةٍ مُكثَّفَةٍ، مُتوازنةٍ، تتجاذَبُ أطرافها عناصرَ الجمالِ، والتجددِ، والحيويةِ، وهي غيرُ تلكَ التي ميدانُها النحو والصرفُ[١]، فالمفرداتُ قاصرةٌ عن أداءِ وظيفةِ التجسيدِ أو الوصفِ التامِ بِكُلِّ أبعادِه، لأنَّ ((الوصفَ يعكسُ واقعاً فيهِ إدراكٌ كُليٌّ وآنيٌّ للعناصرِ المكونةِ لهذا الواقعِ، وكيفيةَ انتظامها في الفضاءِ أو المكانِ الَّذي توجدُ فيهِ، وقد يكونُ الأمرُ مُتعلِّقاً بموجوداتٍ جماديةٍ أو بأشخاصٍ أو بغيرِها، كما يَتمثَّلُ الوصفُ في محاولةِ نقلِ هذا الواقعِ بِجُزئياتِهِ وتفاصيلِه))[٢].

لذا فإنَّ العلَّةَ في تخصيصِ التراكيبِ للتعرُّفِ على أوصافِ هؤلاءِ الرُّسُلِ بدل الصيغ هي للإحاطةِ بِكلِّ أبعادِ هذهِ الأوصافِ، لتأتيَ لوحةً قد جسدَها الكُلُّ بِدقائِقِها، لأنَّ الدلالةَ تكمُنُ في كلِّ مُتَشكلٍ من مجموعةِ عناصرٍ، وأنَّ لِكلِّ عُنصُرٍ دوراً في تقديمِ جزءٍ من المعنى[٣]، أو أنَّ كلَّ كلمةٍ في التركيبِ تعتمدُ على وظيفةِ الأُخرى في التركيبِ نَفْسِه[٤]، في دراسةِ التركيبِ لا يُمكنُ الاستغناءُ عن حركةٍ إعرابيةٍ، فالكُلُّ يَمُدُّ التركيبَ حسبَ إمكانيتِه، حتَّى الإشاراتُ التي تصحبُ الكلامَ فإنَّها تُشاركُ في إكمالِ الناقصِ من المفرداتِ، وتُحدِّدُ مدلولَها[٥]، والتراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ أولي العزمِ هي أجزاءٌ من كلامِ اللهِ تعالى قد خُصِصَتْ، واستقلَّتْ، وضَمَنَتْ جوانبَ روحيةً دقيقةً من حياةِ هؤلاءِ الرُّسلِ الشخصيةِ والاجتماعيةِ قَصدَ الاقتداءِ بسيرتِهم الطيِّبةِ، والطاهرةِ، تعظيماً لشأنِهم وتخليداً لَهُم ولمبادئِهم على مرِّ العصورِ والأزمانِ، وإدراك ذلك الفضلِ الَّذي رَفَعَهُم اللهُ بهِ مراتبَ على الآخرينِ قالَ تعالى: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[٦]، فانطلاقاً من الأهميةِ الوظيفيةِ للتراكيبِ، والإمكانيةِ غيرِ المحدودةِ للغةِ، وهي طبيعتُها المَرِنةُ، ولأدراكِنا لأهميةِ حصيلةِ اللغةِ وهي الكلامُ، علينا أنْ نلتمسَ مدى إمكانيةَ ذاكَ الَّذي يَستَغِلُ أو يَستثمِرُ كُلَّ هذهِ الإمكانيَّاتِ وينهضُ بها، لأنْ تستجيبَ لِكلِّ مُقتضياتِ الحياةِ اليوميةِ الواسعةِ، ومُستجداتِها العصريةِ ألا وهو علمُ النحوِ، العلمُ الَّذي تسيرُ حياةُ اللغةِ بِمُقتضاهُ، النحو المُؤسسُ للتراكيبِ بِمُقتضى الأحوالِ والمقاماتِ، والمُفككُ، أو الكاشفُ لأسرارِ التراكيبِ بِمُقتضى الأحوالِ والسياقاتِ، أو النحو الدلالي، وليس ذلكَ النحو الَّذي لازمَ وظيفةَ بيانِ

---

(١) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ٢٢٨.

(٢) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية: ١١٠.

(٣) جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية: ٤٧.

(٤) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٢٩.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٢٩.

(٦) البقرة: ٢٥٣.

الأحوالِ المُختلفةِ للفظِ الواحدِ من رَفعٍ ونصبٍ من غيرِ فطنةٍ لما يتبعُ هذهِ الأوجهُ من أثرٍ في المعنى[١]، والذي جَعَلَ النحو مفصولاً عن الدلالةِ هو انعزالُ المناسباتِ التي هي أساسٌ ينبني عليهِ تأليفُ الكلامِ في معالجةِ النحاةِ لدراسةِ النحوِ ومسائلِه[٢]، فَلابُدَّ للنحوِ والمعنى من أنْ يتفاعلا حتَّى تَصلَ عناصرُ اللغةِ إلى توزيعٍ ما[٣]، وإنَّ محاولةَ فهمِ القرآنِ من كلِّ جوانبِهِ اللغويةِ قد سَلَكَتْ بالنحوِ منحاهُ ووظيفتَهُ الطبيعية والحقيقية الخاصة، ((فجاءَ نتاجاً لإنعامِ الفكرِ في أسرارِ تراكيبِ القرآنِ وطرقِ تأليفِ الجُملِ فيهِ، وعلاقاتِ الإسنادِ والإضافةِ والتبعيةِ في تلكَ الجملِ سعياً لبيانِ المعاني المختلفةِ التي تكمُنُ في هذهِ التراكيبِ))[٤]، فلابُدَّ من تكاملِ النحوِ والتركيبِ عندَ دراسةِ اللغةِ[٥]، فالنحو حينَ يكونُ عِلماً للتراكيبِ أي معياراً لإنشاء التركيب ففي هذا إيحاءٌ لمعنى ثانوي لا محوري، وحينَ يكونُ علماً لدراسةِ التراكيبِ، فإنَّ ذلكَ يتضمَّنُ إيحاءً بأنَّهُ يدرسُ كُلَّ ما لَهُ صلةٌ بالتراكيبِ وفي مُقدمتِها المعنى[٦]، التي تُسمَّى بالدلالةِ النحويةِ، وهي مُحصلةُ العلاقاتِ القائمةِ بينَ الكلماتِ داخلِ الجملةِ، أو النصِ، أو العبارةِ المُتَّضحةِ من خلالِ السياقِ النحوي[٧]، والدَلالةُ هذهِ تقومُ على أمرينِ هما: ١- بيان الوظيفة النحوية لمُفردات التركيب، ٢- بيان وظيفةِ التركيبِ دَلاليَّاً.

فالإمكانيةُ العُظمى للنحوِ تتجلى في النصوصِ القُرآنيةِ والتراكيبِ المُتضمِّنةِ فيها، وفي الأحوالِ كُلِّها فإنَّ السياقَ هو المُقرِّرُ لمدى هذهِ الإمكانيةِ، فلا يُستغنى عَنْهُ أبداً، فالسياقُ بشطريهِ: اللغوي والحالي المُتَمثِّلِ بالظروفِ الاجتماعيةِ والنفسيةِ والثقافيةِ للمُتكلِّمِ والمُشتركينَ[٨]، ذو وظيفةٍ ثنائيةٍ، والسياقُ ((يُؤثِّرُ في التعبيراتِ اللغويةِ من وجهينِ، أولهما: من حيثُ إحداثُ الكلامِ، وهو أمرٌ يتعلَّقُ بالمخاطِبِ، وثانيهما من حيثُ تفسيرُ الكلامِ أو تأويلُهُ، وهو أمرٌ يتعلَّقُ بالمُخاطَبِ[٩]، ومظاهرُ تأثيرُ السياقِ في إحداثِ الكلامِ تكمُنُ في ثلاثةِ أقسامٍ[١٠]:

١. التأثير الكمي: المُتمثِل في تحديد عدد الوحدات اللغوية التي ينبغي أنْ تشارِكَ في التركيب.

---

(١) إحياء النحو: ٧- ٨.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٨٢.

(٤) نظرية المعنى في الدراسات النحوية: ٣٦٣.

(٥) اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج: ٢٤٠.

(٦) م . ن: ٤٧٧.

(٧) الدلالة السياقية عند اللغويين: ٤٦.

(٨) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٣١٢.

(٩) المعنى وظلال المعنى: ١٦٦.

(١٠) م . ن: ١٦٦-١٦٧.

٢. التأثير الكيفي: المُتمثل في كيفية أداء الوحدات اللغوية لوظائفِها.

٣. التأثير الموقعي: المُتمثل في الأساليب الكلامية أي تحديد موقع الوحدات اللغوية الملائمِ للموقف.

فالسياقُ ((مِن أعظمِ القرائنِ الدالَّةِ على مُرادِ المُتكلِّمِ))[١]، ويكمُنُ دورُهُ الكبيرُ في التحليلِ الدلالي[٢]، فالنحو بِوظيفتِهِ هذهِ يجتازُ المجالاتِ الثلاثةَ ، وهي: عِلمُ التركيبِ، وعلمُ الدلالةِ، وعلمُ التخاطُبِ، وإنَّ العلاقةَ بينَ هذهِ المجالاتِ الثلاثةِ علاقةُ تكامُلٍ وليستْ علاقةَ توازٍ أو إبدالٍ، لأنَّ الفهمَ الكاملَ لمقولاتِ اللغةِ يقتضي الاهتمامَ بِكلِّ هذهِ المجالاتِ لِلتمكُنِ من إدراكِها إدراكاً تامَّاً[٣].

فالنحو على الرغمِ ممَّا فيهِ مِن المعياريةِ ((القواعدُ والقوانينُ)) إلاَّ أنَّ تلكَ المعياريةَ لا مُتناهيةَ، لِكونِها ((فطريةَ ذهنيةَ))[٤]، تستجيبُ لِكلِّ مُقتضياتِ الحياةِ، وهذا ما جَعَلَهُ أُمَّ العلومِ ومَنبتَها، فَكُلُّ الظواهرِ اللغويةِ تتسايَرُ بِموجَبِ أنظمةِ النحوِ والتركيبِ وَفقاً لِمُقتضياتِ الأحوالِ والمقاماتِ، فالنحو هو ((الاستقامةُ))[٥]، التي ذهب إليها "سيبويه (ت١٨٠هـ)" والاستقامةُ هي شرطُ الكلامِ المُرادِ بِهِ ((الفهمُ والإفهامُ)) أو ((الإعلاميةُ)) التي هي الدلالةُ، النحو هو الدلالةُ، والدلالةُ هي النحو، فدراسةُ التركيبِ على وَفقِ إمكانياتِ النحو والسياقِ تهدينا إلى أنْ نَتَعرَّفَ على أبعادٍ كثيرةٍ للصورِ التي قد احتضنتْها في التراكيبِ ولا سيَّما التراكيبَ القرآنيةَ ذات الطبيعةِ الإعجازية في الخطابِ، والكامنةِ في الشُحناتِ الدلاليةِ اللامُتناهيةِ، كالتراكيبِ الدالَّةِ على أوصافِ أولي العزمِ من الرُّسُلِ، تلكَ التراكيبُ التي تُبرِزُ لنا صورةً حيةً مُتنفسةً مُنعكسةً لطبيعةِ الفضلِ الَّذي خَصَّ اللهُ تعالى أولئكَ الخَمسةَ بالعزمِ الَّذي يُعَبِّرُ عن الدواخلِ من المشاعرِ الإنسانيَّةِ أو الجانبِ الرُّوحي الَّذي بَلَغَ الغايةَ في العُلا، فأصبحوا بِهِ كالطُّودِ الشامخِ تُضرَبُ بِهِمُ الأمثالُ، أمَّا العِلَّةُ في وقوعِ الاختيارِ لِمُصطلحِ ((أولي العزم)) فَتكمُنُ في تخصيصِ المُصطلحِ هذا وصفاً لجمعٍ من الرُّسُلِ دونَ غيرِهم. فقد تَعرَّضَ القرآنُ لأحوالِهم بتراكيبَ واصفةٍ في حاجةٍ إلى المُعايشةِ والتنقيبِ قَصدَ التعرُّفِ على قسطٍ من الإمكانيةِ اللغويةِ الكامنةِ فيها، واستنباطَ أدلةِ التخصيص من خلالِها، وذلكَ بالكشفِ عن نُقطةِ التماسِ أو الانسجامِ القائمِ بينَ ما يُؤديهِ المُصطلحُ من دلالةٍ ومدى انعكاسِها في تلكَ التراكيبِ. وتتحققُ هذهِ الغايةُ ابتداءاً من حَسمِ الخِلافِ الجاري حولَ التخصيصِ هذا، استناداً إلى دلائلٍ تَتَمثَّلُ في قرائنٍ مقاليَّةٍ من الكتابِ والسُنَّةِ وغيرِها في نحوِ قولِهِ تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ

---

(١) بدائع الفوائد: ٤/ ١٣١٤، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٠٠–٢٠١.

(٢) منهج البحث اللغوي: ٩٤–٩٥، والظاهرة الدلالية عند العلماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٣٧٥.

(٣) المعنى وظلال المعنى: ١٣٨.

(٤) في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): ٥٦.

(٥) الكتاب: ١/ ٢٥.

ٱلرُّسُلِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾[2]، فالآيتانِ مُتمِّمتانِ لِبعضِهما، لِما تؤدِّيها الوحداتُ فيهما مِن وظائفَ دلاليةٍ مُشترَكةٍ حاسِمَةٍ للخلافِ فكأنَّ الأُولى مُجملةٌ والثانيةَ تفصيلٌ وبيانٌ لها، فالميزةُ هذهِ تَتَجسَّدُ ابتداءاً مِن التشبيهِ الوارِدِ في خِطابِ اللهِ لرسولِهِ محمدٍ ﷺ : (فاصبِرْ كما صَبَرَ أولو العزمِ من الرُّسلِ)، فالآيةُ هذهِ اقتضتْ أنَّ محمداً ﷺ من أولي العزمِ، لأنَّ تشبيهَ الصبرِ الَّذي أمرَ بِهِ بِصبرِ أولي العزمِ من الرُّسُلِ يقتضي أنَّهُ مِثلُهُم، لأنَّه مُمتثِلٌ أمرَ ربِّهِ، فصبرُهُ مثيلٌ لصبرِهِم، ومَنْ صَبَرَ صَبْرَهُم كانَ مِنْهُم لا محالةَ[3]، وإيحاءُ (من) بِدلالتي: التبعيضِ والبيانِ صورةٌ محقَّقَةٌ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾[4]، أي: إنَّ أولي العزمِ هُمُ الذينَ أخذَ اللهُ منهُم المواثيقَ الغليظةَ والعهودَ المؤكدةَ بالعبادةِ والدعوةِ[5]، والمُعيِّنُ لتبعيضيةِ (من) هو لفظُ (أولو) الَّذي بِمعنى: ذووا، ولا يُفرَدُ لَهُ واحدٌ، ولا يكونُ إلاَّ مُضافاً[6]، فلو كانَ العزمُ صفةً مطلقةً لِكُلِّ الأنبياءِ والرُّسُلِ لَما وَرَدَ (أولو)، وهو الَّذي أدَّى وظيفةَ الفصلِ بينَ ذوي العزمِ وغيرِهِم، والإضافةُ مفيدة لـ ((التخصيص))[7]، القائمة في (أولو العزم) تأتي قرينةً أُخرى لِدلالةِ التبعيضِ في (من) والعدولُ بالتركيبِ من العمومِ إلى الخصوصِ أي من ((فاصبِرْ كما صَبَرَ الرُّسلُ)) إلى (فاصبِرْ كما صَبَرَ أولو العزمِ مِنْ الرُّسُلِ)، وبيانيَّةُ (مِنْ) تُعيِّنُها استبدالُ ((الأنبياءِ أو النبيينَ)) بـ (الرُّسُلِ) أي: أولو العزمِ من بعضِ الرُّسلِ لا مِن بعضِ الأنبياءِ أو النبيينَ، لِما بينهُما منْ فرقٍ دلالي ووظيفي إذ الرسولُ أخصُّ من النبيِّ، لأنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبي رسولاً[8]، والرَّسولُ ((هو صاحبُ الدعوةِ من الأنبياءِ المأمورِ بإبلاغِها للناسِ، والنبيُّ لا يُكَلَّفُ إبلاغُ الناسِ دعوةً، إنَّما هو في ذاتِهِ صاحبُ عقيدةٍ يتلقاها من اللهِ))[9]، والقرينةُ المعيِّنةُ لِكونِ أولي العزمِ من الرُّسُلِ هُم أولئكَ الخمسةُ الوارد ذكرُ أسمائِهِم في الآيةِ السابِقةِ، هي العلاقةُ الدلاليةُ المُستشَفَّةُ بينَ لفظتي: العزمِ، والميثاقِ الغليظِ، فالعزمُ: ما عَقَدَ قَلبُكَ من أمرٍ أنَّكَ فاعِلُهُ، وما لِفلانٍ عزيمةٌ:

---

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) الأحزاب: ٧.

(٣) التحرير والتنوير: ٦٧/٢٦.

(٤) الأحزاب: ٧.

(٥) أولو العزم من الرسل، عمر أحمد عمر: ١/ ٩، وأولو العزم من الرسل، مأمون غريب: ٦.

(٦) القاموس المحيط: ٩١١، مادة: أول.

(٧) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٧٤.

(٨) لسان العرب: ٦/ ٤٣١٦، مادة: رسل.

(٩) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣١٣.

أي لا يَثبُتُ على أمرٍ يعزمُ عليهِ، والعزميُّ من الرجالِ: الموفي بالعهدِ، والعزمُ: الصبرُ[1]، والعزمُ: الصريمةُ والقَطعُ[2]، والعزمُ: الجدُّ في الأمرِ[3]، والعزمُ: القسمُ[4]، ويُقالُ: وَثَقْتُ بفلانٍ أثِقُ فيهما ثِقَةً: إذا ائتمَنَهُ، والميثاقُ: العهدُ، وأوثَقَهُ في الوثاقِ أي: شَدَّهُ، والوثيقُ: الشيءُ المُحكمُ[5]، ووَثَقَ: كلمةٌ تدُلُّ على عقدٍ وإحكامٍ[6]، والميثاقُ: عقدٌ مؤكدٌ بيمينٍ وعهدٍ[7]، فعلاقةُ اللفظتينِ تكمُنُ في كونِهما تشتركانِ في العقدِ، والإحكامِ، والثباتِ، والصرامةِ، واليمينِ، فضلاً عن كونِ القلبِ منشأهما، وتجمعُهما كذلك دِلالةُ الأصلِ في الصيغتينِ، الَّذي هو: ((فَعَلَ))، وهو أصلٌ لِكلٍ مِن: ((عزَمَ)) و ((وَثَقَ)) ومن معاني هذا الأصلِ: ((الغلبةُ والاستقرارُ))[8]، الموحيانِ بالثبوتِ والصمودِ في الشدائدِ. فما سَبَقَ يجعلُنا نُقِرُّ أنَّ أولي العزمِ هُم أصحابُ الميثاقِ الغليظِ، لأنَّ المُستمدَّ من التكرارِ الواردِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾[9]، هو الاختلافُ في الميثاقينِ، لا أنَّ الثاني هو الأوَّلُ، أو تكرارَهُ لأجلِ صِفَتِهِ[10]، ولا أنَّهُ لزيادةِ تأكيدِهِ[11].

والمُقرَّرُ بذلكَ الاختلافِ هو تخصيصُ الثاني بالصفةِ، ((وصفةُ النكرةِ للتخصيصِ، وهو إخراجُ الاسمِ من نوعٍ إلى نوعٍ أخصٍ منهُ))[12]، أو أنَّ الغرضَ من صفةِ النكرةِ ((التفضيلُ))[13] – تفضيلُ الميثاقُ الثاني على الأولِ – والعطفُ بينَ التركيبينِ يُمَثِّلُ قرينةً أُخرى تُعيِّنُ الاختلافَ بينَ ما أُخِذَ من النبيينَ من ميثاقٍ، وما أُخِذَ من هؤلاءِ الخمسةِ (صلوات اللهِ وسلامه عليهم أجمعين)، فالعطفُ يأتي ((إذا لم تتعلَّقْ إحدى الجُملتينِ بالأُخرى تَعلُّقاً ذاتيًّا، ولكنْ بينهما مناسبةٌ، ثُمَّ إنَّهُ لا يخلو إمَّا أنْ يكونَ المُحدَّثُ عَنهُ في الجملتينِ شيئينِ أو شيئاً واحداً، فإنْ تعدَّدَ فلا يخلو: إمَّا أنْ تَكونَ المناسبةُ بينَ الشيئينِ اللذينِ أُخبِرَ

---

(١) تهذيب اللغة: ٢/ ١٥٢–١٥٤، مادةُ: عزم.

(٢) مقاييس اللغة: ٦٦٨.

(٣) القاموس المحيط: ١٠٥٨.

(٤) لسان العرب: ٤/ ٢٩٣٢.

(٥) الصحاح: ٤/ ١٥٦٢–١٥٦٣، مادةُ: وثَق.

(٦) مقاييس اللغة: ٩٤٧، المادةُ نفسها

(٧) المفردات في غريب القرآن: ٥١٢٧.

(٨) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٤٢.

(٩) الأحزاب: ٧.

(١٠) البحر المحيط: ٧/ ٢٠٩.

(١١) التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٧٥.

(١٢) شرح المفصل: ٢/ ٢٣٣، وهمع الهوامع: ٣/ ١١٧.

(١٣) أسرار العربية: ٢٩٣.

عنُهما فقط، أو بينَ اللذينِ أُخبِرَ بِهما فقط، أو تكونُ حاصلةً من الوجهينِ جميعاً وهذا هو المعتبرُ في إدخالِ العاطف))[1]، كما أنَّ ذلك العطفَ ((مبنيٌ على تنزيلِ التغايُرِ العنواني منزلةَ التغايُرِ الذاتي تفخيماً لشأنِه))[2]، فعلى الرَغَمِ مِمَّا سَبَقَ، فإنَّ الانزياحَ الطارِئَ على التركيبِ يُنبِّئُ عن دليلٍ آخرٍ للإقرارِ بالاختلافِ والتغايُرِ بينَ الميثاقينِ والإقرارِ بالتسويةِ فيما بينَ المُصطلحينِ: (العزم والميثاق) والانزياحُ يكمُنُ في العدولِ عن ((وإذ أخذنا الميثاقَ مِنَ النبيينَ)) إلى (وإذ أخذنا مِن النبيينَ ميثاقَهُم) أي العدولُ عن التعريفِ بـ ((الألفِ واللامِ)) إلى التعريفِ بـ ((الإضافةِ)) المفيدةِ للتخصيصِ، والموحي بأنَّ الميثاقَ خاصٌ بِهِم لا بِغيرِهِم، فضلاً عن ما سَبَقَ فإنَّ ورودَ (مِنْ) الجارةِ في (من النبيين)، التي هي لبيانِ الجنسِ[3]، و (مِنْ) في (منك) الدالةِ على ابتداءِ الغايةِ[4]، إيحاءٌ بأنَّ الميثاقَ الثاني، وهو ((الميثاقُ الغليظُ)) قد ابتدأ من محمدٍ ﷺ حيثُ وَرَدَ عن "ابن عباس" (ت٦٨ هـ) – رضي اللهُ عنهُ – أنَّهُ قالَ: ((قيل: يا رسولُ اللهِ، متى أُخِذَ ميثاقُكَ؟ قالَ: وآدمُ بينَ الروحِ والجسدِ))[5]، فـ (مِنْ) في كِلا الحالينِ تُعَدُّ قرينةً مُعيِّنةً لاختلافِ الميثاقينِ وللتمييزِ بين الأنبياءِ والرُّسُلِ، وبأنَّ هؤلاءَ الخمسةَ هُم أولو العزمِ، فلو لم يكُنْ كذلكَ لَما ذُكِرَ أسماءُ بعضٍ من الرُّسُلِ، فَوجهُ تخصيصِهِم بالذكرِ ((الإعلامُ بِأنَّ لَهُم مزيدَ شرفٍ وفضلٍ، لِكونِهِم من أصحابِ الشرائعِ المشهورةِ ومن أولي العزمِ من الرُّسُلِ))[6]، والعدولُ عن التعريفِ في الميثاقِ الأوَّلِ وهو (ميثاقُهُم) إلى تنكيرِ الثاني (ميثاقاً) إيحاءٌ بالفرقِ بينهما، وبِأنَّ ما أُخِذَ من النبيينَ مُختلفٌ عمَّا أُخِذَ من الرُّسُلِ، والتنكيرُ لتعظيمِ ذلكَ الميثاقِ، وقد ذَكَرَتْ مصادرُ التفسيرِ نقلاً عن التابعينِ أنَّ أولي العزمِ من الرُّسُلِ الواردةِ في الآيةِ السابقةِ هُم: نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد[7] ﷺ، فقد وَرَدَ عنْ" صحابي" قالَ: أولو العزمِ من الرُّسُلِ: النبيُّ ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى[8]عليهم الصلاةُ والسلامُ، كما وردتْ من القرائنِ المقاليةِ ما ينفي مُطلقَ صفةَ العزمِ لِكُلِّ الأنبياءِ والرُّسُلِ، قالَ تعالى في آدم[9] عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ١٩٧، والطراز: ٢/ ٢٨.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٧/ ٩٢، وروح المعاني: ٢١/ ١٥٤.

(٣) يُنظر: مغني اللبيب: ٤/ ١٤٠، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٤١٧، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٧٧.

(٤) يُنظر: همع الهوامع: ٢/ ٣٧٦.

(٥) المُعجمُ الكبير: ١٢/ ١١٩، رَقَمُ الحديث: ١٢٦٤٦، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١١/ ٧٣٣.

(٦) فتح القدير: ٤/ ٣٤٧.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/ ١٧٧، ويُنظر: معاني القرآن، النحاس: ٦/ ٤٥٥، وقاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر: ٣٢٥.

(٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١٣/ ٣٤٦، وروح المعاني: ٢٦/ ٣٥.

(٩) تفسير مبهمات القرآن: ٢/ ٥٠٥.

عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾[1]، **وقال تعالى في يونس**[2]، عليه السلام **مُخاطِباً رَسولَهُ الكريمَ محمداً** ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾[3]، **الذي يبدو أنَّ مُصطلحَ العزمِ جامِعٌ لِكلِّ الصِفاتِ التي تحلَّى بها هؤلاءِ الخمسة، والتي سبقتِ الإشارةُ إليها، تِلكَ التي أهلَّتْ هؤلاءِ الخمسة لأنْ يكونوا صاحِبَ الميثاقِ الغليظ، أي الخروجُ مِن إحداها هو الخروجُ مِن ذلِكَ المصطلحِ ونقضٌ للميثاق، وهذا هو السببُ في عدمِ اشتمالِ المصطلح كلِّ الأنبياءِ والرُّسل.**

(١) طه: ١١٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٧/ ٦٣٥، وتفسير مبهمات القرآن: ٢/ ٥٠٨.

(٣) القلم: ٤٨.

الفصل الأوّل

التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ

سيِّدِنا نوح عليه السلام

الوصف المفرد في التركيب الاسمي المبدوءِ بـ (لكنَّ) الاستدراكية :

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام مُخاطباً قومَه وواصفاً نفسهُ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فقالَ: (وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) فقد خاطبَ نوحٌ عليه السلام قومَهُ فقالَ: يا قومِ ليس بي ضلالةٌ ولكني رسولٌ إليكم من ربِّ العالمينَ آمُركُم بإخلاصِ التوحيدِ للهِ وإفرادِهِ بالطاعةِ والإقرارِ له بالوحدانية، والبراءةِ من الأندادِ والآلهةِ[2]، فالتركيبُ الاسمي الواصفُ بوحداتِهِ اللغويةِ وضِمنَ سياقِ الآياتِ السابقةِ واللاحقةِ لَه التي فيها تحذيرُ نوحٍ عليه السلام وتنبيهُهُ لقومِهِ المُعادينَ والمُستهزئينَ بِهِ وبدعوتِهِ الإيمانية منِ الوعيدِ المَعدِّ لَهُم، قال تعالى:﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأٞ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾[3] فهذا التركيب الاسمي يوحي بدلالاتٍ عدّة، فوردُ (الواو) عاطفةً[4]، دالة على الجمعِ[5]، وإشراك الثاني فيما دخل فيه الأول[6]، إيحاءٌ بأنّهُ قد حصلَ في التركيبينِ بالعطفِ القائمِ بينهما إيضاحٌ وتبيينٌ، كأنَّ في الكلامِ السابقِ نوع خفاء، والمقام مقام إزالة لهُ[7]، وورود (لكنَّ) المفيدة للاستدراكِ والتوكيدِ[8]، والإيضاحِ[9]، والتي لا تقعُ إلاَّ بين كلامينِ متغايرينِ في النفي والإيجابِ، لتحقيقِ الاستدراكِ[10] يسهمُ في تشكيلِ نسيجٍ لإبرازِ الصورةِ الحقيقيةِ وإيضاحِها لِما تمتلكُهُ

---

(١) الأعراف : ٥٩– ٦٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢/ ٥٠٠، وروح المعاني: ٨/ ١٥١.

(٣) الأعراف: ٥٩–٦٤.

(٤) إعراب القرآن وبيانه:٨/ ٥٦٩.

(٥) يُنظر: همع الهوامع: ٣/ ١٥٥.

(٦) المقتضب: ١/ ١٤٨.

(٧) مفتاح العلوم: ٣٦١.

(٨) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٦، والجنى الداني: ٦١٥– ٦١٦، وهمع الهوامع: ٣/ ١٨٤، ، وروح المعاني: ٨/ ١٥١.

(٩) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٢٩٦.

(١٠) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٦، وروح المعاني: ٨/ ١٥١.

صيغةُ: (رسولٌ) الوصف الواقعِ خبراً من نوح عليه السلام لقومه، فالتركيب الوصفي المذكور الذي هو خطابُ نوحٍ عليه السلام لقومه بالعطف والاستدراك الواقعين بين تركيبين يوحيان بأنَّ كليهما شاركَ في حكمٍ واحدٍ، وهو رفعُ ما توهمَّهُ قومُ نوحٍ عليه السلام من أنَّهُ في ضلالٍ حيثُ خالفَ دينَهُم[1]، قالَ "الزمخشري" (ت٥٣٨هـ): ((فإنْ قلتَ: كيفَ وقعَ قولُهُ (ولكنّي رسولٌ) استدراكاً للانتفاءِ عن الضلالةِ؟ قلتُ: كونُهُ رسولاً من اللهِ مُبلِّغاً رسالاته ناصحاً، في كونهِ على الصراطِ المستقيمِ، فصَّحَ لذلك أنْ يكون استدراكاً للانتفاءِ عن الضلالةِ))[2]، أمَّا العطفُ فوظيفتُهُ هُنا في رفعِ التوهمِ تَتَجسَّدُ في أنَّ نوحاً عليه السلام أجابَ قومَهُ بنفي الضلالةِ عن نفسه: (ليسَ بي ضلالةٌ) بصيغةٍ أبلغَ ممَّا توهَّموهُ، وذلكَ بالعدولِ عن صيغةِ ((ضلال)) إلى صيغةِ (ضلالةٌ)، لأنَّ نفي الضلالةِ أبلغُ من نفي الضلالِ عنه، فالأسماءُ المفردةُ الواقعةُ على الجنسِ التي يكونُ بينها وبينَ واحدِها تاءُ التأنيثِ، فإنَّهُ متى أُريدَ النفي كان استعمال واحدِها أبلغَ، ومتى أُريدَ الإثباتُ كانَ استعمالها أبلغُ[3]، كما قيل: ألكَ تَمْرٌ؟ فقيل في الجوابِ: ما لي تَمْرةٌ[4]، كأنَّهُ عليه السلام لَمَّا اتهمَهُ قومَهُ بِأنَّهُ في ضلالٍ مُبينٍ، قالَ لِقومِهِ: لَيسَ بِيَّ ضلالَةٌ واحِدةٌ، فكيفَ أكونُ في ضلالٍ؟ فالمقام يقتضي أنّهُ عليه السلام مادامَ قد بالغَ في نفي الضلالِ عن نفسهِ فماذا يكون؟ لذا كانَ لابُدَّ أنْ يحلَّ محل الضلالِ صفة ثابتة تُعبِّرُ عن نوحٍ عليه السلام، لإزالةِ اللبسِ والخطأِ وإبعادِ الشكِّ والتوهُمِ عن نفسهِ عليه السلام، وذلكَ بتحريكِ إدراكِهم، وهذه الصفةُ تدلُّ على الثباتِ والطبعِ والدوامِ دون الحدوثِ والتغيرِ، وهي: (رسولٌ) الدالة على الثبوتِ كونها من صيغِ الصفةِ المشبهةِ: ((فَعولٌ))، لأنَّ الصفة المشبهة للدوام، والمرادُ بالدوامِ الثبوتُ، لأنّها لَمَّا لَم تدُلُ على التجدُدِ، ثبتَ لَها الدوامُ بِمُقتضى العقلِ، إذ الأصلُ في كلِ ثابتٍ دوامه[5]، فـ (رسولٌ) معنى دونَ الصيغةِ مشتقٌ من ((أُرْسِلَ، يُرسَلُ فهو مُرسَلٌ)) على وزنِ: ((مُفْعَلٌ)) فهو اسمُ مفعولٍ دالٌّ على الحدثِ وصاحبِهِ الّذي وقعَ عليهِ، المفيد للحدوثِ فلا يمتدُّ إلى الماضي ولا إلى المستقبلِ إلاَّ بقرينةٍ[6]، فالعدولُ عن صيغةِ ((مُرْسلٌ)) إلى (رسولٌ) هو لإبعادِ كلِّ ما ينقضُ ثبوتَ صفةَ الرسولِ لنوحٍ عليه السلام، ويعرِّضُها للشَّكِ والتوهُّمِ والتردُّدِ من قومهِ. أمَّا تخصيصُ الخبرِ بالنعتِ – المؤولِ من عبارةِ: (من ربِّ العالمين) المتعلقِ بمحذوفٍ وقعَ صفةً للرسولِ[7]، فهو تعظيمٌ لِشأنهِ عليه السلام وإقرارٌ بثبوتِ صفتهِ، وورودُ (مِنْ) الجارةِ التي هي لابتداءِ

---

(١) التحرير والتنوير: ٨/ ١٩٣.

(٢) الكشاف: ٢/ ١١٠.

(٣) المثل السائر: ٢/ ٢٠٣، ويُنظر: روح المعاني: ٨/ ١٥٠.

(٤) المثل السائر: ٢/ ٢٠٥، ويُنظر: روح المعاني: ٨/ ١٥٠.

(٥) حاشية الخضري: ٢/ ٣٥، والنحو الوافي: ٣/ ٢١٢.

(٦) التفسير الكبير: ٤/ ١٥٦– ١٥٧.

(٧) الإعراب المفصل: ٤/ ٥، والجدول في إعراب القرآن: ٨/ ٤٤٢.

الغايةِ[1]، تُفيدُ أنَّ رسالتَه عليه السلام من ربِّ العالمينَ، ولـيس مـن الآلهـةِ المتعـددةِ الـتي كـان قومُـهُ يعبـدونها، وجعلنَهم يعيشونَ عبيداً لِلملأِ الذينَ أوقعوا القوم في الشكِّ والوهمِ والضلالِ، فكانوا يملؤنَ صدورَ المجالس، التي تمتلئ من هيبتهم، وتمتلئُ الأبصارُ من رؤيتهم، وتتوجهُ العيونُ في المحافـلِ إلـيهم[2]، كمـا يسـتوحى من خطابِه عليه السلام المُسْتَفتَحِ بـ (يا قوم) لِما فيهِ من دلالةِ التلطفِ والترحمِ بهـم[3]، إنَّـهُ كـانَ لطبقـةِ العبيـدِ والضُّعفاءِ، وليس للملأِ الذين يفعلونَ كلَّ شيءٍ لأجلِ الاحتفاظِ بِمصالِحهم، ويقبحونَ الحقـائِقَ أمـامَ أعـيُنِ قومِهم، كما يوحي (رسولٌ) بِأنَّهُ إجمالٌ لمُهماتِ الرسولِ قُصِدَ منهُ إثبات صـفة الرسـولِ، والتفصـيلُ مـن التراكيبِ الفعليةِ التي جاءتْ بعدَهُ وهي: (أُبلِّغُكم)، (أنصحُ لَكُم)، (أعلمُ من الله ما لا تعلمون) الواردة علـى لِسانِ نوحٍ عليه السلام إبرازٌ لوظيفته، وإيحاءٌ بأنَّ حالَ قومِهِ مهدّدٌ بالعـذابِ والهـلاك، فتلـكَ التراكيـب دالـة علـى التغير الواقعِ بالقومِ مستقبلاً [4]، والانتقالُ من الاسميةِ إلى الفعليةِ هُنا لِقصدِ توكيدِ ما يتعرَّضُ حالُ القومِ للهلاكِ إنْ لم يؤمنوا برسالتِه، لأنَّ العدولَ عن أحدِ الخطابينِ إلى الآخرِ لضربٍ من التوكيدِ والمبالغةِ[5].

(١) يُنظر: مغني اللبيب: ٤/ ١٣٦، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٧٦، وروح المعاني: ٨/ ١٥٢.

(٢) التفسيرُ الكبير: ١٤/ ١٥٦–١٥٧.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ٣٢٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٨/ ١٩٣– ١٩٤.

(٥) المثل السائر: ٢/ ٢٣٤.

الوصف الثنائي الواقع في التركيب الشرطي:

قال تعالى في وصف نوح على لسانه عليه السلام: ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]، فقال: (يقومِ إنْ كانَ كَبُرَ عليكُم مقامي وتذكيري بآياتِ اللهِ فعلى اللهِ توكلتُ): أي عَظُمَ قيامي ومُكثي بينَ أظهُركُم مدَدًا طِوالاً ألفَ سَنَةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً[2]، أو طولَ مقامي فيكُم[3]، وردت الآيةُ في سياقِ آياتٍ تُصوِّرُ حالَ أولياءِ اللهِ يَطمئنُ قلوبَهم من المخاوفِ عندَ الشدائد، ويثبتُ أقدامَهُم، ويشُدُّهُم على الصبرِ والعزمِ والصمود، وأنَّ أعداءَ اللهِ والمفترينَ بهِ وبأوليائِهِ لا يُفلحونَ – قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾[4]، وقد تضمّنَت الآيةُ وصفاً لنوحٍ عليه السلام مُتَّخذاً التركيبَ الشرطي من بين التراكيبِ الواردةِ فيها موطناً للإيحاءِ بالوصف، فالتركيب الوصفي– (إنْ كانَ كبُرَ عليكم مقامي وتذكيري بآياتِ اللهِ فعلى اللهِ توكلتُ) – بشطريهِ يُشاركانِ في تجسيدِ الوصف، ففي الشطرِ الأولِ (إنْ كانَ كبُرَ عليكُم مقامي وتذكيري بآياتِ اللهِ) إظهارٌ للقوةِ وإفراجٌ للنفسِ الطويلِ الممتزجِ بالصبرِ والعزمِ والأسى أمامَ قومهِ عليه السلام، فتقيُّدُ الفعلِ بالشرطِ لأمورٍ لا تُعرفُ إلاَّ بمعرفةِ ما بينَ أدواتِهِ من التفصيل[5]، فورود (إنْ) الشرطيةِ الدالةِ على الاستقبال[6]، لتنزيلِ المخاطَبِ منزلةَ الجاهلِ لعدمِ جريهِ على موجَبِ العلمِ[7]، لأنَّ (كبُرَ) – الَّذي على صيغةِ: ((فَعُلَ)) يَدُلُّ على الطبائعِ التي صارتْ ملكةً للفاعلِ بالتكرارِ والتكلف[8] – يُبيِّنُ مدى جهالةِ قومِ نوحٍ عليه السلام، وبدلالتهِ المعجميةِ – وهي: عَظُمَ الشيءُ والأمرُ[9]، أو شَقَّ، وثَقُلَ[10]، والَّذي يُستوحى منهُ المُبالَغةُ في الوصفِ – يُعبِّرُ عن حال نوح عليه السلام وحال قومه الحاقدينَ والنافرينَ منه عليه السلام ومن دعوته لهُم، لأنَّ الطباع المشغوفة بالدنيا الحريصة على طلبِ اللذاتِ العاجلة تكونُ شديدةَ النفرةِ عن الأمر بالطاعات والنهي عن

---

(١) يونس : ٧١.

(٢) الكشاف: ٢/ ٣٤٦.

(٣) البحر المحيط: ١٧٦/٥.

(٤) يونس: ٦٢–٧٠.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١١٦.

(٦) شرح المفصل: ٤/ ١٠٥، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١١٧، والجنى الداني: ٢٠٧.

(٧) مفتاح العلوم: ٣٤٦.

(٨) شرح شافية، ابن الحاجب: ١/ ٢٤٥.

(٩) تهذيب اللغة: ١٠/ ٢١٤، مادةُ: كبر.

(١٠) الكشاف: ٢/ ٣٤٦، ومختار الصحاح: ٥٦١، والمعجم الوسيط: ٢/ ٧٧٢.

المعاصي والمنكرات – قويةَ الكراهة لسماعِ ذكرِ الموتِ وتقبيحِ صورةِ الدنيا، ومن كانَ كذلكَ، فإنَّهُ يستثقلُ مَن يأمُرهُ بالمعروفِ وينهاهُ عن المنكرِ[1]، ومجيء ((على)) الدَّال على الاستعلاء[2]في (عليكم) إيحاءٌ بالثقلِ الّذي وقعَ على قومه عليه السلام، أي الثقلُ المُتأتي من إقامتِه المديدة بينِ ظهرانيهم وتذكيرِه المُستمر، كما يُستمدُّ من عبارةِ (إنْ كان كبُرَ) أنَّ خطابَه عليه السلام يمتزجُ بالمواساةِ لقومه وهو المستوحى من ندائهِ بـ (يا قوم) الدال على سعةِ صدره، والتلطف بهم[3]، فضلاً عن التوبيخِ المستمدِّ من (إنْ)[4]، لأنَّ المقامَ يقتضي ذلك، فهُم قد أظهروا معاداتهم للهِ ورسوله مُنذُ البداية حتَّى النهاية، والقرينة الموحية بذلك هي (كان) الناقصة، لأنَّها تُذكِّرُ بالماضي المُقترن بالحالِ الّذي وجَّهَ فيه عليه السلام لقومه الممتدِّ إلى الاستقبال، لأنَّ (إنْ) إذا وقعَ بعدها الماضي، أحالَ معناهُ إلى الاستقبال[5]، لأنِّ دِلالَةَ الفعلِ التجدُّدُ، واللازمُ للزمانِ التجدُّدُ، أي الحصول شيئاً فشيئاً على وجه الاستمرار[6]، كما يستوحى من (إنْ كانَ كبُرَ عليكم مقامي وتذكيري) وجود قوتينِ متعاكستينِ متجهتينِ نحو بعضِهما، وهما: قوةٌ متغيرةٌ متجددةٌ نحو الفساد والاقتراب من الانحطاطِ والغرقِ، وقوةٌ تلتزمُ الثبوت والصمود نحو الفوز والنجاة، فمجيء عبارة (مقامي وتذكيري) يُبرزُ تلكَ القوةَ الثابتةَ والمتجهةَ نحو الأثبت، ومجيء (مقام) وهو مصدرٌ ميميٌ[7]، مرادفٌ للقيامِ[8]، فالمقام ((بفتحِ الميمِ)) مصدر كالإقامةِ[9]، لأنَّ المصدرَ هو اللفظُ الدالِّ على الحدثِ – مجرداً عن الزمانِ[10] – يدلُّ على الثبوتِ، وإضافة ((مقام)) إلى ضميرِ المتكلمِ الدال على التملكِ توحي بدلالة الثبوتِ والانتصابِ المستمرِ للقيامِ بفعلِ الدعوةِ وإظهارِ العزيمةِ والصبرِ تجاه ما يلاقيه من قومِه من الأذى ممَّا يزيدُ من إصرارِه على فعلِ الدعوة، كما أنَّ ورودَ (تذكير) وهو مصدرٌ من: ((فعَّلَ)) على تفعيلٍ، ذكَّر تذكيراً[11]، و ((فعَّل)) للتكثير غالباً[12]، ووقوعُ (الواو) الدالة على إشراكِ الثاني فيما دخلَ فيه

---

(١) التفسير الكبير : ١٧/ ١٤٣.

(٢) يُنظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٠.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ٣٢٤.

(٤) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١١٩.

(٥) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ١٠٧.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١١٣.

(٧) المصدر الميمي: ((يصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي وغير الثلاثي صيغة قياسية، تلازم الإفراد والتذكير، وتؤدي ما يؤديه هذا المصدر الأصلي من الدلالة على المعنى المجرد ومن العمل، لكنها تفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها)): النحو الوافي: ٣/ ١٨٢.

(٨) التحرير والتنوير: ١١/ ٢٣٧.

(٩) التفسير الكبير : ١٧/ ١٤٢، وروح المعاني: ١١/ ١٥٧.

(١٠) اللباب في علل البناء والإعراب: ١٨٥.

(١١) شرح شافية، ابن الحاجب: ١/ ٢٩٧، والجدول في إعراب القرآن: ٦/ ١٧٢.

(١٢) يُنظر: شرح شافية، ابن الحاجب: ١/ ٢٥١.

الأول[1]، بين (مقامي) و(تذكيري) إصرار وردٌّ من نوح عليه السلام لقومه بأسلوبٍ توبيخي ممتزج بالتلطُف، بأنَّهُم مهما أظهروا معاداتهم ومَللهم، فإنَّ إقامَتَهُ سوفَ تستمرُ فيما بينهم، و(الواو) توحي بأنّ الإقامةَ سوف يترتبُ، عليها التذكير المستمر بآياتِ الله تعالى لهم، أي أنَّ العزيمةَ المديدةَ والصبرَ الطويلَ لنوحِ عليه السلام تتناسبُ طردياً مع الانزعاجِ والملل الصادرِ من قومه، وعطف ((التذكير)) على ((مقامي)) من عطف الخاص على العام[2]، أو عطفُ المُسَبَبِ على السببِ، وعلَةُ مجيئِها بهذه الصيغة تكمُنُ في أنَّ الإقامةَ والاستقرارَ في المكان هي الممهد الأول للقيامِ بوظيفةِ التذكيرِ بآيات الله ودعوة قومه، إذنْ أهميتُها أكبرُ ولِذلك قُدمتْ فلولاها لَما حصلَ التذكير.

أمَّا الشطرُ الثاني وهو جواب الشرطِ، فهناك من ذهبَ إلى أنَّ جوابَ الشرط[3]، (فعلى الله توكلتُ)، أو أنَّ الجوابَ محذوفٌ، تقديرهُ فافعلوا ما شئتم[4]، أو الجوابَ هو (فاجمعوا) و (فعلى الله توكلتُ) جملة أو كلام اعترضَ به بين الشرطِ و جزائه[5]، كما تقولُ في الكلام: ((إنْ كنتَ أنكرتَ عليّ شيئاً فاللهُ حسبي فاعملْ ما تريدُ)) [6]، إلاَّ أنّ الأرجحَ هو أنَّ جوابَ الشرطِ هو (فعلى الله توكلتُ) فهو إجمالٌ، وما يأتي بعدَهُ تفصيل للإجمالِ أي: (فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون) [7]، لأنَّ الدلالةَ تستقرُ بِما سبقَ ذِكره، لأنَّه لو كان (فاجمعوا ....) جواباً لمَّا استقرتِ الدلالةُ على نحو: (إن كان كبر عليكم ... فاجمعوا)، لأنَّ القومَ أظهروا مواجهتهم ومعاداتهم لنوحٍ عليه السلام، إلاَّ أنَّ نوحاً عليه السلام بعدَ أنْ أظهرَ ضعفَهُ وأسندَ الأمرَ للهِ في قولِه تعالى: (فعلى اللهِ توكلتُ)، أظهرَ مواجهتَهُ دون أنْ يُسندَ الأمرَ إلى الذين استجابوا لدعوته، لأنَّهُ لو لم يكن كذلك لكان نوحٌ عليه السلام قد اسندَ أمرهُ إلى غير الله، أي بنفسه وبالذينَ آمنوا به، لأنَّ (فعلى الله توكلتُ) إيحاءٌ بأنَّ صبرَهُ عليه السلام وعزمَهُ ومُكثَهُ المديد، قد توقَّفَ على التوكُلِ المُتجددِ والمستمرِ على اللهِ، لِما في تقديمِ الجارِ والمجرور: (على اللهِ) على فعلِ التوكُلِ من دلالةِ الحصرِ والاختصاص، أي: توكلتُ على اللهِ لا على غيرِه.

---

(١) يُنظر: المقتضب: ١/ ١٤٨، وهمع الهوامع: ٣/ ١٥٥.

(٢) التحرير والتنوير: ١١/ ٢٣٧.

(٣) البحر المحيط: ٥/ ١٧٦، وروح المعاني: ١١/ ١٥٧، والتحرير والتنوير: ١١/ ٢٣٨، وإعراب القرآن وبيانه: ٣/ ٣٦٠، والجدول في إعراب القرآن: ٦/ ١٦٧.

(٤) البحر المحيط: ٥/ ١٧٦.

(٥) التفسير الكبير: ١٧/ ١٣٤، والبحر المحيط: ٥/ ١٧٧.

(٦) التفسير الكبير: ١٧/ ١٣٤.

(٧) يونس: ٧١.

الوصف الثنائي في التركيب الاسمي المؤكد:

قال تعالى في وصف سيدنا نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[1]، فكان كثير الشكر في جميعِ حالاته، وإنَّما يكونُ العبدُ شكوراً لو كانَ موحِّداً لا يرى حصول شيءٍ من النعمِ إلاَّ من فضلِ الله[2]، فهذا التركيب – بوحداتهِ اللغويةِ شكَّلَ صورة العبد الشكور وهو نوح عليه السلام– إلاَّ أنَّ الصورةَ تكتملُ وتُبرِزُ حقيقتها ضمن السياق الذي هو التذكير بمنن الله تعالى ونِعَمه على عباده الأنبياءِ والرسلِ عليهم الصلاة والسلام، فقد قال تعالى في بدءِ السورة: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[3]، فالآياتُ المذكورةُ مقاماتٌ في غايةِ الأهميةِ في الاستقرارِ بدلالةِ التركيبِ الواصفِ، إلاَّ أنَّ تعلقَ هذا التركيب: (إنَّهُ كانَ عبداً شكوراً)، بالتركيبِ الآخرِ قبلَهُ: (ذريةَ من حملنا مع نوحٍ) أكثر من تعلقه بالآيات السابقة عليه، فالعبارةُ المذكورةُ تُبيِّنُ صورةً للكيفيةِ التي استجابَ بها نوح عليه السلام لنعم الله عليه، وقد تعددتِ الآراء بصددِ نصبِ (ذريةَ) هل هي منصوبة على الاختصاص؟[4]، أو منصوبة على النداءِ أي: يا ذريةَ من حملنا مع نوحٍ[5]، أو منصوبة على المدحِ، بإضمارِ الفعلِ: ((أعني)) أو ((أمدح))، والعربُ قد تنصبُ على المدحِ والذمِّ[6]، وأيَّاً كانَ التقدير فعبارة (ذريةَ من حملنا مع نوحٍ) صورة كامنة تستوحى منها نقطة التحول والانتقال في حياةِ نوحٍ عليه السلام من العبدِ الشاكرِ إلى العبدِ الشكورِ، أو أنَّها تمثلُ نقطةَ الانطلاقِ في الصعودِ بمراتبِ الشكرِ ودرجاته، ونقطةَ الانتهاءِ بوصولهِ إلى رتبةِ (عبدٍ شكورٍ)، لأنَّ كلَّ ما شكرَ عليه نوح عليه السلام بعدَ مرحلة كونه ((عبداً شاكراً)) يُستمدُّ من عبارة (ذرية من حَمَلنا مع نوحٍ)، فقد شكرَ نوح عليه السلام حين جعلَهُ الله خليفة في الأرض مع المختارينَ من نسلِ البشريةِ، وشكر حينَ أنجاهُ اللهُ والمؤمنينَ بهِ من الغرقِ، ومن القرائنِ المقاليةِ التي تُسندُ دلالة ما سَبَقَ مجيء (إنَّ) المفيدة للتوكيدِ

---

(١) الإسراء : ٣.

(٢) التفسير الكبير: ٢/ ١٥٤، وروح المعاني: ١٥/ ١٥.

(٣) الإسراء: ١– ٣.

(٤) الكشاف: ٢/ ٦٢٣، وروح المعاني: ١٥/ ١٥، والتحرير والتنوير: ١٥/ ٢٥، وإعراب القرآن وبيانهُ: ١٥/ ٣٢١.

(٥) معاني القرآن وإعرابهُ، الزجاج: ٣/ ٩٥، ومشكل إعراب القرآن القيسي: ٢٨٨، والكشاف: ٢/ ٦٢٣، والتفسير الكبير: ٢٠/ ١٥٥، والبحر المحيط: ٦/ ٧، والتحرير والتنوير: ١٥/ ٢٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ١٩.

وتحقيق مضمون التركيب[1]، لما فيهِ من الخبرِ المرادِ منه إقرارهُ وإبرازهُ لكونهِ خبراً جديداً لم يكنْ معلوماً لدى السامعِ، لأنَّ مجيءَ (إنَّ) تنزيل لمنزلةِ من يجهلُ ذلك[2] الخبر، فضلاً عن إفادتها التعليل[3]، في هذا السياقِ، أي ما قبلَ (إنَّ) تعليل لما بعدها، وأدائها وظيفة الربط[4].

ومجيء (كان) الناقصة قرينة أخرى ضمن التركيب الوصفي لإفادتِها زمان الخبر[5]، تدلُّ على كائنيةِ (عبداً) في نوحٍ عليه السلام مُنذُ زمنٍ راهنٍ ومستمرٍ، والوصف بالعبدِ يحملُ كل معاني الإيمان من الشكرِ والطاعةِ للهِ والصدقِ والصبرِ، أي أنَّ نوحاً عليه السلام كان عبداً شاكراً، والنكتة الانتقالية تكمن في تخصيصِ (عبداً) بالنعتِ[6]، وهو (شكوراً) بصيغةِ ((فعولٌ))، فهي صيغةُ مبالغةٍ من اسم الفاعلِ دال على المبالغة والتكثير[7]، والمبالغة هي أنْ تُثبِتَ للشيءِ أكثرَ ممَّا لهُ [8]، وهذه حقيقة واضحة من مواقفِ نوح عليه السلام التي شكرَ اللهَ فيها، ووظيفة النعت هي إخراج المنعوت من نوعٍ إلى نوعٍ أخص منه[9]، وقد أشارَ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى العلاقة الدلالية فيما بين التركيب الوصفي والعبارة بقولهِ: ((فإنْ قلتَ: قولهُ: (إنَّهُ كان عبداً شكوراً) ما وجه ملاءمته لِما قبله؟ قلتُ: كأنَّهُ قيل: لا تتخذوا من دوني وكيلاً، ولا تشركوا بي، لأنَّ نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً، وأنتم ذرية مَن آمن به، وحملَ معهُ، فاجعلوهُ أُسوتكم، كما جعلهُ آباؤكم أُسوتهم))[10].

---

(١) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٢٦، ومغني اللبيب: ١/ ٢٢٧، ورصف المباني: ١٩٨، ومعاني النحو: ١/ ٢٦١.

(٢) التحرير والتنوير: ١٥/ ٢٧.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٠٦– ٤٠٧، والإتقان: ٤/ ١٠٦٣، والإعراب المفصل: ٦/ ٢٤٠، ومعاني النحو: ١/ ٢٦٦.

(٤) معاني النحو: ١/ ٢٦٤.

(٥) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٣٤٤.

(٦) الإعراب المفصل: ٦/ ٢٤٠، والجدول في الإعراب القرآن: ١٥/ ٩.

(٧) الأصول، ابن السراج: ١/ ١٢٤، ومفتاح العلوم: ٩٧، والصرف الواضح: ١٥٨.

(٨) البرهان: ٢/ ٥٠٧– ٥٠٨.

(٩) شرح المفصل: ٢/ ٢٤٤.

(١٠) الكشاف: ٢/ ٦٢٤.

الوصف الثنائي في التركيب الاسمي المؤكد:

ومِمَّا نحنُ بصدده في الوصف الثنائي الواقعِ في التركيب الاسمي المؤكد: قولهُ تعالى على لِسانِ نوحٍ عليه السلام مخاطِباً قومه وواصِفاً نفسه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[1]، أي: رسول من الله تعالى أرسلني لمصلحتِكُم، مشهور بالأمانةِ فيما بينكم[2]، فكيف تستمرونَ على الشرك وقد نهيتكم عنهُ[3]، وقد وردَ التركيب الوصفي في سياقِ جدالِ نوحِ عليه السلام معَ قومه لِتكذيبِهم برسالتِه، فقد قالَ تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4]، فورودُ التركيبِ الوصفي مُفتَتَحاً بـ (إنَّ) المؤكدة لمضمونِ الجملةِ[5]، يوحي بخبرٍ جديدٍ من نوحٍ عليه السلام لقومهِ لم يكنْ معلوماً لهم، وكانوا منكرينَ له عليه السلام، وهو أنَّ هؤلاء القوم لم يكونوا على علمٍ بأنَّ عذابَ اللهِ وغضبَهُ لم يحلْ بهم لقاء كذبهم برسولِهم وبرسالاته وشركهم بالله، لأنَّ نوحاً عليه السلام (رسولٌ أمينٌ) لهم، وإلاَّ فهم كانوا مستحقينَ العذاب من اللهِ، لأنَّ قولَهُ: (ألا تتقون) صَدَرَ بعد أنْ دعاهم من قبل وكرَّرَ دعوتهم إذ رآهُم مصرِّينَ على الكفرِ[6]، فـ (ألا) الاستفتاحية الدالة على التنبيه والتأكيد[7]، وأفادتها تحقيق ما بعدها[8]، تُشيرُ إلى أنَّ القومَ كانوا غافلينَ غير عالمينَ بما أخبرهم به نوح عليه السلام، أمَّا ما يخصُّ الوصفينِ الواردين: (رسولٌ) و(أمينٌ) في التركيب، الواقعِ أحدهما خَبراً لِـ (إنَّ) والثاني نعتاً للخبرِ، فهما صفتانِ مشبهتانِ، أمَّا القرائنُ التي تُعيِّنُ ثبوت الصفتينِ فهي قرينة الاسمية للتركيب، وقرينة الصياغة، فالصفة المشبهة باسمِ الفاعلِ لا تُصاغُ إلاَّ من فعل لازم لِتدُلَّ على معنى ثابت[9]، إلاَّ أنَّ (رسولٌ) فعلَهُ: ((أرْسَلَ يُرْسَلُ)) أي أرسلَهُ اللهُ فهو مرْسَلٌ، فالفعل متعد للمفعولِ وليس لازماً، إلاَّ أنَّهُ لا يُعبِّرُ عن عددِ المراتِ التي أُرْسِلَ منها نوح عليه السلام لقومه، فهو ليسَ صيغةَ مُبالَغةٍ، قال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): ((فإذا قلتَ: ((رسولٌ)) لم ترد به معنى فعلٍ، إنَّما تريد أنَّ غيره أرسَلَهُ، والفعل منهُ أرْسلَ يُرْسَلُ، والمفعول مُرسَلٌ، وليس رسولٌ مكرَّراً من

---

(١) الشعراء: ١٠٧.

(٢) الكشاف: ٣/ ٣١٤، والتفسير الكبير: ٢٤/ ١٥٤، وروح المعاني: ١٩/ ١٠٧.

(٣) البحر المحيط: ٧/ ٢٩، والتحرير والتنوير: ١٩/ ١٥٨.

(٤) الشعراء: ١٠٥– ١١٠.

(٥) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٢٦، ومغني اللبيب: ١/ ٢٢٧.

(٦) التحرير والتنوير: ١٩/ ١٥٨.

(٧) يُنظر: حروف المعاني، الزجاج: ١١، والصاحبي في فقه اللغة: ٩٣، ومغني اللبيب: ١/ ٤٣٩–٤٤٠.

(٨) يُنظر: مغني اللبيب: ١/ ٤٤٠– ٤٤١.

(٩) شرح المفصل: ٤/ ١٠٨، وشرح شافية، ابن الحاجب: ١/ ٢٨٧، وهمع الهوامع: ٣/ ٢٨٧.

مُرسِلٍ، لأنَّ رسولاً قد يستقيمُ أنْ يكون أرسل مرة واحدة، فليس للمبالغة))[1]، أي أنَّ صيغَ المُبالغةِ ليستْ لغيرِ الثلاثي إلاَّ ما كانت فعلها يدلُّ على المبالغةِ والتكثيرِ[2]، أمَّا صيغة (أمينٌ) فهي ((فعيلٌ) صفة مشبهة كذلك، والقرائن الدالّة على ذلك هي نفسها الدالة على كونِ (رسولٌ) صفة مشبهة، إلاَّ أنَّ (أمينٌ) فعله يَرِدُ لازماً ومتعدياً وهو ((أمِنَ))، يُقالُ: أمِنَ مِنَ العذابِ، وأمِنَ العذابَ، وهو أحدُ الأبوابِ التي تُصاغُ منها الصفة المشبهة وهو باب: فَعِلَ يَفْعَلُ[3]، والتركيب الخبري المُؤَكَد :(إني لكم رسولٌ أمينٌ) بوصفيه تعبير عن شدةِ تعلقِ نوح عليه السلام بقومهِ ليتمكنَ من تليينِ قلوبهم نحو الإيمانِ باللهِ وتوحيدهِ، وإطاعتهم له عليه السلام، والقرائن الموحية بذلكَ التعلق مجيء لفظة: (أخوهم) في سياقِ الآيات أي: نسيبهم[4]، وإنَّ الأليقَ بالإخوةِ أنْ تقود إلى المسالمةِ والاطمئنانِ، والإيمانِ والتصديقِ، ولكنَّ القومَ لم يأبهوا لهذه الصلةِ، ولم تلنْ قلوبهم لدعوةِ أخيهم نوح عليه السلام [5]، فضلاً عن أنَّ ورودَ الجارِ والمجرورِ: (لكم) في التركيبِ الوصفي، فاصلاً بين المسندِ إليهِ والمسند يُعبرُ عن شدةِ تعلقه عليه السلام بقومه، لأنَّ ((اللام)) الجارةَ في (لكم) تُفيدُ التقوية والتعليل[6] أي: لأجلِ نفعكم من غيرِ أنْ أسألَكُم أجراً[7]، فضلاً عن أنَّ مجيءَ (إنَّ) المؤكدة المقترنة بضميرِ المتكلمِ يُعبرُ عن مشاعرِ نوح عليه السلام وأحاسيسِهِ تجاه قومه آملاً أنْ يتمكنَ من تليينِ قلوبهم للإيمانِ بالله وبرسالتهِ عليه السلام ويتولوا عن الشرك، فجاء هذان الوصفان: (رسولٌ أمينٌ) صفتينِ مشبهتينِ ليؤكدَ أنَّ نوحاً عليه السلام ثابت ملازم لهاتين الصفتينِ، مطبوع بهما من اللهِ دون تغير طارئ عليهما، كما يُبيِّنُ شدة حرصه عليه السلام وثباته على أداءِ وظيفةِ الدعوةِ من أجلِ رضا الله تعالى، فالأصل المتعدي في (رسولٌ) الموحي بالتكلف والاجتهاد المبذولِ من نوح عليه السلام لقومهِ يُعينُ مدى ذلك الحرص. وعلى الرغمِ منْ أنَّ التركيبَ الاسمي يعدُّ قرينة دالَّة على ثبوتِ الوصفينِ، إلاَّ أنّهُ يتضمَّنُ دلالتينِ: دلالة الثبوت بالبشارةِ، ودلالة تغير الحال بالإنذارِ، فالبشارة هي أنَّ نوحاً عليه السلام ثابت في صفته مستمر مع قومه إنْ أصلحوا واتقوا ربَّهم وآمنوا به، والإنذار بالعذابِ العظيمِ والأليمِ إنْ استمروا على أفعالِهم، فالبشارة قد ثبتتْ واستمرتْ مع الناجينَ المؤمنينَ باللهِ والمطيعينَ لنوحٍ عليه السلام وتحققَ الإنذارُ للمتمردينَ، فالازدواجية –((اللزوم والتعدي))– في أصلِ (أمينٌ) توحي بتلك الدلالة.

---

(١) المقتضب: ٢/ ١١٦.

(٢) من أسرار البيان القرآني: ٣٣.

(٣) شرح شافية، ابن الحاجب: ١/ ٢٨٧– ٢٨٨.

(٤) البحر المحيط: ٧/ ٢٩، وروح المعاني: ١٩/ ١٠٦، والتحرير والتنوير: ١٩/ ١٥٨.

(٥) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٠٧.

(٦) يُنظر: حروف المعاني: ٤٤، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: ٢٩٩.

(٧) روح المعاني: ١٩/ ١٠٦.

الوصف الثنائي في التركيب الاسمي المؤكد:

وقال تعالى في وصف نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، أي من المصدِّقينَ المُوحِّدينَ المُوقنينَ المُخلصينَ في العبوديةِ للهِ الموفينَ بالعهدِ في أداءِ الرسالةِ في قومهِ بالإحسانِ إليهم والصبر على أذاهم ومطاولته لهم[2]، فورود التركيب بهيئته ووحداته اللغوية الدالة على الوصفِ ضمن السياق الذي هو تصوير لندائهِ عليه السلام ربَّهُ وإجابة الله– تعالى– لَهُ، في قولهِ تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾[3] – يوحي بدلالاتٍ عدةٍ، فوقوعه تعليلاً بـ (إنَّ)، المؤدية لوظيفةِ التوكيدِ والتعليلِ والربطِ[4]، في هذا التركيب: (إنَّهُ من عبادنا المؤمنينَ)، هو لبيانِ إحسانه عليه السلام، واستحقاقه المجازاة الموصوفة[5]، (إنّا كذلك نجزي المُحسنين)، ولبيانِ أنَّ ما أنعمَ اللهُ على نوح عليه السلام من النعمِ الكثيرةِ على نحو ما مذكور في الآيات السابقة[6] – على التركيب الوصفي سببه أنَّ نوحاً عليه السلام من عباد الله المؤمنين، ويمكن تجسيد ما سبق القول في المعادلة الآتية:

علة كونهِ من عبادهِ المؤمنين نتج عنهُ = نادانا فلنعم المجيبون + نجيناهُ وأهلهُ من الكرب العظيم + جعلنا ذريتَهُ هُمُ الباقين + تركنا عليهِ في الآخرين + سلام على نوحٍ في العالمينَ.

أمَّا مجيء الوصفينِ: (من عبادنا) خبراً لـ (إنَّ)[7]، و(المؤمنين) نعتاً[8] للخبرِ، فالذي يستمد من شبهِ الجُملةِ (من عبادنا) أنّ (مِنْ) الجارّة في هذا المقام تدلُّ على التبعيض[9]، الذي يُضفي دلالةَ التخصيصِ والتعظيمِ لِما أتصفَ به نوح عليه السلام، أي أنَّ اللهَ تعالى قد خصَّصَهُ وبعَّضهُ مِن بينِ جمْع غفير مِن العِباد،

---

(١) الصافات: ٨١.

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز: ٧/ ٢٩٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٧/ ٢٣، وصفوة التفاسير: ٣/ ٩٦٩، وأساس البيان: ٤٤٩.

(٣) الصافات: ٧٣– ٨٠.

(٤) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٢٦، ورصف المباني: ١٤٢، ومغني اللبيب: ١/ ٢٢٧، والبرهان في علوم القُرآن: ٢/ ٤٠٦، ومعاني النحو: ١/ ٢٦٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٤٩، والتحرير والتنوير: ٢٣/ ١٣٤.

(٦) الصافات : ٧٣– ٧٩.

(٧) إعراب القرآن وبيانهُ: ٢٣/ ٤٠٠، والجدول في إعراب القرآن: ٢٣/ ٦٧.

(٨) م . ن: ٢٣/ ٤٠٠.

(٩) يُنظر: شرح المفصل: ٤/٤٥٩، ومغني اللبيب: ٤/ ١٣٩، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٤١٦، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٧٧.

فهو من عبادهِ المؤمنينَ، الذينَ هُم قِلَّة كما يوحي بِهِ جمعُ المُذكر (المؤمنين) قياساً بجميعِ العبادِ، فنوح عليه السلام قد ابتدأ حياته حادِثاً بالعزمِ والصبرِ قاطعاً مراحلها المديدة بِخرقِ الحواجزِ والعوائقِ الدنيويةِ المعيقة للهدي بالنفسِ والصعود بالمدرجات الإيمانية، من الإذلالِ بالنفس والهوى ولذاتِ الحياةِ، خاضعاً، مطيعاً، مسلماً، محسناً، لحينِ الفوز برتبةِ العبوديةِ، وهي الذروة والغاية الموصلة إلى رضى الله– سبحانه– وهذا الرضوان مجسَّد في التخصيصِ بالإضافةِ[1]، لأنَّ (عباد) إذا أضيفَ إلى ضميرِ الجلالةِ أُشعِرَ بالقُربِ ورفعِ الدرجةِ، واقتصارُ وصفِ العبادِ بالمؤمنينَ تنويه بشأنِ الإيمانِ ليزدادَ الذينَ آمنوا إيماناً[2] قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[3]، أمَّا وجهُ تخصيصِ وصف (عبادنا) بالنعتِ (المؤمنينَ)، فهو أنَّ نوحاً عليه السلام قد استحقَّ الوصفَ الأخصَّ، لأنَّ (المؤمنينَ) جمعُ مذكر سالم يفيدُ القلة[4]، هذا ما يبررُ التخصيص، أي أنَّ الفائزينَ بهذه الرتبة هُم قلة.

(١) اللباب في علل البناء والإعراب: ٢٦١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٣٤– ١٣٥.

(٣) الفرقان : ٦٣.

(٤) يُنظر: شرح المفصل: ٣/ ٢٢٤.

الوصف الثنائي في التركيب الاسمي المؤكد:

وقال تعالى على لسانِ نوحٍ عليه السلام مخاطِباً قومه وواصفاً نفسه: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[1]، فقال: (إنِّي لَكُم نذيرٌ مُبينٌ) أي: مخوِّف ومظهِر لحقيقةِ الأمر لكم بلسانكم الّذي تعرِفونَه، لأجلِ نفعِكم[2]، فهذا التركيب تعبير عن التقربِ والترحمِ، والإشفاقِ والملاطفةِ، والتحسرِ النابعِ من أعماقِ قلبِ نوحٍ عليه السلام تجاهَ قومه المتمردينَ عليهِ وعلى دعوته إيَّاهم إلى الإيمانِ باللهِ تعالى وبِصدقِ نبوَّتِه، وكلُّ ما سَبَقَ ذكره مِنْ معانٍ يتجسَّدُ في هذا التركيب: (يا قومِ إنِّي لَكُم نذيرٌ مُبينٌ) بما يتضمّن من عناصرٍ ووحداتٍ لغويةٍ تُمثِلُ قرائن مقالية ومقامية للوصولِ بالتركيبِ إلى تحقيقِ الغرضِ من ورائه، فافتتاح دعوته عليه السلام بالنداء: (يا قومِ)، وإضافة القوم إلى ضميرِ نفسه طلب لإقبالِ أذهانهم[3]وعواطفهم نحوه، وإشعارهم بمحبتِه وعطفه تجاههم، لأنَّ من مقاصدِ النداءِ التحبب[4]، ثُمَّ إنَّ مجيءَ (لكم) فاصِلاً بينَ اسمِ (إنَّ) وخبرِها، والتصاقُ (إنَّ) المُعللة بضميرِ المتكلم، تعبير بليغ عن الذاتِ الداخليةِ ليجسِّدَ بهِ مشاعرَهُ تجاه قومه، ومعللٌ لِذلكَ العذابِ الذي كانَ ينتظِرُهُم، لأنَّ العذابَ كان سبباً لأنْ تمتزِجَ العواطف بالإنذارِ، كما أنَّ التركيبَ يصوِّرُ طبيعة قومه العدوانية والمتمردة والمنكرة لرسالته وإنذاره، وورود (اللام) الجارة المفيدة للعلة والسببية[5]، للاهتمامِ بتقديمِ ما دلتْ عليه (اللام) من كونِ الإنذارِ لفائدتِهم لا لِفائدتِه[6]، وهذا تعبير عن شدةِ تعلقِه بقومه، أمَّا ورود الصيغتينِ الوصفيتينِ: (نذيرٌ مبينٌ) في التركيب، إحداهما خبراً[7] لـ (إنَّ)، والثانية نعتاً[8] للخبرِ، فالظاهر من السياق أنَّ (نذيرٌ) وهو: ((فعيلٌ)) صيغة مبالغة من (أنْذرَ) الثلاثي المزيد، مع أنَّ المطرد بناء أمثلة المبالغة من الثلاثي، إلاَّ أنَّهُ قد يُبنى من ((أفعلَ))، ((فعيلٌ)) كـ ((أنذرَ فهو نذيرٌ))[9]، وهذا يؤدي إلى أنَّ اشتقاقَ صيغة ((فعيل)) مرتبط بالفعلِ اللازمِ والمتعدي، إذ تُبنى غالباً مِنْ بابِ: ((فَعُلَ)) المضموم العين، قال المبردُ (ت ٢٨٥ هـ): ((والفعل الذي هو لِفَعيلٍ في الأصلِ إنَّما هو

---

(١) نوح : ٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢١/ ٢٥٠، وروح المعاني: ٢٩/ ٦٩.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٨٨.

(٤) النداء في اللغة والقرآن: ١٦٣.

(٥) يُنظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٢٩٩، وروح المعاني: ٢٩/ ٦٩، والحروف والأدوات تأثيرها على الأسماء والأفعال: ٧٦.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٨٨.

(٧) إعراب القرآن وبيانهُ: ٢٩/ ٧٥، والإعراب المفصل: ١٢/ ١٧٩.

(٨) إعراب القرآن وبيانهُ: ٢٩/ ٧٥.

(٩) يُنظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ١٠٣٤.

ما كان على: فَعُلَ، نحو: كَرُمَ فهو كريمٌ، وشَرُفَ فهو شريفٌ، وظَرُفَ فهو ظريفٌ، فما خرج إليه من باب عَلِمَ وشَهِدَ فهو ملحق به فإنْ قلتَ: راحِمٌ وعالِمٌ، وشاهِدٌ فهذا اسم الفاعل الذي يُرادُ به الفعلُ))[1]، أي الحدوث والتجدُّد، وأبرز معنى لِهذهِ الصيغةِ في الصفةِ هو الثبوتُ، ولم تُستعملْ للمُبالغةِ – سواء أكانت في اسمِ الفاعِلِ، أم المفعولِ، أم الصفةِ المُشبهةِ – إلاَّ حيثُ يمكنُ الكثرة، ولِمن صار لَهُ كالطبيعةِ[2]، أمَّا صيغةُ (مبينٌ) فهي اسم فاعلٍ من الفعلِ الثلاثي المزيدِ ((أبانَ)) المتعدي[3]، ووجهُ الكثرة في صيغةِ: (نذيرٌ) فضلاً عمَّا ذكرنا– يكمنُ في أنَّها تتضمَّنُ دلالتينِ في التركيبِ هما: الإنذار والبشارة على وجهِ التكرار، أي أنَّ الصيغةَ وردتْ تضاداً، فالجمع بين حدثِ الإنذارِ وبيانهِ وحدثِ البشارةِ وبيانه يُكثِّرُ الأحداثَ على وجهِ الكثرةِ والتكرارِ، ولأنَّ نوحاً عليه السلام أمرَ قومه بثلاثةِ أشياء: بِعبادةِ اللهِ، وتقواه وطاعة نفسه، قالَ تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[4]، ثُمَّ إنَّهُ لمَّا كلَّفَهُم بهذهِ الأُمورِ الثلاثة، وعدَهُم عليها بِشيئينِ، أحدهما: أنْ يزيلَ مضارَ الآخرة عنهم، والثاني: أنْ يزيلَ عنهم مضارَ الدنيا بقدرِ الإمكانِ، وذلك بأنْ يؤخِّرَ أجلهم إلى أقصى الإمكان[5]، قال تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾[6]، كما أنَّ التركيبَ: (إنِّي لَكُم نذيرٌ مبينٌ) بوصفيهِ يوحي بأنَّ (نذيرٌ مبينٌ) وردا مُجملينِ فصَّلتهما الآياتُ التي جاءتْ بعدَهُما[7]، وينبثقُ من قولِ التفصيلِ للصيغتينِ أنَّ (نذيرٌ مبينٌ) يدلانِ على الحالِ والاستقبالِ، لأنَّ تحقيقَ طلب نوح عليه السلام لقومهِ كان للحالِ والاستمرار عليهِ لحينِ مستقبلهم، وسبب العدول عَنْ ((بشيرٌ)) إلى (نذيرٌ) هو لكثرةِ ما أُنذروا، ولِقلةِ ميلهم واستجابتهم لدعوته عليه السلام و لقُربِ العذابِ المُعدِّ لَهُم، فضلاً عن ذلكَ فإنَّ نوحاً عليه السلام أرادَ أنْ يُحدثَ في نفوسِ قومهِ خشية وخيفة بكثرةِ إنذاراتهِ لهم، لِيُنقِذهُم من العذابِ وليرتدِعوا عمَّا هُم فيهِ من الجهلِ والضلالِ قالَ تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[8].

---

(١) يُنظر: المقتضب: ٢/ ١١٤.

(٢) يُنظر: همع الهوامع:٣/ ٥٩.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٨٨.

(٤) نوح: ٣.

(٥) التفسير الكبير: ٣٠/ ١٣٤.

(٦) نوح: ٤.

(٧) يُنظر: نوح: ٣– ٤.

(٨) نوح: ١.

الوصف الثنائي الواقع في التركيب الاسمي الحصري المؤكد:

قال تعالى في وصف نوح على لسانه عليه السلام : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ ﴾[1]، فقال: ﴿إِنۡ أَنَآ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[2]، أي: ليس من شأني أنْ أتَّبعَ شهواتكم وأطيبَ نفوسَكم بطردِ المؤمنينَ الذين صحَّ إيمانهم طمعاً في إيمانِكُم، وما عليَّ إلاَّ أنْ أُنذرَكُم إنذاراً بيِّناً بالبرهانِ الصحيح الّذي يتميزُ به الحقُّ من الباطل، ثُمّ أنتم أعلم بشأنكم[3]. إنَّ ورودَ الوصفِ في التركيبِ المذكورِ، يُرادُ بهِ الإنكار والجحود[4]، بطريق النفي بـ (إنْ)[5]، وأداة الحصر (إلاَّ)، وهذا يُسلَكُ مع مخاطَب يُعتقدُ فيه أنَّهُ مُخطِئٌ، ومصرٌّ على خطئِه[6]، فمثل هذا الأسلوب المسمى بالحصرِ في الاستثناء المفرغِ[7]، في خطابِ نوحٍ عليه السلام لقومه إثبات لشجاعته وعزيمته وجرأته وعدم مبالاته بما سيحيقُ به من قومه المعادينَ له ولدعوته، فمواقفه عليه السلام تُستمدُّ من الوصفينِ الواردينِ في الأسلوب الحصري، لأنَّ معنى القصر راجع إلى تخصيصِ الموصوفِ عند السامع بوصفٍ دون ثانٍ، لمن يتوهم أحد الوصفينِ من غير ترجيحٍ[8]، فقوم نوح عليه السلام كانوا مخطئينَ ومتوهمينَ للحقيقةِ التي تعرضَ عليهم بتوحيدِ الله وإطاعةِ رسولِه المبعوث إليهم من أجلِ إنقاذهم من ضلالةِ الشركِ إلى النورِ والحياةِ الإنسانيةِ المفطورةِ بِنعمِ الدنيا ونعيمِ الآخرةِ، إلاَّ أنَّ مواقفهم ومسوغاتهم وحججهم المستمرة والمكررة، ولا سيَّما حجتهم الأخيرة، حين اعتلَّوا في تركِ إيمانهم بإيمانِ مَن هو دونَهم، قد دلَّتْ على أنّهُم لم تثلجْ صدروهم للإيمان، إذ إتباع الحقِ لا يأنفُ منه أحد لوجودِ الشركةِ فيه لذا أخذوا في التهديد والوعيد[9]، فكلُّ ما سبقتِ الإشارة إليه يصوّره التركيب الوصفي (إنْ أنا إلاَّ نذيرٌ مبينٌ) بما يحتويه من عناصرٍ لغويةٍ، مجسّداً دقائق المواقف كلها سواء من نوحٍ عليه السلام أمْ من قومه، بمشاركةِ القرائنِ المقاليةِ والمقاميةِ، فبدأً بـ (إنْ) المفيدة لنفي الحال[10]، فجاءَ نفياً وردَّاً لطلبهم الحالي والنهائي الّذي جعلوه حجةً لإيمانهم بقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[11]، والذي يستمَّدُ منه موقف الثباتِ والصمودِ والتحدي وعدم التراجعِ هو مجيء الضمير: (أنا) الموحي بأنَّ خطابَ

---

(١) الشعراء : ١١١– ١١٦.

(٢) الشعراء : ١١٥.

(٣) الكشاف: ٣/ ٣١٥، والبحر المحيط: ٧/ ٣٠.

(٤) يُنظر: كتاب الأزهية في علم الحروف: ٥٣.

(٥) يُنظر: مغنى اللبيب: ١/ ١٢٦، والجنى الداني: ٢٠٩.

(٦) مفتاح العلوم: ٤٠٥.

(٧) يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٩٩، والجنى الداني: ٥١٤، والبرهان في علوم القُرآن: ٤/ ٢٤٠.

(٨) مفتاح العلوم: ٤٠٠.

(٩) البحر المحيط: ٧/ ٣٠.

(١٠) شرح المفصل: ٥/ ٣٩، ومغني اللبيب: ١/ ١٢٦، والجنى الداني: ٢٠٩، وهمع الهوامع: ١/ ٣٩٤، والإعراب المفصل: ٨/ ٢٢٠.

(١١) الشعراء: ١١١.

نوحٍ عليه السلام دارَ مع قومه وجهاً لوجهٍ، لأنَّ الحالَ الذي يقتضي كون المسند إليه مضمراً، هو إذا كان المقام مقام حكاية[1]، وأنَّ أداةَ الحصرِ (إلاَّ) تصوِّرُ عدم التراجع عن موقفه، بقوله: أنا مقصور على النذارة لا أتخطاها إلى طردِ المؤمنينَ[2]، كما أنَّ المقام يوحي بأن الخطابَ موجهٌ لجماعةِ الكفارِ والمشركينَ المعادينَ لنوحٍ عليه السلام، لا لأولئك الذين آمنوا به عليه السلام، لأنَّ ورودَ (نذيرٌ) دون ((بشيرٌ)) إيحاءٌ بذلك، وحسمٌ لموقفِ الثباتِ، كأنَّ نوحاً عليه السلام هكذا خاطبَ قومَهُ بقوله: إنْ شئتُمْ آمنوا وإنْ أبيتُمْ فافعلوا ما رَغِبْتُمْ فيه أنْ تفعلوه، كما أنّ مجيء الوصفينِ بالصيغتينِ: (نذيرٌ مبينٌ) بايحاءاتهما تستكملُ بهما تصوير المقام المليء بالمواقفِ الحاسمة، فـ (نذيرٌ) بصيغته: ((فعيلٌ)) من الفعلِ المتعدي ((أنذَرَ))، وقرائنه المقالية المتعددة يوحي بكونه صيغة مبالغة من اسمِ الفاعلِ، والمطرد الكثير الاستعمال بناء هذه الأمثلة من الثلاثي، وقد يبنى من: ((أفْعَلَ)): فعّالٌ، نحو: أدرك فهو درّاكٌ، و:فعيلٌ، نحو: أنذر فهو نذيرٌ[3]، فوجهُ الكثرةِ والمبالغةِ يكمنُ في إنذارِ نوحٍ عليه السلام لقومه حين كذبوا برُسلِ اللهِ على ما حكاهُ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾[4]، فانذرهُم بقوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[5]، وقوله المكرر: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾[6]، ويوحي التركيبُ كذلكَ بأنَّ خطابَ نوحِ عليه السلام الإنذاري كانَ نهائيّاً لهم، لأنهم هدَّدوهُ بقولهم: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[7]، وهو عليه السلام تابع تهديدهم بشكوى حاله إلى الله سبحانه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾[8]، والظاهرُ أنَّ (الفاء) العاطفةَ[9] المفيدةَ للتعقيب[10] تدلُّ على أنَّ الإنذارَ من نوحٍ عليه السلام، وردَّ قومه عليه ورفضهم له قد أعقَبَهُ الدعاء بالغرقِ والطوفان، وجاءَ (مبينٌ) نعتاً للخبرِ[11] بصيغةِ: ((مُفْعِلٌ))، وهو اسمُ فاعلٍ من ((أبانَ)) المتعدي بمعنى بيَّنَ ووضَّحَ[12]، لأنّ نوحاً عليه السلام مقصورٌ على إنذار المكلفينَ بالبرهانِ الواضحِ[13].

---

(١) يُنظر: مفتاح العلوم: ٢٦٩.

(٢) مفتاح العلوم: ٤٠١.

(٣) يُنظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ١٠٣٤، وشرح المفصل:٩٢-٩٣، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١/ ٤١-٤٢، وحاشية الخضري: ٢/ ٣٦.

(٤) الشعراء: ١٠٥.

(٥) نفسها: ١٠٦.

(٦) نفسها: ١٠٨و١١٠.

(٧) نفسها: ١١٦.

(٨) نفسها: ١١٧-١١٩.

(٩) حدائق الروح والريحان: ٢٠/٢٧٤.

(١٠) يُنظر: المقتضب: ١/١٤٨، وبصائر ذوي التمييز: ٤/ ١٥٨.

(١١) إعراب القرآن وبيانه: ١٩/ ٤٢٧، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٩/ ١٠٠.

(١٢) التحرير والتنوير: ١٩/ ١٦٣.

(١٣) روح المعاني: ١٩/ ١٠٨.

الفصلُ الثاني

التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ

سيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام

الوصف المُفرد الواقع مفعولاً به في التركيب الاسمي المؤكد:

قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، **فقال: (إنَّي جاعلك للناس إماماً) أي: جاعِلُكَ لأجلِ الناسِ إماماً يأتمونَ بكَ في الخير، ويَقتدي بِك الصالحونَ، فهو نبيُّ عصرِه، ومقتدى لِكافةِ الناس إلى قيام الساعة[2]، وقد وردتِ الآيةُ في سياقِ التصويرِ لمكائد اليهود والنصارى ومكرهم لبني البشر عبْرَ القرون والأزمان، التي فُطِروا عليها، وأصبحتْ سيرة لهم، بأنْ يزيحوا أهلَ التوحيدِ عن عقيدتهم بإخضاعهم لأهوائهم الضالة المنحرفة ليتَّبِعوا ملتهم، قالَ تعالى:** ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾[3]، **فالمناسبةُ تكمن في أنّ ورود التركيب الوصفي جاء ليحدَّ من مؤامراتهم ويُعلنَ للناس بأنَّهُ لا يرغبُ عن ملة إبراهيم** ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾[4]، **وأنَّ ما يدعيه بنو إسرائيل (اليهود والنصارى) نقضٌ للعهد منذ أن صار إبراهيم** عليه السلام **إماماً، فالتركيبُ على الرغمِ من أدائِهِ للدلالة السابقة، فهو يُعبِّرُ من خلال أدواته وصيغه المشاركة فيه وسياقه الوارد فيه مستعيناً بالقرائن عن الكيفية، والعلة التي من أجلِها اختيرَ إبراهيم** عليه السلام **إماماً.**

أمَّا الكيفيةُ فتستوحى من صيغة ((فِعال)): ((إمام))، وهو كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّينَ[5]، أي يقصدون لما قصد[6]، أو أنّه اسمٌ يؤتمُّ به، فهو على زنةِ الآلةِ، كالإزار لما يؤتزر به[7]، فالذي يبدو أنّ الصيغة تستقيم فيها الوصفية والمصدرية، أمّا الوصفية فلأنها ((من

---

(١) البقرة : ١٢٤.

(٢) معالم التنزيل:١/ ١٤٥، وروح البيان:١/ ٢٢٣.

(٣) البقرة: ١٢٠–١٢٣.

(٤) البقرة : ١٣٠.

(٥) تهذيب اللغة: ١٥/ ٦٣٨، مادةُ: أمم.

(٦) معاني القرآن وإعرابهُ، الزجاج: ١/ ١٦٢.

(٧) الكشاف: ١/ ١٨٣، والتحرير والتنوير: ١/ ٧٠٣.

الأسماء المشبهة بالصفات من حيث أنّ المعنى القائم بالذات جزء من مفهوم اللفظ كما هو كذلك في الصفات))[1]، فالوصفية بأن يكون (إماماً) اسم آلة ((ليدل على ما وقع الفعل بوساطته))[2]، كما أنّ لفظ الإمام يطلق على الخيط الّذي يُمدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوّي عليه ساف البناء، أو هو خشبة البناء يسوّي عليها البناءُ[3]، فدلالة (إماماً) مستمدةٌ من المعجم، ومن الصيغة، وهذا يؤدي إلى أنَّ إبراهيمَ عليه السلام قصد في حياتهِ طريقاً التمس فيه غايةً حقيقيةً، والغايةُ هذه تكمن في عقيدة التوحيد، والعقيدة هي الوشيجة الأولى التي يتلاقى عليها الناس في الإسلام، حين لا يلتقون على نسب ولا أرومة ولا جنس، ولا أرض، إذا انبتت تلك الوشيجة التي يجتمع عليها أهل الإيمان[4]، حيث سلك عليه السلام ثلاثة طرق لأجلِ تحقيقها التي تعدُّ أعظم ما سلكه عليه السلام في حياتهِ، كونُها سلِمتْ من الاعوجاج، لأنّ مثل هذه الغاية لا يؤديها إلا المستقيم على الصراط البعيد عن الاعوجاج، لأنّهُ لو لم يكن مستقيماً لما أصبح آلةً، أو ميزاناً بنيت بهِ بناية التوحيد التي لا تقبل الانحراف والاعوجاج في الأسس التي بنيت عليها، ولا أصبح مقياساً، ومعياراً يقتدى، وينقاس به عقيدةُ من وحدّ الله حقّ التوحيد خالصاً من الشوائب.

والطرق الثلاثة التي قصدها إبراهيم عليه السلام تستمد من الآيات الكريمة في قولهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[5]، وقولهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[6]، وقولهُ تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[7]، والجامعُ لما سبق من

---

(١) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٧٧.

(٢) يُنظر: الصرف الواضح: ٢٠٨.

(٣) تاج العروس: ٣١/ ٢٤٤، مادة: أمم، ولسان العرب: ١/ ١٣٤، المادة نفسها، والمحرر الوجيز: ١/ ٣٤١، والدر المصون: ٢/ ١٠٠، وروح المعاني: ١/ ٣٧٥.

(٤) في ظلال القرآن: ١/ ٤١٢.

(٥) الأنعام: ٧٤– ٧٩.

(٦) الزخرف: ٢٦.

(٧) الصافات: ١٠٤–١٠٥.

الآيات هو غاية التوحيد، والقرينة المعيِّنة للمثلث المعياري هي ورود لفظة (بكلمات) بصيغة جمع المؤنث السالم، لأنّ ((جمع التصحيح في المذكر والمؤنث يدلُ على القلة، إلا أن تدخل عليهما (الـ) للعموم، أو يضاف إلى ما يدل على الكثرة))[1]، كما أنَّ التركيبَ جاء ردًّا على (بني إسرائيل) الخارجين عن دائرة التوحيد المشركين بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[2]، كما يستمد من الرّد أيضاً دلالة التأبيد لـ صفة (الإمام) في إبراهيم عليه السلام كون التركيب جاء ليُخبِرَ محمداً ﷺ بِضلالةِ أهلِ الكتابِ وهو يحذّر أُمتَه من اتِّباعِهم، وأنَّ الوحيدَ في أن يُتَّخذَ معياراً في عقيدة التوحيد هو إبراهيم عليه السلام ، وهو المستوحى من تنكيرِ لفظِ (إماماً) فـ ((يأتي التنكير أرادة الوحدة))[3]، فقد جاء عليه السلام ليكون إمام الموحدين أبداً، لأنَّهُ هو المُبدع، والمبتكر لهذا الميزان وهو المستمدّ كذلك من قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[4]، فالآيات هذه تؤكدُ قيام إبراهيم عليه السلام بوظيفة التوحيد، وأنَّهُ سَيَصبحُ إماماً للناسِ الذين يقتدون به في مبدئهِ القائم على الإسلامِ لِربِّ العالمين، وليس إماماً للذين لا يلتزمون بِذلك المبدأ مِن الذينَ ورد ذكرهم في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)، أي أنّ الآيات قد كشفتْ كذلك عن دلالة (مِن) التي تبدو أنّها أفادت التبعيض، ويدُلُّ على ذلكَ مجيء لفظتي: (الناس)، و(ذريتي)، فليس كل الناس من ذرية إبراهيم عليه السلام، فلفظُ (الناس) عامٌ، كذا قرينة الرد في (لا ينال عهدي الظالمين)، حيث ظهرَ من ذرية إبراهيم عليه السلام من نقض ذلك العهد، ولم يلتزمْ بـالإسلامِ لِربِّ العالمينِ وهم اليهود والنصارى.

وقد عُدِلَ عن البنية السطحية لـ (إنّي جاعلكَ إماماً للناس) إلى (إنّي جاعلك للناس إماماً)، فهذا الانزياحُ بالتقديمِ والتأخيرِ يأتي لِيُبينَ أنَّ تصييرَ إبراهيم عليه السلام كان لأجل الناس وليس لأجله عليه السلام جزاءً وتعظيماً له ورفعاً لمكانته، لأنَّ الله أبتلاه بكلماتٍ فأتمهُنَّ، لأنَّ أهمَّ غرضٍ من أغراض التقديم، هو الاختصاص والحصر[5]، قال سيبويه (ت١٨٠ هـ): ((أنَّهم إنَّما يُقدِمون الذي بيانُهُ أهمَ لهم، وهم بِبَيانِهِ أعنى، وإنْ كانا جميعاً يُهِمانِهم، ويُعنيانِهِم))[6]، لأنَّ الجار والمجرور إذا ورد في الإثبات فتقديمه على

---

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢/ ٤٠٥.

(٢) البقرة: ١١٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٩١.

(٤) البقرة: ١٣١– ١٣٢.

(٥) معاني النحو: ١ /١٤٠.

(٦) يُنظر: الكتاب:١/٣٤، ودلائل الإعجاز: ٧٧.

عاملهِ إنّما يكون لغرض لا يحصل مع تأخيرهِ فلا جرم التزم تقديمهُ، لأنّ في تأخيرهِ إبطالاً لذلك الغرض[1]، وقد ذكرنا آنفاً أن صيغة (فِعال): (إمام) تستوي فيها الوصفية والمصدرية، فمثلما استقامتِ الوصفيةُ فيها، يبدو كذلكَ أنّ (إماماً) يستقيمُ لأنْ يكون مصدراً ليوحي بدلالتينِ: الأُولى هي دلالة الامتناع، لأنّ ((كل فعل دلّ على امتناع ونحوهُ يكون مصدرهُ على (فِعال)))[2]، فالامتناع يكمن في أنّ وظيفة الإمام هي المنع من الانحراف، أمَّا الثانية فهي دلالته على الثبوت لأنّه ((يُلجأ إلى المصدر في الاستعمال لغرض بيان دوام الأمر وثباتهِ))[3]، أو أنَّ الإخبار بالمصدر عن الذات وهو يفيد المبالغة بجعل العين هو الحدث نفسه [4]، وإضافةُ اسمُ الفاعل: (جاعِلُ) إلى ضميرِ إبراهيمَ عليه السلام ثُمَّ نصبه المفعول الثاني: (إماماً) تدُلُّ على الحال المتصل بالمستقبل، فدلالتها الحالية تكمن في أنّه عليه السلام صار إماماً لقومهِ في زمانهِ، ودلالتها على المستقبل تكمن في أنهُ صار إماماً للناس الذين يوحدون الله وفقاً لمنهجهِ الّذي رسم الله له. وعلى الرغمِ مِمَّا تؤدي لفظة (جاعلك) من تصوير تصيير الله سبحانه إبراهيم إماماً، وما تعطيها من دلالة، فإنّها تجسد كيفية تصيير إبراهيم عليه السلام بفطرته الكامنة بأنْ أبتكر طريقة في تنشيطها، وأبدع في استثمارها، والتصيير هذا كان علة في أنْ يصير إماماً.

مصدر = الامتِناع (المنعُ مِن الا نحراف) + الثبوت (الدوام والاستمرارية في الإمامة) + المُبالغة.

---

(١) الطراز: ٢/ ٣٩، ٤٠.

(٢) يُنظر: الصرف الواضح: ١٢٣.

(٣) الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: ٣٨٤.

(٤) الجملة العربية والمعنى: ١٨١.

الوصف الثنائي الواقع خبراً مُكرَّراً في التركيب الفعلي:

قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، **يُعدُّ الإجمال خاصية التركيب الوارد في الآية المذكورة المتضمِّنة للوصف الثنائي وهو: (ولكن كان حنيفاً مسلماً) لمجيئه بعد تفصيلٍ فيما سبقهُ من الآيات التي عُرضَ فيها المنهج الّذي أبدْعهُ إبراهيم** عليه السلام **والذي أحرز به رتبة الإمامة للناس، كونهُ جمعَتْ عليهِ الأُمم وتساوتْ بكلِّ أطيافها دون الضالينَ الذين انحرفوا بميلهم عن المنهج الكامن في قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]، **فالكلمة هذه هي نتاج، أو ثمرة ذلك الوصف الثنائي: (حنيفاً مسلماً)، وهو الميزان الكاشف عن الاعوجاج والمَيَلان في ذلك المنهج الذي أبدعَهُ إبراهيم** عليه السلام، **فما عدا ذلك فإنَّ التركيب يأتي ليؤدي بوصفهِ الثنائي وظيفة الردّ على أهواء الملل الزائغة.**

أمَّا في نهوض التركيب بتلك الوظائف فتتخذ الوحداتُ من بنيتهِ التشكيلية وسيلةً لأدائها، فالردُّ مستمدٌ من ابتداء التركيب بـ (لكن) المخففة من الثقيلة، التي تفيدُ الاستدراك[3]، والذي هو ((نفي لما يتوهم ثبوته))[4]، وإذا كان كذلكَ فيكون رداً بخلاف قول المقرّ لهُ[5]، أي نفي التوهّم الّذي وقع فيه اليهود والنصارى بشأن إبراهيم عليه السلام **بادعائهم اليهودية والنصرانية لهُ** عليه السلام، **وإثبات الشيء المتوهم لديهم في إبراهيم** عليه السلام **يتمثَّلُ في أنَّهُ حنيفٌ مسلمٌ. ولا تخلو دلالة التوكيد من وظيفة (لكنْ) المستوحاة من الإثبات القائم به، لا سيّما في موقف كهذا الّذي سبق في الردّ على بني إسرائيل، كذا يبدو أنّ إثبات الشيء توكيدهُ، وما تؤديهِ الثنائيتانِ من دلالة لا تقل عمّا تؤديهِ (لكنْ) من وظيفة، فـ (حنيفاً) وهي: (فعيلٌ) تدُلُّ على الثبوت، والدوام، كونها صفة مشبّهة ((والصفة إنّما تجيء على معنى الثبوت))[6]، أو أنّها ((تدل على وصف الفاعل بالحدث على سبيل الدوام والثبوت))[7]، كما أنَّ الثبوت والدوام مستمدٌ من دلالته المعجمية، فالحنفُ في اللغة: إقبال صدور القدمين كلّ واحدة على أختها إقبالاً يكون خِلقةً لا رجوع فيه**

---

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) الجنى الداني: ٥٨٦، ومغني اللبيب: ٣/ ٥٤٨، والإتقان: ٤/ ١١٦٦.

(٤) يُنظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ١٠٩.

(٥) الكليات: ٧٩٣.

(٦) شرح الوافية نظم الكافية: ٣٢٩.

(٧) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ٢٢٢، والمنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: ١١٧.

أبداً، ودلالة الحنيفة في الإسلام الميل إليه والإقامة على ذلك العقد [١]، أمَّا ((حنَفَ)) بدلالة: ((مالَ))[٢]، كضَرَبَ، فيوحي بدلالة ((الرَّد))، لأنَّ الميلَ عن الشيءِ، أو التولي عنه احتقارٌ يُنبئُ بالردِّ عنه. ومن حيث الحدث، فإنَّ ما يستمدُّ من (حنيفاً) هو دلالة التضاد بحرف الجر[٣]، كونه جامعاً لِحدثين مختلفين يعدان ضدّاً لبعضها وهما: ((حَنَفَ عن))، و((حَنَفَ إلى))[٤]، اللذانِ يمثلانِ الشرك والتوحيد النقيضينِ لبعضهما، أو أنَّ الحنيف: المائل من خيرٍ إلى شرّ ومن شرّ إلى خيرٍ[٥]، فما أحدثهُ إبراهيم عليه السلام هو ميلهُ عن كلِّ الشرور التي يُراد أنْ تغلبَ على قلبه السليم قصد التمركز، والاحتضان فيه لإحلال الشرك محلّ عقيدتهِ الفطرية، لِتركُنَ بالإنسان إلى غاية التوسّل والخضوع لغير خالقه، ثُمَّ أحدثَ الميل إلى الله وحدَهُ قالَ تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٦]، لذا فإنَّ العلة في العدولِ عن صيغةِ الحدوثِ والتجدُّدِ إلى صيغة الثبوت والدوام في (حنيفاً) هو للميلِ عن العقائد الزائفة كلها [٧]، والإقرار بوحدانية الله تعالى، لا يقتضي الحدوث والتجدّد، أمَّا صيغة اسم الفاعل: (مسلماً) فتأخره رتبة عن (حنيفاً) روعي فيه الترتيب الزمني[٨]، أو أنَّهُ عليه السلام بعد أنْ أحدث الميل عن الشرك أسلم نفسَهُ وأمرَهُ إلى الله، الذي يبدو أن الاجتهاد والتكلف المستمر مع النفس هو العلة في العدول عن أصلٍ ثلاثي لازم في صيغة (مسلماً) كالذي في (حنيفاً) إلى أصل ثلاثي مزيد متعد: (أسلم)، وإنَّ تخصيص الثنائيِّينِ بالخبر الأول، والخبر الثاني أكثر ملاءمة من تخصيص أحدهما بالخبر[٩] لـ (كان) والآخر بالنعت[١٠]، كونهما يعبران عن حدثينِ مستقلينِ عن بعضهما فليس (مسلماً) جزءاً من (حنيفاً) بل كلاهما صار وصفاً لإبراهيم عليه السلام بأحداثهما، فالعلاقة بينهما تكمن في أنَّ ((الحنف)) هو المثير في إحداث التسليمِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/ ٣٣١، والأمالي، الزجاجي: ٤.

(٢) القاموس المحيط: ٧٥٢، مادة: حنف، وتاج العروس: ٢٣/ ١٦٩.

(٣) دور الحرف في أداء معنى الجملة: ٢٣٢–٢٣٣.

(٤) تاج العروس: ٢٣/ ١٦٩–١٧٠، والأمالي، الزجاجي: ٤.

(٥) تهذيب اللغة: ٥/ ١٠٩.

(٦) الأنعام: ٧٩.

(٧) إرشاد العقل السليم: ٢/ ٤٨، وروح البيان: ٢/ ٤٨.

(٨) من بلاغة القرآن: ٩٢–٩٣.

(٩) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ٢/ ٧٩.

(١٠) م . ن: ٢/ ٧٩.

الوصف المتعدد الواقع أخباراً في التركيب الاسمي المؤكد:

قال تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[1]، لا ينفصل الخطاب عن بيئته المولدة له، وهي السياق بأنواعه، فهو المُثيرُ والسببُ في توليد الوحدات اللغوية مُرتَّبةً داخل التركيب، والمفكك له باحثاً وراءَ المقصدية، أو الدلالة الكامنة للوحدات المنضمَّةِ لبعضها، أي للسياق وظيفة ازدواجية هما: بيان الأوصاف والأخبار من خلال العناصر المُشتملة إليها أي السياق اللغوي، وبيان الحالة النفسية للمُتكلم بالسياق العاطفي الانفعالي، فالسياق الباعث للتركيب المنبثق للأوصاف الخبرية المتعددة: (إنَّ إبراهيم لحليمٌ أوّاهٌ منيبٌ) هو السياق العاطفي والانفعالي، أو ما يسمى بالموقف الحاسم البارز لشخصية إبراهيم عليه السلام المبهمة لدى المنكرين لصفاتهِ، التي انحصرتْ في كيفية تعامله مع حيثيات الحياة الجارية من العسر واليسر المتجسدين لهُ في: الإنذار والبشارة.

والرابط للتركيبِ الوصفي بسياقه هو الأداة: (إنَّ) الدالة على التوكيد والتعليل[2]، فإنَّنا نرى الجملة إذا هي دخلتْ عليها (إنَّ) ترتبط بما قبلها وتأتلفُ معه، وتتحدُّ به، حتى كأنَّ الكلامينِ قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأنَّ أحدهما قد سُبِكَ في الآخر[3]، أي أنَّ علَّةَ مجادلته عليه السلام عن قوم لوط عليه السلام، هو إحرازه الصفات الثلاث، أو أنَّ المقصود بتعداد صفاته الجميلة الدالّة على رقة القلب والرأفة والرحمة، بيانٌ أنَّ ذلك ممَّا حمله على المجادلة فيهم رجاء أنْ يرفع عنهم العذاب، ويمهلوا، لعلهم يحدثون التوبة والإنابة[4]، ما يُستمدُّ من التركيب بوحداتهِ وصيغهِ والسياق والقرائن دلالاتٌ منها: أنَّ ورود التركيب بنمطهِ الخبري المؤكد باجتماع مؤكدين هما (إنَّ) و(لام) الابتداء ((المزحلقة))[5] الداخلة على الخبر: (إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ أوّاهٌ منيبٌ) هو الإيحاء بأنَّ ما ورد خبراً عن إبراهيم عليه السلام من أوصاف لم يكن جديداً، بل كان متصفاً به ثابتاً فيه، لأنَّ البِنيةَ السطحية للتركيب هي: (إبراهيمُ حليمٌ أوّاهٌ منيبٌ) هو خبرٌ من الله سبحانه لعباده بإعلامهم شخصية إبراهيم عليه السلام فتوكيده بـ (إنَّ) يجوزُ أنْ يكون جواباً عن سؤالِ سائلٍ[6]، وهو في حكم

---

(١) هود: ٧٤–٧٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٠٥–٤٠٧ والإتقان: ٤/ ١٠٦٤، وتفسير الشعراوي: ١١/ ٦٥٦٨، وحدائق الروح والريحان: ١٣/ ١٩٠.

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٠٧، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٢١٨.

(٤) الكشاف: ٢/ ٣٩٧، والتفسير الكبير: ١٨/ ٣١، وحاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٤/ ٦٧١، وإرشاد العقل السليم: ١/ ٢٢٧، وروح المعاني: ١٢/ ١٠٤، وفي ظلال القرآن: ٤/ ١٩١٣.

(٥) شرح المفصل: ٥/ ٥٣٢، ومغني اللبيب: ٣/ ٢٣٩، والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ٥/ ٢١٤، ومعاني النحو: ١/ ٢٨٩.

(٦) دلائل الإعجاز: ٢٠٦.

المكرر[1]، نحو: (إبراهيمُ حليمٌ، إبراهيمُ حليمٌ)، أمَّا مجيء (اللام) في (إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ أوَّاهٌ منيبٌ) فيكون كالمكرر ثلاثاً، فتحصل المبالغة في التأكيد[2]، كما يكون جواباً عن إنكار منكر[3]، لأنَّ الأصل بمعنى الغالبِ في (لام) التوكيد، أن يؤتى بها في مواطن الرد والإنكار وفي مواطن الجواب، أو ما ينزل منزلة ذلك[4]، فمجيء التركيب بصيغهِ المؤكدةِ وَرَدَ إثباتاً لمن يُنكرُ منزلةَ إبراهيمَ عليه السلام المتصفة بالأوصاف الثلاثة، الذي يدلُّ على ذلكَ هو السياق المؤلف من البشارة والإنذار، أي أنَّ مثل هذا السياق هو الحاسم والمسوَّغُ للإقرار بذلك، أو أنَّ مثل هذه الأوصاف لا تتجسد آثارها بارزة إلاَّ في مثل هذه المواقف، كما أن مجيء خبر البشارة موافقاً لخبر وقوع العذاب على قوم لوط إيحاء بتضمّن التركيب بصيغه اشتراكاً لفظياً دلالياً، أو أنَّ التركيب ذو وجهين دلاليين، يدُلُّ على ذلكَ قولهِ تعالى: (فلمّا ذهب عن إبراهيم الروعُ وجاءتهُ البشرى يجدلنا في قوم لوط)، لأنَّ ما في الآية عبارة عن حالين مختلفين وقعا من إبراهيم عليه السلام، والمستدلُ من وقوع الحالينِ اختلاف صيغ الأفعال الزمنية المنحصرة بين الماضي التام (ذهَبَ)، (وجاءْتهُ) والحال (يجادلنا)، فما يستقر عليه الوجه الأول من التركيب الوصفي المؤلف من الصيغ الثلاث: (حليمٌ أوّاهٌ منيبٌ) من حيث الدلالة التي تُسترفدُ من الآيات الكريمة انطلاقاً من قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾[5] – هو أنَّ ما تُظهِرُهُ صفة ((الحليم)) من دلالة في هذا السياق هو التفطن، أو العقلانية في التصرف مع موقف يتردد بين الفرح والأسى، وهو البشارة من طرف، وإيقاع العذاب من طرف آخر، فمن دلالات ((الحِلم)) بالكسر: الأناة والعقل، وليس الحِلمُ في الحقيقة العقل، لكن فسَّروه بذلك لكونهِ من مسببات العقل[6]، والحِلمُ الأناةُ والتثبّتُ في الأمور[7]، فالتصرف العقلاني لإبراهيم عليه السلام يكمن في الخوف بدل الضحك، والتأوّه والحزن بدل التعجب أو الفرح والسرور، فهو عليه السلام على الرغمِ من أنَّ العذابَ غير واقع به ولا بقومه، ولكنه إمام للناس وعهد الإمامة لا ينالهُ الظالمون من ذريته عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي

(١) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٣٤.

(٢) شرح المُفصل: ٤/ ٥٣٤.

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٠٦، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٢٢٢.

(٤) معاني النحو: ١/ ٢٩٣.

(٥) هود: ٧٠– ٧٤.

(٦) تاج العروس: ٣١/ ٥٢٦– ٥٢٧، وبصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز: ٢/ ٤٩٥.

(٧) لسان العرب: ٢/ ٩٨٠، مادة: حلم.

ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، أمَّا دلالةُ ((الأوَّاه)) فهو: المبتهل إلى الله المتخشع في ابتهاله، الرحيم الَّذي يكثر من التأوه خوفاً وإشفاقاً من الذنوب[2]، و((المنيبُ)): هو التائبُ من التقصير، أي محاسبُ نفسهِ على ما يحذرُ منه[3]، وما يخصُّ الوجه الثاني من التركيب الوصفي فما توحيه الصيغ الثلاث من الدلالة التي تتحكمُ فيها موقف إبراهيم عليه السلام فيما بعدَ ذهاب الرّوْعِ وإتيانهُ بالبشارة، فالدلالة مختلفة عمَّا سبق، كونها تنطلق من الحال الَّذي يمرُ به إبراهيم عليه السلام، فما تنبىءَ ((الحليمُ)) من دلالة في الموقف هذا هو رقة القلبِ، وشدةُ العطف[4]، فلو لم يكن كذلك لاستعجل في العذاب لهم، فصار أوّاهاً، بكثرة الدعاء والتأسف لوقوع العذاب، فمن دلالات ((الأوَّاه)): الدَّعَّاءُ[5] أي كثير الدُعاء، أمَّا ((المنيبُ)) فما يستوحى منه هو دلالة الإنابةِ والرجوعِ، أي أنَّه عليه السلام قد أناب إلى الله إنابةً[6] بالتوبةِ والرجوع إلى الله من الغفلةِ التي كان فيها قوم لوط، كونُهُ عليه السلام إماماً للناس، فكأنَّهُ يشعرُ بأنَّ انحرافهم كان تقصيراً منه عليه السلام في دعوتهم وهدايتهم، أمَّا الاختلاف الحاصل في صيغ الأوصاف الواردة أخباراً متعددة[7]، بمجيء (حليمٌ) بصيغة: ((فعيلٌ)) والتي يبدو أنَّها صفة مشبهة تدل على وصف الفاعل بالحدث على سبيل الدوام والثبوت[8]، والدوام باقتضاءِ المقام[9]، فعقلانية التصرف ورقة القلب كانت موجودةً ومستمرةً في إبراهيم عليه السلام والابتلاء قد ثبَّتها للمنكرينَ لها، منساقة في التركيب بمؤكدينِ (إنَّ إبراهيم لحليمٌ) وصياغتُها من الفعل اللازم لِحليم: حَلُمَ بالضم يحلُمُ حِلماً صار حليماً[10]، فالأصل اللازم[11]، للصفةِ يُعيِّنُ ثبوتها في إبراهيم عليه السلام، لأنَّها لا تُصاغ إلا من الفعلِ اللازم وضعاً وقصداً، دون المتعدي الَّذي لم يُرد بالوصفِ منه الثبوت[12]، أي أنَّ سبب ورود ((حليم)) بصيغة ((فعيل)) إيحاءٌ بملازمتها لإبراهيم باستمرار، أمَّا مجيء (أوّاهٌ) بصيغة: ((فعَّالٌ)) فهو

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابهُ، الزجاج: ٢/ ٣٣٦، والكشاف: ٢/ ٣٩٦، والمحرر الوجيز: ٤/ ٦١٦، وباهر البرهان: ٢/ ٦٧٤، وجواهر الحسان، الثعالبي: ٣/ ٢٢٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٢٤.

(٤) التفسير الكبير: ١٦/ ٢١٧، والبحر المحيط: ٥/ ١٠٩، وتفسيرُ الشعراوي: ١١/ ٦٥٦٨.

(٥) معاني القرآن، الفراء: ٢/ ٢٣، ومعالم التنزيل: ٤/ ١٠٢، وباهر البرهان: ٢/ ٦٧٤، وجواهر الحسان، الثعالبي: ٣ / ٢٢٢، وروح البيان: ٤/ ١٦٥.

(٦) تهذيب اللغة: ١٥/ ٤٨٨، مادة: ناب، وتاج العروس، المادة نفسها: ٤/ ٣١٥.

(٧) الإعراب المفصل: ٥/٢١٤ ، وإعراب القرآن وبيانه: ٣/ ٤٦٠، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٦/ ٣١٨، وحدائق الروح والريحان: ١٣/ ١٩٠.

(٨) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ٢٢٢.

(٩) الكليات: ٨٩.

(١٠) لسان العرب: ٢/ ٩٨٠، مادة: حلم.

(١١) الصرف الواضح: ١٨٠.

(١٢) شرح الوافية نظم الكافية: ٣٢٩، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٤٨.

للمبالغة، مصدرهُ: التأوَّه[1]، الدال على الحدوث، لأنَّها اسم الفاعل الدال على وصفِ الفاعل بالحدثِ على سبيلِ الانقطاع والتجدد[2] أي أنَّ العدولَ عن الثبوتِ والدوامِ إلى الثبوتِ المتصف بالحدوثِ والانقطاع والتجدد في صيغةِ المُبالَغةِ من اسم الفاعلِ هو كون الصفة ذات علاقة بالمواقف العاطفية الانفعالية أي تحدثها المواقف، وثبوتها قد عيَّنها المقام، كما سبقتِ الإشارة في صفة (حليم)، ويدُلُّ عليها كذلكَ أصل اشتقاقها من اللازم، والذي يبدو أنّ فعلهُ: ((أوِهَ)): ((فَعِلَ)) الّذي تشتق منه الصفات العارضة التي تطرأُ، أو تزولُ سريعاً، ولكنها تترددُ على صاحبها كثيراً من فرحٍ وحزنٍ[3]، فضلاً عن أنَّ اللازم في الفعل يوحي بأن إحداثهُ ليس في حاجة إلى التكلُّفِ والاجتهاد، لانَّ ذلك يُبعِدُ الفطرية عن الصفة، ويُبعِدُها عن حقيقتها، أمَّا ((منيبٌ)) فهو اسم فاعل من: أناب فلان إلى الله إنابةً، فهو منيبٌ[4]، فمجيئه بالصيغة الدالة على الحدوث والانقطاع والتجدُّد دون الثبوت والدوام كون إحداث الصفة هذا يأتي استجابة للمواقف بين حين وآخر. كما أنَّ في المواقف تفاوتاً، وأنَّ عدول الصفة في اشتقاقها عن الأصلِ الثلاثي إلى المزيد: ((أناب))، ومن التعدي إلى اللزومِ إيحاءٌ بأنَّ الإنابة بحاجةٍ إلى التكلّفِ والاجتهاد اللذينِ وقعا على النفس – دونَ أنْ يتعدى الذات– ليرجعَ الإنسانُ عن ذنبٍ اقترفهُ، أو خطرة أُثيرتْ، أي أنَّ الإنابة عبارة عن الصراع والمواجهة، فكل موقف بحاجة إلى إحداث تكلُّفٍ واجتهادٍ جديدٍ انسجاماً مع الوضع الّذي يقتضيه.

فما سبق يوحي بأنَّ الإنابة على الرغمِ من كونها ثابتة في إبراهيم عليه السلام كما تشيرُ إليها القرائن، إلاَّ أنَّها بحاجةٍ إلى إحداثها بين حين وآخر. أمَّا تركُ العطف بينَ الأخبار المتعددة، فجائزٌ كما في النعوت، نحو: زيدٌ فقيهٌ شاعرٌ كاتبٌ، والرمانُ حلوٌ حامضٌ، وهذا النوع يتعين فيه ترك العطف، كذلكَ إذا تكررت النعوت لواحدة، فتارة يتركُ العطف، وتارة تشتركُ بالعطف، ويشترطُ في ذلك اختلاف معانيها، فدخول العاطف يؤذنُ بأنَّ كلّ صفة مستقلة، والعطف أحسن إن تباعدَ معنى الصفات، وإلاَّ فلا[5]، وهذا هو المُحققُ في ترك العطف بين الأخبار المتعددة عن إبراهيم عليه السلام.

---

(١) روح المعاني: ١١/ ٣٥، والتحرير والتنوير: ١١/ ٤٦، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٦ /٤٧.

(٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ٢٢١.

(٣) الصرف الواضح: ١٨٠.

(٤) تهذيب اللغة: ١٥/ ٤٨٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٤٦، ومن أسرار النظم القرآني آيات وعبر: ١٦٩.

الوصف المُفرد الواقع حالاً في التركيب الفعلي:

قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾[1]، فقال تعالى: (إذ جاءَ ربَّهُ بقلبٍ سليمٍ) أي: سليمٌ مِنْ جميعِ آفاتِ القلوبِ، ومعنى المجيء بقلبِهِ أنَّهُ أخلصَ للهِ قلبهُ، وعُرِفَ ذلك منه فضربَ المجيء مثلاً[2]، إنَّ طبيعة الحياة مفطورة على الحدثِ والحدوثِ – الحركية الدائمة – ارتقاءاً أو غاية تحقيق الثبوت والاستقرار، والقرآن كونه منهج الحياة يُصوِّر الفطرة الصحيحة التي ينبغي أنْ يكونَ عليها بنو البشر إلى النهايةِ، والتركيب الوصفي الموجود في الآية: (إذ جاء ربهُ بقلبٍ سليم) تعبيرٌ عن مستوى الإدراك البشري في اتخاذهِ مبدأ التعقُّل والتأمُّل والتدبُر فيه وفيما يحيط به سبباً في التعرف على الخالق الواحد المستحق للعبادةِ والتوحيد، كذا تُبرِزُ عاطفة الانفعال الفطرية العدوانية لتعدد الإله المبرمجة على شكل دافع المحبةِ للخالقِ دون أي شيءٍ آخر ما يهينُ الإنسان وينحرفُ به عن مسلك الحياة المستقيمة، فالظاهر أنَّ الآية حاصل نتاج الصراع الذهني والنفسي لإبراهيم عليه السلام كما يُصورُهُ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[3]، فالتركيب الوصفي بخاصيَّتِهِ المُشارِ إليها ووحداتِهِ المؤلَفة لهُ، وانطلاقِهِ من السياقِ المُقرَّرِ لهُ بالدلالةِ الحقيقية والقرائن المُحيطة بهِ، يُبرهِنُ بِأنَّ التركيبَ الَّذي ترتَّبَ من أجلِ الإخبارِ عن (قلبٍ سليمٍ) لإبراهيم عليه السلام يوحي بدلالتين: وهي دلالة السلامة من الشركِ ومن كلِّ دنسٍ[4]، أو السليم: السالم من الآفات[5]، وإيحاؤه بدلالة الحزين من السليمِ أي: اللديغ[6]، حيث ورد أنَّ اللديغَ سليمٌ،

---

(١) الصافات: ٨٣– ٨٥.

(٢) الكشاف: ٤/ ٤٦، وإرشاد العقل السليم: ٧/ ١٩٧.

(٣) الأنعام: ٧٥– ٧٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤/ ٤٤، ومعالم التنزيل: ٧/ ٤٤، والمحرر الوجيز: ٧/ ٢٥٩، والكشاف: ٤/ ٤٦، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: ٣٢١، والتفسير الكبير: ١٦/ ١٤٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٤٩ ، واللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٣٢٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٤/ ٢١.

(٥) تاج العروس: ٣٢/ ٣٩٦، مادة: سلم، والكشاف: ٤/ ٤٦، وإرشاد العقل السليم: ٧/ ١٩٧.

(٦) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٧/ ١٤٠، وروح المعاني: ٢٣/ ١٠٠.

والسّلَمُ: لدغُ الحية والملدوغ مسلوم وسليمٌ، وسمي اللديغ سليماً لأنّهم تطيَّروا من اللديغِ فقلبوا المعنى[١]، كما ورد أنّ السليمَ: الجريحُ المُشفى على الهلْكَةِ[٢]، والقرينة المعيِّنة للدلالتينِ هي الخطاب الفعلي[٣]، أي أنَّ إحداثَ فعل (المجيء) لم يحصلْ إلاَّ بعد حدوث عملية إثبات سلامة القلب، وما نتجَ عن تلك السلامة، الذي هو التوحيد الحاصل بالتكلُّفِ والاجتهادِ المستوحى من الآيات السابقة من سورة الأنعام، هو إحداثُ تغيرٍ آخر هو الإحساس أو رقةُ القلبِ أو شدةُ الحساسية من مظاهرِ الشرك والكفر والعصيان المحيطة ببيئةِ إبراهيم عليه السلام، التي كانت كاللدغِ والعضِّ الجارحِ والمؤذي لقلبِهِ عليه السلام، المندفع بهِ لإحداثِ المجيءِ شاكياً حاله لخالقِهِ للشروعِ والحدوث بالمحاورةِ الإيمانية ابتداءً بالأقربِ لهُ صلة وهو الأب، كما في قولهِ تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾[٤]، والقرينة المعيّنة لدلالة الإحداث التماس علاقة السببية المستمدة من ورودِ ((إذ)) الدالة على الظرفية الزمانية لِما مضى[٥]، والتي تربط بين حدثين، أو تربطُ بين الفعل ونتيجتهِ[٦]، وأداؤها وظيفة التعليل[٧]، أو السببية القائمة بين ((إذ جاء)) و ((إذ قال))، والتي توحي بأنَّ زمنَ حدوث القولِ حصلَ مع حدوث المجيء علة الاشتِكاء من قلبٍ ملدوغ مجروح بشرك قومهِ باللهِ الواحدِ، وعلة الشكوى هذه تنبعثُ من القلب السليم من العلل كلها، والذي يَدلُّ على حدوث السلامة في القلب هو العدول عن التعريفِ الموحي بالعهدِ[٨] أي ((بالقلب السليم)) إلى التنكير ((بقلبٍ سليم))، فالتعريف يعبّرُ عن القلب الموجودِ لدى البشرِ، ولا سيّما إبراهيم عليه السلام، والتنكير يُعبِّرُ عن الانتقالةِ الحادثةِ في حالِ قلبه عليه السلام بالتكلُّفِ والاجتهادِ، حيثُ يوحي ((بأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام لم ينتظرْ إلى أنْ يأتي لهُ رسولٌ يدعوهُ، بلْ أقبلَ على الله بنفسهِ، وجاءَ بفكرهِ يبحثُ ويتأملُ في ملكوت السموات والأرض إلى أنْ اهتدى إلى الله))[٩]، كما أنَّ التنكير يفيدُ التعظيم والنوعية[١٠]، ويُقِرُّ بِدلالة السلامة لإبراهيم عليه السلام، أمَّا اقترانُ (الباء)

---

(١) تهذيب اللغة: ١٢/ ٤٥٠، مادة: لدغ، ولسان العرب: ٣/ ٢٠٧٩، وتاج العروس: ٣٢/ ٣٧٩.

(٢) لسان العرب: ٣/ ٢٠٧٩، مادة: سلم.

(٣) البرهان: ٤/ ٦٦، ودلائل الإعجاز: ١١٧– ١١٨، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٧٩.

(٤) الصافات: ٨٥.

(٥) يُنظر: الجنى الداني: ١٨٥، ومعترك الأقران: ٢/ ٤٥، والتحرير التنوير: ٢٣/ ١٣٦، وهمع الهوامع: ٢/ ١٢٦، وحدائق الروح والريحان: ٢٤/ ٢٢٣.

(٦) يُنظر: اللغة والدلالة: ٢٥.

(٧) الجنى الداني: ١٨٨، ومعترك الأقران: ٢/ ٤٧، والتحرير والتنوير: ٢٣/ ١٣٦، وهمع الهوامع: ٢/ ١٢٦، والإتقان: ٤/ ١٠١٤.

(٨) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ١٥٠.

(٩) تفسيرُ الشعراوي: ٢٠/ ١٢٧٨٨، والتصوير الفني في القرآن: ٢٠٣.

(١٠) البرهان: ٤/ ٩١، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ٣٣٠.

الجارة (بِقلبٍ)، فتفيدُ التعدية[1]، التي تعينُ دلالة إجراء عملية السلامة للقلب، كما توحي بدلالة المصاحبة[2]، أي جاءَ ربَّهُ مصاحباً قلباً سليماً، وتأتي عبارة: (بقلبٍ سليمٍ) حالاً من إبراهيم[3]، تُعيِّنُ دلالة الثبوتِ لسلامة القلب، والموحي بذلك كون الحال يأتي جواباً لـ ((كيف))[4] ؟ أي كأن سُئلَ عن كيفية المجيء وجاءَ الجواب: أنَّهُ جاء ربَّهُ سالم القلب من الشرك، مصاحباً للكرب الناجم عن شرك أبيه وقومهِ، كما يُعبِّرُ الحال عن الانتقالةِ الحاصلة في وضعِ إبراهيم عليه السلام النفسي، لأنَّ في الحال الانتقال والثبوت[5]، أمَّا بخصوص صيغة (سليم) وهي: ((فعيل)) صفة مشبهة من السلامة فهي: الخلاص من العلل والأدواء[6]، لأنَّ أصلَ المشتق هو الفعل الثلاثي المتعدي بتقدير: إذ جاءَ ربَّهُ بقلبٍ سَلِمَهُ من الشركِ، كما أنَّ العدولَ عن ((أتى)) إلى: ((جاء))، هو لمن يشعرُ بالكرب والحزن ويطلبُ العونَ، لأنَّ ((المجيء)): الدّعاء إلى الطعام والشراب[7]، و((أتى)) يردُ متى يكون الإنسان سليماً من العلل، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[8] ، كما قيلَ: أنَّ ((جاء)) يُستعملُ في الماضي في الجواهر والأعيان، و ((أتى)) في المعاني والأزمان[9]، وهو يُعدُّ قرينة أُخرى لدلالة الحُزنِ أو الكرب لإبراهيم عليه السلام، لأنَّ من يشكو من ألمٍ أو مرضٍ أو أذىً في جسمه لا سيَّما في القلب تظهرُ فيهِ آثاره، هذا ما يكشَفُ عن الكرب الّذي كان يشكو منه إبراهيم عليه السلام. ومرجعية الضميرِ في (شيعته) من قولهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[10]، تأتي قرينة أُخرى لدلالة الحزن الّذي عانى منه نوح عليه السلام سنوات لبثهِ المديد مع قومهِ المتجسد من قولهِ تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[11]، والعطف بالواو الدالِّ على الإشراك يعينُ وجه التشابُهِ بين الرسولينِ عليهما السلام.

---

(١) همع الهوامع: ٢/ ٣٣٤، وشرح شذور الذهب: ١/ ٥٤٨، وروح المعاني: ٢٣/ ١٠٠، وروح البيان: ٧/ ٤٦٩.

(٢) يُنظر: همع الهوامع: ٢/ ٣٣٥، وشرح شذور الذهب: ١/ ٥٤٩، والتحرير والتنوير: ٢٣ /١٣٧.

(٣) الإعراب المفصل:١٠/ ٤٠، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٢/ ٦٨، وإعراب القرآن وبيانه: ٦/ ٤٠٤.

(٤) شرح المفصل: ٢/ ٤.

(٥) يُنظر: شرح المفصّل : ٢/ ٢٢، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٢٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٣٧.

(٧) القاموس المحيط: ١٤، مادة: جاء.

(٨) الشعراء: ٨٩.

(٩) من أسرار النظم القرآني آيات وعبر: ٣٢، وإعجاز القرآن الكريم: ١٦٦.

(١٠) الصافات: ٨٣.

(١١) الصافات: ٧٦.

الوصف المفرد الواقع نعتاً بصلة في التركيب الفعلي:

قال تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[1]، **فقال في وصف إبراهيم** عليه السلام : **(الذي وفىّ) أي: وفرَ، وأتمَّ ما أُمِرَ به، أو بالغَ في الوفاءِ بما عاهَدَ عليهِ الله تعالى**[2]، **فوقوع الوصف الذي هو((الّذي)) الموصولة المبهمة بصلته ((وفىّ)) نعتاً لإبراهيم**[3]، **وضمن تركيب استفهامي، يبدو أنَّهُ قد خرجَ عن غرضهِ الأصلي لِيُرادَ به التوبيخ**[4]، **أو التهكم، تلك الميزة تبعثُ للوصفِ دلالة التعظيم ((لأنَّ الموصول وضِعَ وصلةً إلى وصفِ المعارفِ بالجملِ))**[5]، **ومن شرطِ الجملة المنعوت بها أنْ تكون خبرية معهودة للمخاطَبِ، لأنَّ الصلة إنّما تأتي لِتُعرِّفَ المخاطَب الموصول المبهم بما كان يعرفُهُ قبل ذكر الموصول من اتصافهِ بِمضمونِ الصلة، إلاَّ في مقامِ التهويل والتفخيم وهو التعظيم فيحسنُ إبهامها**[6]، **فما تؤديه الصلة هو رفعُ الستر عن أحد وجهي الدلالة الثنائية لِهذا التركيب: (الّذي وفَّى)، لأنَّ الموصول ((ما لا يتمُ حتى تصلَهُ بكلامٍ بعدَه تامٌّ، فيصيرُ مع ذلك الكلام اسماً تاماً بإزاءِ مسمىً))**[7]، **فإحدى هاتينِ الدلالتينِ هي الإتمام في العطاء يُقالُ: وفا يفي وفاءً، فهو وافٍ وكلَّ شيءٍ بلغَ تمام الكمال، فقد وفى وتمّ**[8]، **والسياق يوحي بأنَّ مجيء اسم إبراهيم** عليه السلام، **هنا جاءَ لِيكونَ أنموذجاً في الإنفاق والجود، ويقابلهُ قولُهُ تعالى في السورةِ نفسَها:**﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾[9]، **وما يُعَدُّ سيرةً، ووصفاً لإبراهيم** عليه السلام **معهودة للمخاطب بلغَ** عليه السلام **في أدائها غاية التمام، وهو عطيَّتهُ لله بذبح ولدهِ**[10] **فهو** عليه السلام **صارَ المثل الأعلى في الإنفاق والتصدُّقِ والعطاء حتى بِابنهِ** عليه السلام **لأجلِ رضى الله سبحانهُ، إلاّ أنَّ الصورةَ هنا تنعكسُ تماماً تضاداً لصورة إبراهيم** عليه السلام **وذلك بمقابلة الوفاء بالإكداءِ والانقطاع**[11]، **والصورة هي**

---

(١) النجم: ٣٥– ٣٧.

(٢) روح المعاني: ٢٧/ ٦٥.

(٣) الإعراب المفصل: ١١/ ٢٨٨، وحدائق الروح والريحان: ٢٨/ ١٨٢.

(٤) أسلوب الاستفهام في القرآن غرضهُ وإعرابهُ: ١٤٣، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ١٩٦– ٢٠٠.

(٥) يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٧، وشرح التصريح على التوضيح: ١/ ١٦٨.

(٦) الخصائص: ١/ ٣٢١، وشرح التصريح: ١/ ١٦٨.

(٧) يُنظر: شرح المفصل: ٢/ ٣٧١، وشرح الرضي على الكافية: ٣/ ٥.

(٨) تهذيب اللغة: ١٥/ ٥٨٣–٥٨٤، مادة: وفى، والكشاف: ٤/ ٤١٦، ومعالم التنزيل: ٩/ ٤١٤، والتفسير الكبير: ٢٩/ ١٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٢٠١، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ١٨٣، وروح المعاني: ٢٧ /٦٥.

(٩) النجم: ٣٤.

(١٠) معاني القرآن وإعرابهُ الزجاج: ٤/ ١٧٨، وإعراب القرآن النحاس: ٤/ ١٨٦.

(١١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤١٤.

الرجلُ الّذي وصِفَ في قولهِ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾[1]، عن كل ما سبقَ وصفاً لإبراهيم عليه السلام ويدّعي لنفسهِ التزكية والتقى كونهُ ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾[2] وهو عبدُ اللهِ بن سعد ابن أبي سرح[3]، أمَّا الوجه الدلالي الآخر لـ (وفىّ) فهو البلوغ[4]، أي أنَّه عليه السلام بَلَغَ إنفاقهُ في المالِ أو التصدُّق والعطاء قاعدة حيثُ لا يَدَعُ أن تحملَ خطيئةً من خطيئاتهِ حملَ خطيئةٍ أُخرى إلاَّ وقد أنفَقَ وتصَّدقَ كفارةً أو وسيلةً لاستغفار ((اللمَمَ))[5]، تحقيقاً لقاعدة ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[6]، فالذي يبدو أنَّ هذهِ الدلالة هي الأكثر ملاءَمةً مع السياق، لأنَّ المقام هنا مقام مقابلة العطاء بالبخل والإكداء، ومقام التزكية والتقى، وما يخصُّ صيغة: (وفَّى) – وهي: ((فعَّل)) المضعَّف العين – فهي تفيدُ المبالغة[7]، والتكثير[8]، كما أنَّها تفيدُ التعدية[9]، كونه عليه السلام لم يبلغِ الغاية في الإتمام بمهمة العطاء سهلاً هيّناً، و إنَّما جاءَ بالمجاهدة والتكلف بالنفس حتى تمكَّنَ من إيقاعها مستسلماً لله مستجيباً لما ينوي صاحبه فعلهُ من الحسنات، لأنّ ما يمنعُ الإنفاق والعطاء هو النفس والشيطان وخشية الفقرِ، وعِلَّةُ حذفُ المعمولِ هي إفادةُ العمومِ فهوعليه السلام قد وفى في كُلِّ شيءٍ فقد وفى في التوحيدِ حقهُ ووفى الإخلاص والصدقَ والبذل... فحُذِف المفعولُ ليدُلَّ على عمومِ الوفاءِ، وعِلَّةُ الوصف بالفعل دون الاسمِ، لأنَّ الفعل يفيدُ ثبوت الحدث في زمان معين، وكل ما كان زمانيَّاً فهو متغير، والتغير مُشعرٌ بالتجدد، كما أنَّ الإخبار بالفعل يفيدُ وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد، والاسمُ لا يفيدُ ذلك[10]، أي على الرغمِ من وقوعِ الفعلِ فإنَّ الفعلَ يفيدُ التجدُدَ والحدوث.

---

(١) النجم: ٣٣.

(٢) النجم: ٣٤.

(٣) الكشاف: ٤/ ٤١٦.

(٤) لسان العرب: ٦/ ٤٨٨٥، مادة: لمم، وتاج العروس: ٤/ ٢٢٤.

(٥) اللمم: ليس بمواقعة الذنب، وإنَّما هو مقاربته ثمّ ينحجِزُ عنه، ينظر: مقايس اللغة: ٨١٥، واللمم: صغار الذنبِ، والقاموس المحيط: ١١٠٦.

(٦) هود: ١١٤.

(٧) معاني القرآن وإعرابهُ، الزجاج: ١٧٨/٤، والكشاف: ٤/ ٤١٦، والتفسير الكبير: ٢٩/ ١٥، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ١٦٣.

(٨) إعراب القرآن، النحاس: ٤/ ١٨٦، وحاشية محيي الدين شيخ زادة: ٨/ ٢٣، وروح البيان: ٩/ ٢٤٦، وحدائق الروح والريحان: ٢٨/ ١٨٥.

(٩) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٥١، والمبدع في التصريف: ١١٢، والممتع الكبير في التصريف: ١٢٩.

(١٠) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٧٩–٨٠.

الوصف المتكرر في تركيب فعلي مُنزاح:

قال تعالى في وصفِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ رَبَّنَا ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، فقالَ تعالى: (قد كانتْ لَكُم أُسوةٌ حسنةٌ) أي كان فيهم مذهب حسن مرضي بأنْ يؤتسى بِهِ و يتبعَ أثرهُ[2]، أو قدوة وإمام حسن للاقتداءِ بِه، وبِمَنْ معهُ[3]، إنَّ الحياة قوةٌ دافعةٌ إلى الإمام، لا تلتفتُ أبداً إلى الوراء، إلاّ حين يعوقها حاجزٌ عن الجريان[4]، فالحواجز والعقبات هذه قد تثيرُ وتفتحُ دربَ التفكيرِ الإبداعي الصحيح أمام الإنسان ليتفنّنَ في خطواته الحياتية صوب النجاح أو أنْ تلقي به العقبات صوب الانحراف بالتفكير الخاطئ، فما سبقَ القول ينبثقُ من التركيب الوصفي: (قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه)، فالتركيب يُعبِّرُ عن سيرة إبراهيم عليه السلام في كيفية تصديه للعقبات التي تواجهُهُ، وكيفية ترشيحهِ الأفضل على المفضل في الحياة، أمَّا أداءُ التركيب الوصفي لوظيفة التصوير فيكمنُ فيما تحملُهُ وحدات التركيب من دلالات، فانطلاقاً مِنْ (أُسوةٌ حسنةٌ) التي تستوحى دلالاتها من الاستبدالِ بين تكرار التركيبينِ فيما بين قولهِ تعالى: ﴿قَد كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾[5]، وقوله تعالى بعدَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[6]، فالذي يبدو أنَّ الدلالة تستكملُ فيما بين التركيبينِ، كونها تترددُ بين القول والفعل، وبين الإحداث والثبوت، فقد ((أُنِّثَ الفعل الأول مع الحائل، وذُكِّرَ الثاني لكثرة الحائل، وإنّما كرّرَ الأول في القول والثاني في الفعل))[7]، وهناك من يحيل التكرارَ إلى أنّ الأُولى تنبيهٌ وإرشادٌ، والثانية تأكيدٌ[8]، فالظاهر أنَّ الدلالة التي يستقرُ عليها الوصف في التركيبينِ هي أنَّ (أسوةٌ حسنةٌ) في الأول تعني (أمثلةٌ حسنةٌ) حيث يقالُ: هو أُسوتُكَ، أي أنتَ مِثلُهُ وهو مِثلُكَ[9]، أمَّا في

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الكشاف: ٤/٥٠١.

(٣) معالم التنزيل:٨/٩٤، والمحرر الوجيز: ٨/٢٧٩، وزاد المسير في علم التفسير:٨/ ٢٣٥.

(٤) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٢١٦.

(٥) الممتحنة: ٤.

(٦) الممتحنة: ٦.

(٧) أسرار التكرار في القرآن: ٢٣٦.

(٨) ملاَّكُ التأويل: ٢/ ١٠١٨.

(٩) تهذيب اللغة: ١٣/ ١٣٩، مادة: أسى، والتفسير الكبير: ٢٩/ ٣٠١.

التركيب الثاني فتعني: ((مِثالاً حسناً))، فالمشابهةُ هذه تكمنُ في أنَّ الأُولى اسمٌ[1]، لتلك ((الأمثلة)) في مرحلة النشأة، أو أنَّها قولٌ في مرحلة الحدوث والتجدد، والثانية مصدرٌ تجردَ من الزمان، أي صارَ ((مثالاً)) تاماً، وتمامها متجسد في قولهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، كون الوصف جاءَ بعد الآية. والسبب في ورود لفظة (أُسوةٌ) يكمنُ في دلالتها المعجمية، يقالُ: أسوتُ الجرح فأنا آسوهُ أسواً، إذا داويته واصلحْتَهُ، والآسي: المتطبِّبُ، والإساءُ: الدواء، ويقالُ: جاءَ فلانٌ يلتمسُ لجراحهِ أسواً، يعني دواءً يأسو به جَرحَهُ[3]، أي أنَّ الاقتداء به عليه السلام وانتهاج نهجهِ كالدواء لعلاج من أُصيب بِداءٍ أو جرح، كذا يقالُ: أساهُ، يأسوه إذا عالجه وداواهُ، والأسو: المصدر[4]، وهو إصلاح الجُرحِ وأصلهُ: إزالة الأسى[5]، إذنْ، فأصلُ (أُسوةٌ): ((فَعَلَ، يفعُلُ))، والمصدر ((فَعْلاً))[6]، و ((التاء)) فيها للمبالغة في الوصف[7]، أو ((التاء)) التي لفصل الواحد من الجنس[8]، أي هم الأُسوةُ التي بإمكانِكُم أنْ تداووا بها جرحكم، لأنَّ ما فعلهُ هؤلاء كان أقربُ، لأن تكونَ أُسوةُ إبراهيم عليه السلام والذين معهُ مداواةً وعلاجاً لهم، ومن حيث التركيب فالدلالة المستمدة منه متوقفةٌ على استعمالِ ((كان)) بين الناقصة والتامة، فبِجعلِ ((كان)) ناقصةً، فإنَّ ما يدُلُّ عليهِ التركيبُ هو التوبيخُ واللومُ، واستثقال عبأِ الخطأ على بعض المُسلمينَ، كون التركيب قد سبقَ بالوعيدِ مرتينِ، وهو الظاهرُ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[9]، أي: فعلتُم فعلتكم من إسرارِ المودةِ للكفارِ على الرَغْمِ ممَّا قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معهُ، وما يدُلُّ على هذا المعنى هو أنَّ أداة التحقيق: (قد) مع فعل الكون يراد بهما التعريض بالإنكارِ على المخاطب في الإعراض عن العمل بما تضمَّنَهُ الخبر

---

(١) الكشاف: ٤/ ٥٠١، والتفسير الكبير: ٢٩/ ٣٠١.

(٢) الممتحنة: ٥.

(٣) تهذيب اللغة: ١٣/ ١٣٩–١٤٠، مادةُ: أسى.

(٤) م . ن: ١٣/ ١٣٨–١٤٠، ولسان العرب: ١/ ٨٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٨.

(٦) الأصول، ابن السراج: ٣/ ٨٧.

(٧) يُنظر: ارتشاف الضرب: ٢/ ٦٣٨، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٤٩٢.

(٨) ارتشافُ الضرب: ٢/ ٦٣٧، وشرح التصريح على التصريح: ٢/ ٤٩١.

(٩) الممتحنة: ١.

[1]، أمَّا التركيبُ الثاني وهو: (لقد كانَ لكم فيهم أُسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر) فإنَّ الخطاب فيه يتحولُ من الشدة إلى الأشد بالتوكيدِ الحاصل بـ (لقد) وهو الغاية في التأكيد[2]، ببيانِ عدم التزامهم ومبالاتهم بما كان فيهم من معالجة حين تعرضوا للخطأ في حياتهم.

أمَّا إذا أُريدَ بـ ((كان)) التمام لتدُلَّ على الحدثِ والزمانِ، وأنْ تأتي لازمة[3]، لتصبَحَ (أسوةٌ حسنةٌ) فاعلها، وأنْ تكونَ بمعنى: ((حصلَ))[4]، أو: حَدَثَ وَوَقَعَ [5]، فيتحولُ الخطابُ ليصبَحَ مواساة ومداواة لحالِ هؤلاء الذين آمنوا، ووقعوا في خطأ الموالاة لأعداء الله وأعدائهم، كونهم أرحامهم وأولادهم، فهؤلاء قد افتضحَ أمرهم من الله سبحانه بنزولِ قولِه تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقونَ إليهم بالمودةِ وقد كفروا) [6]، حيث تعرَّضَ هؤلاء لخيبة أملٍ ويأسٍ من حالهم من اللوم الواقع بهم، لذا فقد جاءَ التركيبُ الوصفي مراعياً لمشاعرهم ليجعلَ مِنْ إبراهيم عليه السلام آسياً لحالهم، ومحققاً لِما كانوا يتوقعونَ وينتظرونَ أنْ يحلَّ بهم من الوعيد بأنْ يتحولَ إلى رحمةٍ ومرونةٍ وأملٍ، وذلك بتقدير التركيب: قد حصلتْ لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه، فالخطابُ كان للمؤمنين وليس للكفار والمنافقينَ، ليلقي عنهم الضجر واللوم، وينذروا بالوعيد. وابتداء التركيب بـ (قد) الدال على التقريب والتوقع – فلا يُقال: ((قد فعل)) إلاَّ لِمَنْ ينتظرُ الفعلَ أو يسألُ عنه [7] – يبرزُ هنا حالُ هؤلاء، فهم كانوا بِانتظارِ توَقُّعِ فعلٍ لأنْ يُنقذهم من حالهم، لذا فقد قَرُبَ حصول الفعلِ، كأنَّهُ قد حصلَ، في الوقت الّذي كانوا فيه. والذي يُعيِّنُ دلالة التمام لـ ((كان)) هو تأنيثُ الفعل بـ ((التاء))، لأنّ الفصل بين الفعل وفاعلهِ الحقيقي بغيرِ ((إلاَّ)) جائزٌ فيهِ إثبات ((التاء)) وحذفها، والأجود الإثبات[8]، ومجيء (إذ قالوا لقومهم) يُعَدُّ قرينة أُخرى لإثبات دلالة الحدث والزمان لـ ((كانت))، أي أنَّ ((الأُسوة)) تكوَّنَ وحصلَ إحداثُها حينَ قالوا لقومهم ما قالوا، أو أنَّ العِلَّةَ في إحداثها هي قولهم. كما أنَّ الإخبارَ بـ ((كان)) عن صفة فعلية يكون المراد بها تارة ابتداء الفعل وإنشاؤه، وتارة أُخرى استمراره ودوامه[9]، أي أنَّ الأُسوة نشأتْ معَ قولِهم وتبقى ثابتة ومُستمرة.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/ ١٤٢–١٤٣.

(٢) الكشاف: ٤/ ٥٠٢.

(٣) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٣٤٥–٣٤٦، وشرح التصريح على التوضيح: ١/ ٢٤٩، وهمع الهوامع: ١/ ٣٦٨.

(٤) يُنظر: شرح التصريح على التوضيح:١/ ٢٤٩.

(٥) شرح المفصل: ٤/ ٣٤٥–٣٤٦، وارتشاف الضرب: ٣/ ١١٥٣، وهمع الهوامع: ١/ ٣٦٨.

(٦) الممتحنة:١.

(٧) يُنظر: شرح المفصل: ٥/ ٩٢، وشرح التسهيل: ٤/ ١٠٨، والبرهان: ٤/ ٣٠٥– ٣٠٧، و الأزهية في علم الحروف: ٢١١.

(٨) شرح ابن عقيل: ١/ ٣٧٧.

(٩) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٢٤.

الفصلُ الثالث

التراكيب الدالّة على وصفِ

سيِّدِنا موسى عليه السلام

الوصف المفرد الواقع فعلاً في التركيب الفعلي:

قال تعالى في وصف موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[1]، فقال: (واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسي) أي: قَوِيتُكَ وعلَّمْتُك لِتُبلِّغَ عبادي أمري ونهي[2]، ((فإنَّما أنت لِلْمهمةِ التي صَنعتُكَ على عيني لها واصطنعتُكَ لِتؤديها فما لكَ في نفسِكَ شيءٌ، وما لأهلكَ منك شيءٌ، وما لأحدٍ فيكَ شيءٌ، فامضِ لما اصطنعتُكَ لَهُ))[3].

الوصف تصوير لِجزئياتِ الحياةِ الحادثة، وقد يعكِسُ التصويرُ صوراً مُصغرةً بجزئياتِ اللغة مؤلفة تراكيب وصفية، كالمُتَمَثِلِ في: (واصطنعتُكَ لنفسي)، فالتركيب هذا يُعَدُّ مُجمِلاً لما قبلَهُ وما بعدَهُ من الأحداث الجارية في حياة موسى عليه السلام وما يُعيِّنُ دلالة الإجمالِ القبلي قرينة ((الواو)) العاطفة[4]، الدالَّة على الترتيب[5]، والتعليل[6]، أي أنَّ ما سبقَ وروده قبلَ التركيب من الأحداث المجملة في الآيتينِ في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾[7] قد ترتَّبَتْ علةً في نشأتِ موسى عليه السلام أو ما يُسمَّى بعواملِ التكوينِ الشخصي من العناءِ والمشقةِ والاشتياقِ والغُربةِ، حتى صارَ كـ ((السيفِ الصنيعِ)) الصقيلِ المَجلُوِّ المجرَّبِ، قد صُنِّعَ وهُيِّئَ[8] لأداءِ المهمةِ التي خُصِصَتْ له عليه السلام، فهو مِثْلُ المادةِ التي تُختارُ في الصُنْعِ الأجودِ كي تُقيَ مصارعَ السوءِ، فكلُّ ما سبقَ يُستمدُّ من فعليةِ التركيبِ، ومن دلالةِ الفعلِ المعجميةِ، ومن صيغتهِ المعدولةِ. ومجيء التركيبِ فعلياً بِصيغةِ الماضي التامِ، إيحاءٌ بالأحداثِ والتغيراتِ التي طرأتْ على حياةِ موسى عليه السلام مُنذُ الصُغرِ إلى أنْ تمَّ صُنْعَهُ. أمَّا عدولُ التركيبِ بفعلهِ الواصف عن صيغةِ: ((صَنَعَ)) وهي ((فَعَلَ))، إلى صيغةِ: ((اصْطَنَعَ)) وهي ((افْتَعَلَ))، فهو لتضمُّنَ التركيبَ شطرينِ من حياةِ موسى عليه السلام المتكلفة، لذا فالصيغة تُناسبُ تمامَ المناسبةِ ذينك الشطرينِ لما

---

(١) طه : ٤٠– ٤١.

(٢) إعراب القرآن، النحاس: ٣/ ٢٨.

(٣) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٣٥– ٢٣٣٦.

(٤) الإعراب المفصل: ٧/ ٩٧، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٨/ ٣٦٩.

(٥) يُنظر: همع الهوامع: ٣/ ١٥٦، وبصائر ذوي التمييز: ٥/ ١٤٨.

(٦) يُنظر: همع الهوامع: ٣/ ١٦٠، وبصائر ذوي التمييز: ٥ /١٤٩.

(٧) طه : ٣٦– ٣٧.

(٨) تاج العروس: ٢١/ ٣٦٥، مادة: صنع.

توحي من دلالة المطاوعة والاتخاذ والتسبب[١]، أي التصرف والاجتهاد، فالمطاوعة لشطرِ الصُنعِ والتهّيؤ أي: صَنَعْتُكَ فاصْطَنَعَتْكَ الظروفُ والأحداثُ المطاوِعةُ التي كلفتْكَ الاجتهاد في حياتكَ مِن دونِ أنْ تلقي بِكَ الأذى، وتنحرفَ بِكَ عن المسارِ الصحيح إلى العصيانِ، أمَّا الاتخاذُ والتسببُ فيستوحيانِ من: (اصطنعْتُكَ لنفسي)، أي ((اتخذتُكَ صنيعةً ... لأوامري، وإقامةَ حُجتي))[٢]، أو: ((اخترتُكَ لِخاصةِ أمرٍ اسْتَكْفيكَهُ))[٣]، فحصول هذا الأمر لا يتـأتَّى إلاّ تَكَلُفاً وجُهْداً[٤]، وهذا ما يقتضيهِ شطرُ شروع الصنيع بِأداءِ المهمةِ المجهودةِ التي تكمنُ في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾[٥]، كما أنَّ صيغةَ ((افتعل)) تأتي لازمةً ومتعديةً[٦]، واتخاذ ضمير موسى عليه السلام مفعولا بِهِ يُعَدُّ قرينة أُخرى بما وقعَ على موسى عليه السلام من تكاليف الحياة.

أمَّا الإجمالُ البعدي لـ (اصْطَنَعْتُكَ لِنفسي) فيوضحُهُ ورودُ ((اللام)) الجارَّة في (لنفسي) المفيدة للتخصيص والتعليل[٧]، أي تخصيص موسى عليه السلام، لأجلِ تحقيقِ أمرِ اللهِ سَبحانهُ، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[٨]، وهذا مزيد إكبار وإجلال لَهُ عليه السلام ما بَعْدَهُ إكبار وإجلال، فموسى عليه السلام مصطنعٌ مِنْ قبل اللهِ سبحانَهُ لنفسهِ العليَّة.

---

(١) يُنظر شرح التسهيل: ٣/ ٤٥٥، و والممتع في التصريف: ١٣١، والمبدع في التصريف: ١١٥–١١٦، والخلاف التصريفي وأثرهُ الدلالي في القرآن الكريم: ١٤٣–١٤٤.

(٢) البحر المحيط: ٦/ ٢٢٨، والخلاف التصريفي وأثرهُ الدلالي في القرآن الكريم: ١٤٣–١٤٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٤٤، والقاموس المحيط: ٦٨٩.

(٤) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٥٥.

(٥) القصص: ٥–٦.

(٦) يُنظر: الممتع في التصريف: ١٣١، والمبدع في التصريف: ١١٥.

(٧) يُنظر: رصف المباني: ٢٩٤، ٢٩٩، وبصائر ذوي التمييز: ٤٠٩/٤.

(٨) طه : ٤٢– ٤٣.

الوصف الثنائي الواقع حالاً في التركيب الفعلي:

قال تعالى في وصف موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾[1]، **فقال: (فرجَعَ موسى إلى قومهِ غَضْبانَ أسِفاً) أي: حزيناً[2] لعبادةِ قومِهِ العجل ومخالفتهم الموعد[3]، الظاهرُ من التركيبِ الفعلي المقيد بحالين[4]: (غَضْبانَ أسِفاً) أنَّ الأحداثَ الجاريةَ فيه لا تخلو من مؤثراتٍ ودوافع عاطفية، فالتركيب بِوحداتِهِ اللغويةِ وقرائنِهِ وسياقِهِ العاطفي الانفعالي النابع منهُ يكشِفُ عن إحدى الطبائع الإنسانية المفطورة عليها المسمَّى بالسلوكِ الفطري[5]، أو بالانفعالات، التي اقتضتْ حكمةُ اللهِ تعالى أن يزوِّدَ الإنسانَ بِها[6]، وهي حالاتٌ داخليةٌ تنشأُ من مجرياتِ الأُمورِ والأحداثِ في حياةِ الفردِ، وهي في الحقيقةِ لا يمكنُ التحكمَ بِها فوراً، أو السيطرةَ عليها وعلى ما قد ينتجُ عنها من سلوك. من هذه الانفعالات: مشاعرُ القلقِ، والغضبِ، والحزنِ[7]، فما استدعى تقيُّدَ حدث الرجوع منْ موسى** عليه السلام **بِحالين هما مجرياتُ الأمورِ والأحداثِ في حياتِهِ، التي تكمُنُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[8]، وقولِهِ: ﴿أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾[9]، فلمْ يكنِ الأنبياءُ والرُّسلُ بِخارجينَ عن الفطرةِ البشريةِ على الرغمِ من كونِهِم ممثلينَ في الأُسوةِ الحسنةِ، وما يُميِّزُهُم عن البشريةِ جمعاءَ لِكونهم يُضحُّونَ بِحياتِهِم من أجلِ السعادةِ الإنسانيةِ، وهذه الميزةُ مستمدةٌ من التركيبِ الواصفِ لِموسى** عليه السلام **الكامن في الحالِ المتعدد[10] من موسى** عليه السلام**، وسبب التعددِ في الحالِ تكشِفُهُ القرائنُ المقاليةُ المستمدةُ من الدلالةِ المعجميةِ للحالين، وصيغتهما الصرفية، وتأخير الأقوى، وتقديم الأدنى، فالغضب: اشتداد السخط، فهو من الجذرِ: ((غ.ض.ب)) الذي**

---

(١) طه : ٨٦.

(٢) معالم التنزيل: ٥/٢٨٩، والكشاف:٣/٨٠، والمحرر الوجيز:٦/١٢١.

(٣) الكشاف:٣/٨٠.

(٤) البحر المحيط: ٦/ ٢٤٨، والدر المصون: ٥/ ٤٦٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٣/ ٣٥١، وإرشاد العقل السليم: ٣/ ٢٧٤، وإعراب القرآن، زكريا الأنصاري: ٢٨٢، وإعراب القرآن وبيانهُ: ٤/ ٧١٢، وحدائق الروح والريحان: ١٧/ ٣٨٩.

(٥) أصول علم النفس: ٨٢.

(٦) القرآن وعلم النفس: ٧١.

(٧) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: ٢/ ١٤١.

(٨) الأعراف : ١٤٧.

(٩) طه : ٨٠.

(١٠) يُنظر في الحال المتعدد: شرح المفصل: ٢/ ٦، ومغني اللبيب: ٦/ ١٤٨–١٤٩، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٤٣.

يدُلُّ على شدةٍ وقوةٍ[١]، فهو يأتي استجابة لانفعالٍ [٢]، فينتجُ عنه ثورانَ دم القلب إرادة الانتقامِ[٣]، أو انفعال النفسِ بمشاعرِ النقمة[٤]، حيثُ يؤدي إلى تعطيلِ الفكرِ، وفقدانِ قدرتِه على إصدارِ الحُكمِ الصحيحِ أو التحكُّمِ في الحادثِ الّذي يحصلُ[٥]، قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الغضبَ جُمرةٌ تُوقَدُ في القلبِ، ألم ترَ إلى انتفاخِ أوداجهِ وحُمرةِ عينيه))[٦]، ولا سيَّما إنْ بَلَغَ الغضب حدّهُ الأقصى، وهو المستمدُ من (غَضْبانَ): فَعْلانَ، وهو صيغةُ مبالغةٍ[٧] تدلُ على كثرةِ الغضبِ وشدَّتِه، وامتلائِه بِه[٨]، قالَ ابنُ القيِّمِ الجوزية (ت٧٥١هـ): ((وفَعْلانَ دَخَلَها معنى المبالغةِ مِنْ حيثُ كان في آخرِه ألفٌ ونونٌ كالتثنيةِ، فإنَّ التثنيةَ في الحقيقةِ تضعيفٌ، وكذلك هذه الصفة، فكأنَّ غضبانَ كاملٌ لضعفينِ من الغضبِ والسكرِ، فكانَ اللفظُ مضارعاً للفظِ التثنيةِ، لأنَّ التثنيةَ ضعْفانِ في الحقيقةِ)) [٩]، فغضبُ موسى عليه السلام ((من حيثُ لَهُ قدرةٌ على تغيير مُنكرهم، وأسفُهُ – وهو حُزنُهُ– من حيثُ علِمَ أنَّهُ موضعُ عقوبةٍ لا يَدَ لهُ بِمدفَعِها، ولا بُدَّ منها)) [١٠]، وربَّما يسألُ سائلٌ: كيفَ ينسجمُ مثَل هذا السلوك وشخصية الرُّسُلِ والأنبياءِ؟ فيُجابُ: إنَّ النكتةَ في مجيءِ (أسِفاً) حالاً ثانياً، كونهُ قوةَ معاكسةَ مُقللةَ من حدةِ الغضبِ حِفاظاً على توازنِ شخيصةِ موسى عليه السلام، أي أصبحَ قوةً مصارِعةً مُعاقةً وغلّابةً على عدوانيَّةِ الغضبِ، يُقالُ: أسِفَ أسَفاً: حَزِنَ على ما فاتَهُ، لأنَّ الأسفَ عندَ العربِ الحُزنُ، وقيل: أشدُّ الحزنِ، والأسيفُ، مَنْ يغلِبُهُ البُكاءُ، أي سريع البُكاءِ والحَزَنِ [١١]، أو أنَّ الأسيفَ: الرقيقُ القلبِ البكّاءُ[١٢]، و (أسِفاً): ((فَعِلاً)) وهو مِنْ أبنيةِ الصفةِ المشبهةِ، وهذا البناءُ – على العمومِ – يدُلُّ على الأعراضِ، أي عدمِ الثبوتِ، أي أنَّ هذا البابَ يدُلُّ على ما يكرَهُ أمرهُ من الأمور

---

(١) مقاييس اللغة: ٧١١، مادة: غضب.

(٢) المعجم الوسيط: ٢/ ٦٥٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز: ٤/ ١٣٥.

(٤) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب السنة: ١/ ١٦٧.

(٥) م . ن: ٢/ ١٤٦.

(٦) مُسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٩، رقم الحديث: ١١١٥٩، وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٣، رقم الحديث: ٢١٩١، وقال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وعلم النفس الإسلامي: ٥٨– ٥٩.

(٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: ٣/ ٧٨، واللباب في علوم الكتاب: ٩/ ٣٢٢.

(٨) اشتقاقُ أسماءُ الله : ٥٥، ومعاني القرآن وإعرابُه: ٣٩/١، والبرهان في علوم القرآن: ٥٠٢/٢، والتعريف بالتصريف: ٢٥٢، والمشتقات العاملة: ١٨١.

(٩) بدائِعُ الفوائد: ٤١/١.

(١٠) البحر المحيط: ٦/ ٢٤٨، وروح المعاني: ١٦/ ٢٤٤.

(١١) لسان العرب: ١/ ٧٩، مادة: أسف.

(١٢) المعجم الوسيط: ١/ ١٨.

الباطنةِ العارِضةِ في الغالبِ[1]، التي تطرأُ وتزولُ سريعاً، ولكنَّها تتردّدُ على صاحبها كثيراً [2]، فعلى الرغمِ من أنَّ الوصفينِ من: ((فَعِلَ))، الذي لزومهُ أكثر من تعديه، ولذا غلبَ وضعَهُ للنعوتِ اللازمةِ، وللأعراضِ والألوانِ وكِبرِ الأعضاءِ[3] ، فالموضوعُ للأعراضِ: كـ برِء، ومرِضَ، ونشِطَ، وكسِلَ، وفرِحَ، وحزِنَ، وشبِعَ، وغرِثَ، وروِيَ، وعطِشَ[4] إلاَّ أنَّهُ قد عُدِلَ عن صيغةِ الوصفينِ بمجيء الغضبِ بصيغةِ المبالغةِ ومجيءِ الأسفِ بصيغةِ الصفةِ المشبهةِ انسجاماً مع مقتضى الحالينِ، كون الأُولى من الأحوالِ المتنقلةِ، والثانية من الأحوالِ الثابتةِ لموسىعليه السلام ، أي رقيقُ القلبِ دوماً مع قومهِ. ويبدو أنَّ (أسِفاً) يستوي فيهِ المبالغة والثبوت، فالمبالغةُ تعبيرٌ عن حالهِ في ذلك الوقتِ، والثبوتُ كونُهُ مفطوراً برقةِ القلب، لأنَّ ((فَعِلٌ)) هو وزنٌ يفيدُ المبالغةَ، إلى جانبِ استعمالهِ صفةً مشبهةً، والسياقُ هو الحَكَمُ عندَ حدوثِ هذا التداخلِ[5]، ومجيء الوصفينِ ضِمْنَ تركيبٍ فعلي إيحاءٌ بما طرأ على موسىعليه السلام من الحدثِ والحدوثِ، وهذا يؤدي إلى أنَّ الحالينِ وردا مبالغة تعبيراً عن الوضعِ النفسي لموسى عليه السلام، وورود (أسِفاً) متأخراً عن (غضبانَ) تخفيفاً للوضعِ النفسي، كونهُ حالة حزنٍ ملازمٍ للبُكاءِ غالباً، والبُكاءُ يُخففُ الألمَ، ويُفرِجُ عن الهمِّ والغمِّ، ومِمَّا يدُلُّ على ذلكَ مُخاطبةُ موسى عليه السلام مع قومهِ بأسلوبِ النداءِ: (يا قوم)، فأضافَ القومَ إلى نفسهِ، مما يدُلُّ على التلطفِ والاستعطافِ بهم، وسَبَبُ التأخيرِ كذلك يكمُنُ في كونِ (غَضبانَ) أبلغ من حيثُ الصيغةُ من (أسِفاً)، لأنَّ العربَ في كلامهِم ((إنَّما يخرجونَ من الأدنى إلى الأعلى فيقولونَ: فقيهٌ عالِمٌ، وشجاعٌ باسِلٌ، وجوادٌ فيَّاضٌ، ولا يعكسونَ هذا لفسادِ المعنى، لأنَّهُ لو تقَّدمَ الأبلغُ لَكانَ الثاني داخلاً تَحْتَهُ، فلمْ يكنْ لذكرهِ معنىً))[6]، كما أنَّهُ لو لم يكنْ أبلغَ وأقوى لمَّا تمكَّنَ موسى عليه السلام من مُصارعةِ (غَضْبانَ) والتغلب عليه، كما أنَّ صاحبَ الحالِ يوحي بدلالةِ عدمِ انزياحِ الغضبِ من موسى عليه السلام إلى سلوكٍ عدواني، لأنَّ ما يُستمدُّ من الفصلِ بِـ (إلى قومهِ) هو أنَّ رجوعَهُ عليه السلام لم يكنْ ملازماً للغضبِ، بل الغضبُ والأسَفُ بدأ بعدَ رجوعهِ إلى قومهِ ومعاينتهِ لحالهم وهُم عابِدونَ العجلَ، والقرينة الدالة على ذلكَ هي (إلى) الجارةُ الدالةُ على انتهاءِ الغايةِ الزمانيةِ والمكانيةِ[7]، أي بعد أنْ انتهى وصولُهُ زماناً ومكاناً إلى قومهِ بدأ غضبُهُ وحزنُهُ، فلو كان رجوعَهَ مصاحباً للغضبِ والأسَفِ لتصرَّفَ تصرُّفاً عدوانيَّاً لحظةَ عودتهِ، كما يُستمدُّ ذلك من العدولِ

---

(١) يُنظر: معاني الأبنية في العربية: ٧٨، والصرف الواضح: ١٨٠–١٨١.

(٢) الصرف الواضح: ١٨٠–١٨١.

(٣) شرح التسهيل: ٣/ ٤٣٨–٤٣٩

(٤) شرحُ التسهيل: ٣/ ٤٣٨–٤٣٩، الشافية في علم التصريف: ١٩.

(٥) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: ١١٨.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٥٠٥.

(٧) يُنظر: الكتاب: ٤/ ٢٣١.

عن ((فرجع موسى غضبانَ أسِفاً إلى قومه)) إلى (فرجعَ موسى إلى قومهِ غضبانَ أسِفاً)، فغضبُ موسى عليه السلام، لله تعالى وتأسفُهُ على ما كان منهم من عبادةِ العجلِ والكفرِ باللهِ تعالى – حَصَلَ عِنْدَ مجيئهِ من الطورِ إلى قومهِ مِنُ حيثُ إنَّهُ عَرَفَ حالَهُم عِنْدَ ذلكَ[1].

(١) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٢٩.

الوصف المفرد بالجملة الواقعة حالاً في التركيب الفعلي:

قال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، فقالَ على لسانِ موسى عليه السلام: (فعلتُها إذنْ وأنا مِنَ الضَّالينَ) أي: فعلتُها وأنا من الجاهلينَ، أو من الفاعلينَ فِعْلَ أولي الجهلِ والسفه، أو الذاهبينَ عنِ الصوابِ، أو الناسينَ[2] أنَّ الوكزةَ تَبلُغُ القَتلَ[3]، التركيب الفعلي المذكور– (فعلتُها إذاً) المقيد بالتركيب الاسمي (وأنا من الضَّالينَ) الواقعِ حالاً[4] من موسى عليه السلام، لأنَّ الجملةَ الواقعةَ حالاً، لا بُدَّ فيها ممَّا يعلِّقُها بِما قبلها، ويربُطها به، لِئلاَّ يتوهَمَ أنَّها مُستأنفةٌ، وذلك بالواو، أو بضميرٍ يعودُ منها إلى ما قبلها على ما تقدَّمَ[5] – يوحي بدلالةِ التحدي والعزمِ والصمودِ والتوّكلِ، اقتضاه موقف موسى عليه السلام الكلامي في لقائهِ مع فرعونَ آيةِ الطغيانِ والضلالِ والإلحادِ، والدلالةُ هذه يُعينها الانزياح الموضعي لـ (إذاً) المُفيدة للجوابِ والجزاءِ[6]، لأنَّها على الرغمِ مِن كونها غيرَ عاملةٍ[7]، فإنَّ موضعَها الابتداءُ، أي لا يجوزُ فيها التقديمُ والتأخيرُ[8]، فسببُ العدولِ عن ((إذاً فعَلتُها وأنا من الضَّالينَ)) إلى: (فعَلتُها إذاً وأنا من الضَّالينَ) يكمُنُ في أنَّ الأوَّلَ: يوحي بدلالةِ اعترافِ موسى عليه السلام بالذنبِ مُصطبِغاً بالتوسلِ والاعتذارِ من فرعونَ، أي أنَّهُ أقرَّ بِفِعْلتِهِ ويطلبُ العذرَ لقاءَ ذلك كونهُ ضالاً آنذاك، أمَّا الثاني: فهو الاعتراف بفعلهِ بالأسلوبِ اللائقِ للمقامِ وهو التحدي واللامبالاة، لأنَّ تأخيرَ (إذاً) عن: (فعلتُها) مبادرةٌ بالإقرارِ ليكونَ كنايةً عن عدمِ خشيتِهِ من هذا الإقرارِ[9]، قالَ الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ((فإنْ قلتَ: إذاً جوابٌ وجزاءٌ معاً، والكلامُ وقعَ جواباً لفرعونَ، فكيفَ وَقَعَ جزاءاً؟ قُلتُ: قولَ فرعونَ: (وفعلت فعلتك) فيه معنى: إنَّكَ جازيتَ نعمتي بما فَعَلْتَ، فقالَ لهُ موسى: نعم فعَلتُها مُجازياً لك، تسليماً لقولِهِ، لأنَّ نعمتَهُ كانتْ عِندَهُ جديرةٌ بأنْ تُجازى

---

(١) الشعراء : ١٩– ٢٠.

(٢) الكشاف: ٣/ ٢٩٧.

(٣) الجامعُ لأحكامِ القرآن: ١٦/ ١٧.

(٤) الإعراب المفصل: ٣/ ١٨، والجدول في إعراب القرآن وصرفهُ وبيانهُ:١٠/ ٦٢، وحدائق الروح والريحان: ٢٠/ ١٨١.

(٥) شرح المفصل: ٢/ ٢٦، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٤٩.

(٦) يُنظر: الكتاب ٤/ ٢٣٤، ورصف المباني: ١٥١، والبحر المحيط: ٧/ ١٠، ومغني اللبيب: ١/ ١١٠، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٩٤، والإتقان: ٤/ ١٠٢٥.

(٧) رصف المباني: ١٥١.

(٨) يُنظر: المقتضب: ٢/ ١٠، وشرح المفصل: ٤/ ٢٢٧، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٩٥.

(٩) التحرير والتنوير: ١٩/ ١١٣، وروح المعاني: ١٩/ ٦٩.

بِنحو ذلك الجزاء))[1]، كما أنَّ (الواو) على الرغمِ مِنْ دلالتِها الحاليةِ[2]، توحي بدلالةِ التعليلِ [3]، أو السببيةِ للفعلةِ التي أحدثَها موسى عليه السلام، وتسويغ الفعلِ بالسببيةِ يعينُ الجزاءَ كذلكَ، وهذا يؤدي إلى أنَّ فِعْلَتَهُ عليه السلام قد نَجمتْ عنِ الاضطرارِ والتحيُرِ كونهُ ضالاً الطريقَ[4]، ولم يهتدِ[5]، غيرَ ذلكَ الوكزِ في التصرفِ بهِ لحظةَ الصراعِ للإفلاتِ من يدِ القبطي، أي أنَّ فِعْلَتَهُ كانتْ جزاءاً للقبطي، فلو لم تكنْ فِعلَتُهُ، لأُضِلَّ كالميِّتِ إذا دُفِنَ[6]، والقرينةُ الدلالةُ على الاضطرارِ والتحيُرِ هي العدولُ عن لفظِ ((القتل)) إلى لفظِ ((الفعل)) لِما في القتلِ من دلالةِ الإذلالِ والإماتةِ[7]، فهو عليه السلام لم ينوِ القتلَ والإماتةَ، بلِ الإنقاذُ بِنفسِهِ ونفسِ مَن استغاثَهُ، لأنَّهُ كانَ من شيعتِهِ، والفعلُ يدلُّ على إحداثِ شيءٍ من عملٍ وغيرِهِ [8]، أي كان متعمِّداً في الضربِ ولَم يكُنْ مُتعمِّداً في القتلِ. ووقوع التركيبِ الاسمي: (وأنا من الضالينَ) حالاً يوحي بحالةِ التحيُرِ والاضطرارِ في كيفيةِ التصرُفِ لحظةَ الصراعِ، وتثبيت دلالة التحدي والعزمِ والتوكلِ لموسى عليه السلام مثلما أوحى بها التركيبُ الفعلي المُنزاحُ (فعلتُها إذاً)، أي لولا تصرفي لَبِتُّ من الضالّينَ عن الهُدى، أي لأستَمَرَّ حالي ضالاً مثلَكُم، فـ (مِن) الجارة المفيدةِ للتبعيضِ[9] هُنا تعيِّنُ تلكَ الدلالةَ، وأنَّ فِعْلَتَهُ لم تكنْ فقط سبباً لإغاثةِ من استغاثَهُ، بلْ الإنقاذُ بنفسِهِ أيضاً، لأنَّ موسى عليه السلام قبلَ أنْ يفرَّ من إحداثِ القتلِ كانَ فارًّا لكفرانِهِ بفرعونَ وآلهتِهِ، فهو كانَ موحداً وداعياً إلى الإصلاحِ، فَقَتْلُهُ القبطي لا يُغَيِّرُ من حالِهِ بأنْ يَفِرَّ هذا ما يُستمَّدُ من القرائنِ المقاليَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ

---

(١) الكشاف: ٣/ ٢٩٧– ٢٩٨.

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفهُ وبيانه: ١٠/ ٦٢.

(٣) يُنظر: بصائر ذوي التمييز: ٥/ ١٤٩، وهمع الهوامع: ٣/ ١٦٠.

(٤) معاني القرآن، الفراء: ٢/ ٢٧٩، والقاموس المحيط: ٩٧٢، والوجوه والنظائر، الدامغاني: ٣١٠، وتفسير الشعراوي: ١٧/ ١٠٥٥٥.

(٥) مقاييس اللغة: ٥١١، مادةُ: ضل.

(٦) مقاييس اللغة: ٥١١، والقاموس المحيط: ٩٧٢، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٨١.

(٧) مقاييس اللغة: ٧٦٢، مادةُ: قتل.

(٨) م . ن: ٧٤٠، مادةُ: فعل.

(٩) يُنظر الكتاب: ٤/ ٢٢٥، ومغني اللبيب: ٤/ ١٣٩، والبرهان: ٤/ ٤١٦، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٧٧، وشرح شذور الذهب، الجوجري: ١/ ٥٤٥.

ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، **كما أنَّ التركيبَ الوصفي المقيدِ بالحالِ يُجسِّدُ صورةً ذاتَ طبيعةٍ ازدواجيةٍ، أي صورةً ثنائيةَ الوجهِ، فهو يُعبِّرُ عن حالِ موسى عليه السلام في الزمنِ الماضي، وهو يَفِرُّ من كيدِ فرعونَ وأتباعِهِ، ويُعبِّرُ عن زمنِ الحالِ وهو يتحدَّى فرعونَ بأقوالِهِ وهو هادي المُضلِّينَ أمثالَ فرعونَ وأتباعِهِ.**

(١) القصص : ١٤–٢١.

الوصف المفرد الواقع خبراً لمبتدأ محذوف في تركيب اسمي:

قال تعالى في وصف موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[1]، الوصفُ المستمدُّ من هذهِ الآيةِ يكمُنُ في (قُرّتُ عينٍ لي ولكَ) أي: هو قُرّةُ عَينٍ لي ولكَ[2]، كان ذلكَ عندَ التقاطِ التابوتِ لمَّا أشعرتْ فرعونَ بهِ، إذ سبقَ إلى وهمِهِ أنَّ الصبيَّ وهو موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وأنَّ ذلكَ قُصِدَ بِهِ التخلُّصُ من الذبحِ، فقالَ: عليَّ بالذبَّاحينَ، فقالتِ امرأتُهُ ما ذُكِرَ[3]. ويبدو أنَّ السياقَ الَّذي وردتْ فيهِ الآيةُ هو السياقُ ((العاطفي الانفعالي))[4]، أو أنَّ الآيةَ بِما فيها من تراكيبٍ ووحداتٍ لغويةٍ قد اصطبغتْ بالعاطفةِ المستمدةِ من المواقفِ العاطفيةِ الحادثةِ والمحيطةِ بِالآيةِ، فورود الآيةِ بِما فيها جاءَ إثرَ استجابةٍ [5]، للمواقفِ العاطفيةِ الطاغيةِ على أحداثِ السورةِ، والأحداثُ هذه تُجسِّدُ صورةَ الرجلِ الّذي زوَّدتْهُ الفطرةُ بمزيدٍ من القوةِ والخشونةِ والجلدِ والتفكيرِ العلمي العميقِ[6]، التي أصبحتْ مُثيرةً لِصورةِ المرأةِ التي زودتْها الفطرةُ بِمعينٍ من الرأفةِ والحنانِ، وأفحم قلبُها بالحبِ والعطفِ وسرعةِ الاستجابةِ الانفعاليةِ[7]، إلا أنَّ عاطفةَ المرأةِ في هذهِ الأحداث قد تجزأتْ متداولةً بين امرأتينِ قد انْغَمَسَتا في عاطفة الأمومةِ، ولكنْ في شخصيتينِ مختلفتينِ، بُنيةِ إحداهما المرأة التي ولدتْ واسْتُبْعِدَ عنها مولودها، وتَتَمَثلُ شخصيتُها في التضحيةِ بِنفسها من أجلِ الاحتفاظِ بثمرتِها التي تتعرَّضُ لخطرِ العدُّوِ وما يتردُدُ في أعماقها من الخوفِ والحزنِ، والأُخرى شخصيةُ امرأةٍ غيرُ قادرةٍ على الإنجابِ، و تتمثلُ شخصيتها في أنَّها تمرُّ بِمشاكلَ نفسيةٍ كألمِ الانتظارِ، ومرارتِهِ، وتردُدَ أحاسيسِها بين الأملِ الواهي واليأسِ من أنَّ حُلمَها لن يتحققَ أبداً، ومرورها بِمراحلِ الحزنِ، والإحساسِ بالتمردِ والشعورِ بالظلمِ والاضطهادِ والغضبِ لكونِها ضحية العُقْمِ من دونِ النساءِ والشعورِ بالذنبِ والاكتئابِ[8]، فانطلاقاً من السياقِ الَّذي وردَ فيهِ التركيبُ الخبري: (قُرّتُ عينٍ لي ولَكَ) فإنَّهُ تكمُنُ في صيغةِ الوصفِ والقرائنِ المقاليةِ دلالاتٌ عدةٌ، فمنْ حيثُ التركيبُ اختلفتِ الآراءُ بِصددِهِ، فقد ذهب الفراء (ت٢٠٧هـ) والزجاج

---

(١) القصص : ٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٣٦، وروح البيان: ٦/ ٣٨٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٦/ ٥٧٣.

(٤) يُنظر: علم الدلالة أُصولهُ ومباحثه في التراث العربي: ٨٩.

(٥) م . ن: ٨٦.

(٦) لمحات نفسية في القرآن الكريم: ١٨٥.

(٧) م . ن: ١٨٥، وروائع البيان في إعجاز القرآن: ٦٨.

(٨) هموم المرأة تحليل شامل لمشاكل المرأة النفسية: ١٥٨.

(ت٣١١هـ) إلى أنَّ (قُرّتُ عينٍ) خبرٌ لِمبتدأٍ محذوفٍ، رُفِعَ بِإضمارِ ((هـو))[١]، وأضافَ الزجاج: أنَّهُ يُقبَحُ رفْعُهُ على الابتداءِ وأنْ يكونَ الخبرُ (لا تقتلوهُ)، فيكونُ كأنَّهُ قد عُرِفَ أنَّه قرةُ عينٍ لَهُ[٢]، أمَّا الكسائي (ت١٨٩هـ) فيُقَدِرُ المبتدأ المحذوفَ بـ ((هذا قُرّةُ عينٍ لي ولَكَ))[٣]، فالذي يبدو ممَّا سبقَ أنَّ ما طَرَأ على التركيبِ من حذفٍ وتقديرٍ قد روعيَّ فيهِ ما اقتضاهُ سياق الموقفِ والوضعُ النفسي الَّذي يُسمَّى: بالسياقِ العاطفي، ولعلَّ السبَبَ في حذف المُبتدأ هُنا هو أنَّ امرأةَ فِرعونَ أرادتْ أنْ تَصرِف ذهنَ فِرعونَ مِن نظرتِهِ إلى الولدِ فيتذكَّرُ وجوبَ ذبحِهِ إلى كونِهِ قُرتُ عينٍ فيفرحُ ويرضى بإبقائِهِ حيَّاً. فالحذفُ لِصرفِ الذهنِ، أو أنَّ عدمَ ذِكرِ المسندِ إليه بـ ((هو أو هذا)) يكمُنُ في ضيقِ الوقتِ أو ضيقِ المقامِ[٤]، أو أنَّ الزمانَ يتقاصَرُ عن الإتيانِ بالمحذوفِ[٥]، أي أنَّ امرأةَ فرعونَ نتيجةَ إسراعها في إنقاذِ حياةِ الصبيِّ من الذبحِ على يدِ المأمورينَ من جنودِ فرعونَ، لمْ تَتَمكنْ من النطقِ بـ ((هو)) أو ((هذا))، لأنَّ ما امتازتْ بِها من العاطفةِ لمْ تدعْها تسمحْ أنْ تجري جريمةُ الذبحِ أمامَ عيْنَيْها، كما أنَّ تلكَ العاطفةَ أثارتْ في نفسها وقلبِها الذي ألقى اللهُ فيهِ محبةَ موسى عليه السلام، الرغبةَ في أنْ تتخّذَ من موسى عليه السلام ولداً، فهذهِ جعلتْها أكثرَ إسراعاً وتوتراً واضطراباً وخوفاً من أنْ يُرْفضَ طلبُها من فرعونَ، وأشعرَها فرحها وسرورها بأنَّ أُمنيَّتَها التي كانت تحلمُ بها وهي بعيدةُ التحقيقِ – قد أصبحتْ حقيقةً ملموسةً بالرؤيةِ بينِ يَدَيْها، لأنَّها كانتْ لا تلدُ[٦]، فالموقف كان سبباً في وقوعِ الحذفِ في التركيبِ، والقرينةُ الدالَّةُ على الحذفِ المشارِ إليه هي مجيءُ ((واو)) العطفِ تعليلاً[٧]، لـ (قالتِ امرأةُ فرعونَ) المعطوفة[٨] على (فالتقطهُ)، أي أنَّ علةَ القولِ هي التقاطُ آل فرعونَ لموسى عليه السلام ، أمَّا تقديرُ المحذوف بـ((هو)) أو((هذا))، فالذي يبدو أنَّ التقديرَ الأكثرَ انسجاماً مع الموقفِ هو أنْ يُقَدرَ بـ ((هذا))، لِما في أسماءِ الإشارةِ من الإبهامِ[٩]، كما أنَّ الموقفَ كان بِحاجةٍ إلى أنْ

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ٣٠٢، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣١٨، الكشاف: ٣/ ٣٨١، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٣٦، و البحر المحيط: ٧/ ١٠١، والدر المصون: ٨/ ٦٥٢، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٢١٨، وروح المعاني: ٢٠/ ٤٧، والتحرير والتنوير: ٢٠/ ٧٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣١٨، ويُنظر: إعراب القرآن، النحاس: ٣/ ١٥٦–١٥٧، والكشاف: ٣/ ٣٨١، والدر المصون: ٨/ ٦٥٢، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٢١٨.

(٣) إعراب القرآن، النحاس: ٣/ ١٥٦، وإعراب القرآن، زكريا الأنصاري: ٣٢٥.

(٤) مفتاح العلوم: ٢٦٥، والبلاغة العربية فنونها وأفنانها:١/ ٢٦١.

(٥) البرهان: ٣/ ١٠٥.

(٦) التفسير الكبير: ٢٤/ ٢٢٧– ٢٢٨، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٣٦، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٢١٨.

(٧) يُنظر: بصائر ذوي التمييز: ٥/ ١٤٩، وهمع الهوامع: ٣/ ١٦٠.

(٨) الدر المصون: ٨/ ٦٥٢.

(٩) يُنظر: المقتضب: ٤/ ٢٦٥، وشرح المفصل: ٢/ ٢٤٨.

يُبْهَمَ عنه[١]، أمَّا التقديرُ بـ ((هو)) الضمير فتَكمُنُ فيه دلالة العهد، أو كأنَّ امرأةَ فرعونَ كانت على علمٍ وعهدٍ بالطفل، لأنَّ الاسمَ لا يُضمرُ إلاَّ بعدَ تَقدُّمِ ذكره، ومعرفةِ المخاطَبِ على مَنْ يعودُ، ومن يَعني [٢]، ومثل هذا التعريف لا يقتضيه الموقفُ المُضطربُ الَّذي يواجهُهُ فرعونُ، ذو الطبعِ المتحيزِ في تفكيره السائرِ على وَفْقِ ميوله ودوافعه وانفعالاته وعواطفه[٣]، كما أنَّ التقديرَ بـ ((هذا)) يُنبئُ عن غرضٍ دلالي آخر وهو ((أنَّ المُبهمَ أعرفُ المعارف، لأنَّهُ يُتعرَّفُ بالقلبِ والعين، وغيرُهُ يُتعرَّفُ بالقلبِ لا غير، فكانَ ما يُتعرَّفُ بشيئين أعرفُ ممَّا يُتعرَّفُ بشيءٍ واحدٍ))[٤]، وهذا يتلاءمُ تماماً مع شخصيةِ امرأةِ فرعونَ، كأنَّها على الرغمِ من دافعها الأُموميِّ إلاَّ أنَّها أحسَّتْ منه هدايةً برؤيته، أي أنَّها عرفتْهُ قَلْبَاً بمحبته وعيناً، لأنَّها رأتْ نوراً في التابوت[٥]، ودلالةُ الجذرِ اللغوي ((ق.ر.ر)) ومشتقاته لا تخرجُ عن البرد، والنهل، وانقطاعِ البُكاء، ورؤيةِ المتشوِّفِ إليه، والثبوت، والاستقرار، والصبر، والاطمئنان، وحدقةِ العين[٦]، مما يتلاءمُ تماماً مع هذا السياق.

وأُضيفَتْ (قُرَّتُ) إلى (عينٍ) الواردة بصيغةِ النكرة، والإضافة إلى النكرةِ لا تفيدُ التعريفَ، وإنَّما تفيدُ ضرباً من التخصيص[٧]، والتخصيص يكمُنُ في أنَّ الإضافةَ تتضمَّنُ دلالةَ ((اللام))[٨]، أي ((قُرّتٌ لعينٍ))، وورود (قُرَّتُ) بالتاءِ الممدودة دونَ التاء المدوَّرة: ((قُرَّةُ))، لأنَّ هذه الأسماءَ لمَّا لازمتِ الفعلَ، صارَ لها اعتباران: أحدهما مِنْ حيثُ هي أسماءٌ وصفاتٌ وهذا تقبضُ منهُ التاءُ، والثاني من حيثُ أن يكونَ مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً في الوجود، فهذا تُمَدُّ فيه، وَجِهة الفعلِ والأمرِ ملكية ظاهرة، وَجِهة الاسمِ والصفةِ ملكوتية باطنة[٩]، ومُدُّ التاءِ في (قُرَّتُ عينٍ)، لأنَّهُ بمعنى الفعل، إذْ هو خبرٌ عن موسى عليه السلام، وهو موجودٌ حاضرٌ في الملك، بخلاف ((قُرّةُ أعينٍ)) فإنَّهُ بمعنى الاسم، وهو ملكوتي، إذ هو غير حاضرٍ[١٠]، فـ (قُرّتُ عينٍ) معجماً وتخصيصاً ومدَّاً بالتاءِ تُجسدُ صورةَ الحدثِ الّذي وقَعَ في نفسِ امرأةِ فرعونَ بِرؤيتِها لـ موسى عليه السلام، أمَّا تخصيصُ (قُرَّتُ) بالعينِ دونَ غيرِها، كونُ العين مركز بث الاستقرار والاطمئنان للجسمِ

---

(١) بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ٥٠.

(٢) يُنظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٤٧.

(٣) القرآن وعلم النفس: ١٥٣.

(٤) يُنظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٤٧.

(٥) البحر المحيط: ٧/ ١٠١، وروح البيان: ٦/ ٣٨٤.

(٦) القاموس المحيط: ٤١٨، مادةُ: قرر.

(٧) يُنظر: شرح المفصل: ٢/ ١٦٤، وشرح شذور الذهب: ١/ ٥٧٧–٥٧٨.

(٨) يُنظر: شرحُ المُفصل: ٢/ ١٦٤، والأصول، ابن السراج: ٢/ ٥.

(٩) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤١٠–٤١١.

(١٠) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤١٤، ومن أسرار النظم القرآني: ١٨١.

كُلِّه، كما أنَّهُ تصويرٌ لِوضعِها النفسي الّذي كانتْ فيهِ وهو انتظارُ تحقيق أُمنيتِها، والانتظارُ وظيفةُ ((العينِ)) حيثُ تَتخذُ العينُ شكلاً منفتحاً مُرتفعةَ الحدقةِ، والقرينةُ الكامنةُ بالدلالةِ هذهِ هي الضمَّةُ التي تتَّخِذُ الشفتانِ في أثناءِ النطقِ بها هيئةً مدورةً[1]، مُتجهةً نحو الأمامِ، وهذا تعبيرٌ وتجسيدٌ لحالِ العينينِ في أثناءِ الانتظارِ ولا سيَّما إنْ كانَ الانتظارُ مديداً، وما يُنبئُ عنهُ مدُّ التاء من دلالةٍ هو أنَّ العينَ لحظةَ الرؤيةِ قد انفتَحَتْ واستقرَّتْ ونَهلَتْ واطمئَنَّتْ وسَكنَتْ، وأنّ الدمعةَ التي كانتْ تجري في عَيْنَيها قد أصبحتْ باردةً سروراً وفرحاً وتعجُباً، تلك حالةُ مَنْ يُفاجَأُ بِخبرٍ سارٍ، أو مشاهدة مَنْ هو أحبُّ الناسِ إليه، كما أنَّ العينينِ قد سادَ فيهما الاستقرارُ بعدَ حدثِ الرؤيةِ، وأنَّ حدقةَ العينينِ قد انكسرتا إشباعاً مِنَ الرؤيةِ، وعادتا إلى وضعِهما الطبيعي بعدَ أنْ لازمهُما التعلُّقَ والانتظارَ، كما أنَّ العدولَ عن التعريفِ: ((قُرَّتُ العينِ)) إلى التخصيصِ: (قُرَّتُ عينٍ) كونُ أمرِ الإقرارِ بذلكَ كان صادراً من طرفٍ واحدٍ، أي أنَّ امرأةَ فرعونَ قد أحسّتْ بتلك (القُرّةِ) دونَ فرعونَ، والدليلُ على ذلكَ قولهُ تعالى على لسانها: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾[2]، فلو كانتِ الصيغةُ معرّفةً لَتغيرتِ الدلالةُ إلى الإقرارِ بِأمرٍ مُستقبلي غيبي، ولأصبحَ الإقرارُ بالأمرِ فردِيّاً مُحايداً، ولَتحولَتِ النتيجةُ برفضِ القبولِ لاتخاذهِ عليه السلام ولداً لهما، على الرغمِ مِنْ اشتراكهما في هدفٍ واحدٍ وهو تحقيقُ فطرةَ الأبوةِ والأُمومةِ لهما، المستمدِّ من العطفِ القائمِ بينَ: (لي ولَكَ) الدالّ على الإشراكِ في أمرٍ واحدٍ.

(١) الإيضاح في علل النحو: ٩٣، ودروس في النظام الصوتي للغة العربية: ٤٠.

(٢) القصص : ٩.

الوصف المفرد الواقع خبراً في تركيبِ النداءِ:

قال تعالى في وصفِ موسى عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، فقال: (ربِّ إنِّي لِما أنزلتَ إلي منْ خيرٍ فقيرٌ) أي: (إنِّي) لأي شيءٍ أنزلتَ إلي قليلٍ أو كثيرٍ، غثٍ أو سمينٍ – فقيرٌ[2]، أو أنَّ موسى عليه السلام قالَ ذلك، لأنَّهُ افتقرَ إلى شقِّ تمْرةٍ فمصَّها فلزِقَ بطنُهُ بظهرِهِ من الجوعِ[3]، وما سألَ اللهَ إلاَّ أكلةً[4]، إنَّ الدلالةَ التي استقرَ عليها التركيب هي طلبُ الطعامِ، كونُهُ عليه السلام لم يذقْ طعاماً[5]، إلاَّ البقلَ و ورقَ الشجرِ[6]، إلاَّ أنَّ التركيبَ الوصفي– بِما فيهِ منْ وحداتٍ لغويةٍ و قرائنٍ مقاليةٍ، فضلاً عن السياقِ الباعثِ للعواطفِ والانفعالاتِ النفسيةِ المستمدةِ من الأحداثِ الجاريةِ في الآيةِ خاصةً والسورةِ عامةً – يوحي بدلالاتٍ أُخرى، وهي أنَّ أحسنَ خيرٍ للغريبِ وجودُ مأوىً له يَطعَمُ فيه، ويبيتُ، وزوجٌ يأنسُ إليها ويسكنُ[7]،وأنَّ ما يكمُنُ في ندائِهِ عليه السلام أنَّه قالَ: ربِّ إنِّي في الهاجرةِ، ربِّ إنِّي فقيرٌ، ربِّ إنِّي وحيدٌ، ربِّ إنِّي ضعيفٌ، ربِّ إنِّي إلى فضلِكَ ومنِّكَ وكرمِكَ فقيرٌ محوجٌ[8]، إذنْ فالقصدُ من التعبيرِ بهذا التركيبِ الندائي المنزاحِ إلى الدُعاءِ والاستغاثةِ[9] ، الواصفِ لما في أعماقِهِ عليه السلام من مشاعرَ كامنةٍ هامسةٍ إيحائيةٍ خافيةٍ، طُبِعَتْ بها كلُّ وحدةٍ مشاركةٍ في التركيبِ، الَّذي يُجسِّدُ لنا ذروةَ ما توصلَ إليه عليه السلام من الحياءِ والخجلِ في النطقِ صراحةً بمثلِ هذه المقصديةِ هو الاستقرارُ عن طريقِ الزواجِ، فطلبُ الطعامِ لم يكنْ حلاً للوضعِ النفسي الّذي كانَ فيه عليه السلام، لأنَّ ذلك الطلبَ لِمَنْ ينوي الاستراحةَ المؤقتةَ ثُمَّ المغادرةَ، فنيَّةُ الاستقرارِ عندَ موسىعليه السلام مستمدةٌ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ

---

(١) القصص : ٢٤.

(٢) الكشاف: ٣/ ٣٨٨، والتفسير الكبير: ٢٤/ ٢٤٠.

(٣) إعراب القرآن، النحاس: ٣/ ١٦١، ومعالم التنزيل: ٦/ ٢٠١ والمحرر الوجيز: ٦/ ٥٨٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٥٧–٢٥٨، والبحر المحيط: ٧/ ١٠٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٣٣٨ ، وروح المعاني: ٢٠/ ٦٤، وحدائق الروح والريحان: ٢١/ ١٤٨– ١٤٨.

(٤) الكشاف: ٣/ ٣٨٨، ومعالم التنزيل: ٦/ ٢٠١ ، والمحرر الوجيز: ٦/ ٥٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٥٩، وروح البيان: ٦/ ٣٩٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٥٨–٢٥٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٦/ ٢٢٧.

(٧) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٠٣.

(٨) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٨٦.

(٩) يُنظر: النداء في اللغةِ والقرآن:١٦١، وبلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني:٢١٥–٢١٦، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:١٦٦–١٦٧.

رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، والاستقرارُ على نيَّةِ الزواجِ مُستمدٌ مِنْ قولهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾[2]، فإقرارُ موسى عليه السلام بالدعاءِ لأجلِ الاستقرارِ جاءَ عَقِبَ أنْ رأى تمامَ الانسجامِ والتلاؤمِ فيما بينَ شخصيتهِ وما طُبِعَتْ بهِ المرأتانِ من الخُلُقِ الحَسَنِ والحياءِ المتجسدِ في سلوكِهما وتصرُّفِهما مع الرجالِ، وإجابتهما على قدرِ السؤالِ الذي وجِّهَ إليهما، والذي يوحي بكونهما أهلَ علمٍ وشريعةٍ، فالإقرارُ التَّامُ لمِ يأتِ إلا بعدَ أنْ عَقِبَ – (فـ)[3] (سقى) – الموقف استجابة لفطرةٍ عاطفيةٍ إنسانيةٍ إيمانيةٍ، وبعدَ تراخٍ ومهلةٍ – (ثُمَّ)[4] (تولَّى إلى الظلِّ) – في التفكُّرِ بحالهِ وهو مُتَشَرِدٌ، ومَنْ كان كذلكَ، فلا يقتصرُ تفكيرُهُ إلاَّ على المأوى، ولا يتحققُ ذلك إلاَّ بالاستقرارِ النفسي والقلبي، وما دونَ الزواجِ لا يُعَدُّ استقراراً، ولا سيَّما وهو غريبٌ عنْ أهلهِ بينَ الغرباءِ ولمْ يجدْ أحسنَ مِنْ أنْ يدعو ربَّهُ بِأنْ يُحقِقَ ما نَزَلَ عليه من خيرٍ بِأنْ يَتُمَّ إحسانَهُ إلى الفتاتينِ، ولا سيَّما بَعْدَ أنْ اسْتَنْتَجَ من قولهما: (وأبونا شيخٌ كبيرٌ)[5] أنَّهما لَمْ تكونا صاحبتا أخٍ ولا رجُلٍ، وأهل المدينةِ لَمْ يكونوا على محبةٍ وعونٍ لأبيهما، ممَّا دَفَعَ موسى عليه السلام أنْ يَتَّخِذَ ما سَبَقَ بوصفهِ الطريقَ الأنسبَ لهُ، هو الوضعُ النفسي الكامنُ في الغرائزِ التي أودعَ اللهُ سُبْحانَهُ في كلِّ عالمٍ من العوالمِ، كَغريزةِ العاطفةِ، وغريزةِ الخوفِ، وغريزةِ المحبةِ[6]، فالخوفُ: الهروبُ، والعاطفةُ: العطفُ بالفتاتينِ، والمحبةُ: اختيارُ الحُبِّ المشروعِ بالطرقِ السليمةِ التي بيَّنها الشرعُ الحنيفُ، وهو النكاحُ الصحيحُ الّذي يَحْفَظُ على الإنسانِ نَسْلَهُ وكرامتَهُ[7]. والعتبةُ الكاشفةُ للإبهامِ النفسي المُتَخَلْخِلِ في أعماقِ نفسِ موسى عليه السلام، هو النداءُ، لأنَّ النداءَ على الرغمِ من كونهِ دعوة موجَّهة من المنادي إلى المنادى، يتضَّمنُ معاني خفيةً تَرتَبِطُ بالجوانبِ النفسيةِ[8]، كما أنَّ عدولَهُ عليه السلام عن: ((يا ربِّ)) إلى (ربِّ) الّذي حُذِفَ مِنْهُ أداةُ النداءِ[9]، تعبيرٌ عن ذلكَ الطلبِ المصطبِغِ بالحياءِ والخجلِ في موسى عليه السلام، لِما في ((يا)) من الجهرِ والعلوِّ والمدِ، فلا يكادُ يستعملُ حرف النداءِ مع الربِّ، بل

---

(١) القصص : ٢٢.

(٢) القصص : ٢٣.

(٣) يُنظر: المثل السائر: ٢/ ٢٢٨، والإتقان: ٤/ ١١٢٨، وشرح شذور الذهب: ١/ ٨٠٢.

(٤) يُنظر: المقتضب: ١/ ١٤٨، والمثل السائر: ٢/ ٢٢٨، وشرح شذور الذهب: ١/ ٨٠٢.

(٥) القصص : ٢٣.

(٦) روائع البيان في إعجاز القرآن: ٦٤.

(٧) م . ن: ٦٥.

(٨) النداء في اللغة والقرآن: ١٦٠.

(٩) شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٦١.

ينادى مجرَّداً من حرفِ النداءِ، ولعلَّ في ذلك تعبيراً عن شعورِ الداعي بِقُربِهِ من ربِّه [1]، وتعظيماً وتنزيهاً لهُ سبحانَهُ، لأنَّ النداءَ يتشرَّبُ معنى الأمرِ، فَحُذِفَتْ ((يا)) من نداءِ الرَّبِّ، ليزولَ معنى الأمرِ، ويتمحَّضَ التعظيمُ والإجلالُ[2]، ومجيء (إنَّ) المفيدة للتوكيدِ والتعليلِ[3]، إيحاءٌ وتشخيصٌ للمشاعرِ الذاتيةِ والحالةِ النفسيةِ لموسى عليه السلام، أي أنَّ ما بعدَ (إنَّي) سببهُ ما واجَهَهُ موسى عليه السلام مِنْ المواقفِ ما قبلَ (إنَّي)، و(لِما) مركبة مِن: ((اللام)) الجارَّةِ المفيدةِ للتعليلِ، بتقديرِ: إنَّي فقيرٌ من الدنيا لأجلِ ما أنزلتَ إلي من خيرِ الدينِ وهو النجاةُ من الظالمينَ[4]، و((ما)) التي هي نكرةٌ موصوفةٌ[5]، بمعنى ((شيءٌ))، بتقديرِ: إنَّي فقيرٌ لِشيءٍ أنزلتَ إليَّ مِنْ خيرٍ – فهذا لا يخلو مِن الإيحاءِ بحالِ موسى عليه السلام في ندائِهِ المُصطبغِ بالخجلِ والحياءِ منْ رَبِّه، والمتميزِ بالإبهامِ والغموضِ، والذي جَعَلَ ((ما)) نكرةً موصوفةً هو أنَّ المطلوبَ شيءٌ غيرُ معلومٍ من جنسِ الخيرِ، ودلالةُ التعميمِ في تنكيرِ[6] (خيرٍ)، ووقوع جملة (أنزلتَ) صفةً لـ ((ما)) [7]، لأنَّ الجُملَ التي تكونُ صفةً لـ ((ما)) لها موضعٌ من الإعرابِ بِحسبِ إعرابِ موصوفِها، والجملَ التي تكون صلةً لا موضعَ لها من الإعراب [8]، فالإبهامُ سادَ التركيبَ، وطغى على كلِّ وحداتِه، والكاشفُ لذلك الإبهامِ هو مجيء (أنزلتَ) بِصيغةِ الماضي القريبِ من الحالِ، أي (لِما أنزلتَ إليَ) قبلَ لحظاتٍ وهو الإحسانُ إلى الفتاتينِ، و باتَ إحسانُهُ ناقصاً دونَ التمامِ، كما يُستمدُّ من (اللامِ) الإشارةُ الإيحائيةُ لذلك الإحسانِ، ودلالة ((إلى)) الجارة على انتهاءِ الغايةِ الزمانيةِ والمكانيةِ[9] إيحاءٌ بالإحسانِ الواقعِ قبلَ لحظاتٍ، أي: إنَّي فقيرٌ للإحسانِ الّذي أحدثتَهُ وانتهى زمانُهُ قبلَ لحظاتٍ، وفي المكانِ الّذي انتهى وصولي إليه أنوي الاستقرارَ فيهِ وهو ((مدينَ))، وتبعيضيةُ[10] (مِنْ) تكشفُ عن جنسِ الخيرِ الذي أرادَهُ موسى عليه السلام أي: إنّي فقيرٌ لبعضِ جنسِ الخيرِ خيراً، أو: إنَّي فقيرٌ لأي خيرٍ تنزلُهُ لي وهو الاستقرارُ النفسي والاستقرارُ الجسدي بأنْ يتخذَ من مَدْينَ مكاناً للسكنِ.

---

(١) من بلاغة القرآن: ١٢٠، وخصائص التعبير القرآني: ٢/ ٧ ومعاني النحو: ٤/ ٢٧٨ وبلاغة التراكيب: ٥٠.

(٢) البرهان في علوم القُرآن: ٣/ ٢١٣.

(٣) البرهان في علوم القُرآن: ٢/ ٤٠٧، والإتقان: ٤/ ١٠٦٣.

(٤) الكشاف: ٣/ ٣٨٨، والبحر المحيط: ٧/ ١٠٩، والدر المصون: ٨/ ٦٦٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٢٣٨، وروح المعاني: ٢٠/ ٦٤.

(٥) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٦/ ٤٤٠، وروح المعاني: ٢٠/ ٦٤.

(٦) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٦/ ٤٤٠.

(٧) الإعراب المفصل: ٨/ ٣٨٣.

(٨) شرح المفصل: ٢/ ٤٠٣.

(٩) يُنظر: مغني اللبيب: ١/ ٤٨٩، وشرح شذور الذهب: ١/ ٥٤٦، واللغة والدلالة: ٥٣.

(١٠) يُنظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ٧٩٦، ومغني اللبيب: ٤/ ١٣٩، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٧٧.

أمَّا (فقيرٌ) وهو ((المسندُ)) فيوحي بدلالته المعجمية وبصيغته وموقعه وانزياحه عن موضعه عن حالِ موسى عليه السلام، فـ (فقيرٌ): مِنْ فَقَرَ، يَفْقِرُ أو يفْقُرُ: مَنْ يجدُ القوتَ، والمسكينُ مَنْ لا شيءَ لهُ[1]، أي أنَّ ما دعا لأجله موسى عليه السلام هو الاستقرارُ لا الطعام، كما أنَّ (فقيرٌ) وهو ((فعيلٌ)) صيغة مبالغة، توحي بحالِ موسى عليه السلام على وجهِ الكثرةِ والمبالغةِ في افتقارِه إلى ما كان ينويه من المقصديةِ المبهمة، كما يجوزُ في صيغةِ ((فعيلٌ))، أنْ تكونَ صفةً مشبهةً إيحاءاً بثبوتِ افتقارِه إلى الله، وإظهاراً لعبوديته لله تعالى وعدمِ استعانتِه و توسلِه بغيرِ الله في تحقيقِ مطالبِه، لأنَّ ((فَعَلَ)) يأتي لازماً ومُتعدياً[2]، وما يخصُّ الانزياح الموضعي لـ (فقيرٌ) الواقعِ خبراً من موسى عليه السلام، فالأصلُ هو ((إنِّي فقيرٌ لما أنزلتَ إليَ من خيرٍ)) قد عُدِل إلى (إنِّي لما أنزلتَ إليَ من خيرٍ فقيرٌ) بالفصل بين المسند إليه والمسند بالتركيبِ: (لما أنزلتَ إليَ)، فهو إيحاءٌ لما كان موسى عليه السلام منطبعاً به من الحياءِ والخجلِ في أنْ يجهرَ بدعائه مباشرةً أمامَ خالقِه، حيثُ ذكرَ حاجَتَهُ بعد أنْ ضمَّنَها في وحداتٍ لغويةٍ مؤلفةٍ من أدواتٍ وأسماءٍ نكرةٍ وأفعالٍ، ثُمَّ تلفّظَ بحاجتِه مُستكنةً مبهمةً في (فقيرٌ)، لما كان يضايقُهُ المقامُ، فالمتكلمُ لا يَعْدِلُ عن الحقيقةِ إلى المجازِ إلاَّ إذا ضاقتْ بهِ الحقيقةُ فيستعيرُ[3]، كما أنَّ الفصلَ بينَ المسندِ إليهِ والمسندِ بالتقطعاتِ: ((لـ، ما، أنزلتَ، إلى، ي، من، خيرٍ)) تعبيرٌ عن خجلِه الشديد، والقرينةُ المقاليةُ الأخيرةُ المعيِّنةُ لحقيقةِ ما دعا إليه موسى عليه السلام، هي ((الفاء)) العاطفةُ[4]، الدالةُ على التعقيبِ[5]، في قولهِ تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا﴾[6]، وقد عبّرَ المرحومُ سيد قطب عن ذلك الموقفِ بقوله: ((وما نكادُ نستغرقُ مع موسى عليه السلام في مشهدِ المناجاةِ حتى يعجلَ السياقُ بمشهدِ الفرجِ، معقِّباً في التعبيرِ بـ (الفاء)، كأنَّما السماءُ تُسارِعُ، فتستجيبُ للقلبِ الضارعِ الغريبِ))[7].

---

(١) القاموس المحيط:٤١٤–٤١٥، مادةُ: فقر.

(٢) يُنظر: المُمتعُ الكبيرُ في التصريف: ١٢٤، والمُبدِع في التصريف:١٠٨.

(٣) البرهان: ٢/ ٢٥٥.

(٤) يُنظر: حدائق الروح والريحان: ٢١/ ١٦٩.

(٥) يُنظر: بصائر ذوي التمييز: ٤/ ١٥٨، والإتقان: ٤/ ١١٢٨، وشرح شذور الذهب: ١/ ٨٠٢.

(٦) القصص : ٢٥.

(٧) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٨٦.

الفصل الرابع

التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ

سيِّدِنا عيسى عليه السلام

الوصفُ المتعددُ الواقعِ في سياقِ النداء:

قال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، **تُبرِزُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ جُزءاً من سيرةِ حياةِ سيِّدِنا عيسى** عليه السلام **وذلك بما تحويه من التراكيبِ الدالةِ على وصفه، وما تحتلُّهُ الصيغُ الموجودةُ ضمنَ هذهِ التراكيبِ من مواقعٍ إعرابيَّةٍ مُختلفةٍ، كقولهِ تعالى: (إنَّ اللهَ يُبشِّرُك بكلمةٍ منهُ)، (اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريم)، (وجيهاً في الدنيا والآخرة)، (ومن المقربينَ)، (ويكلِّمُ الناسَ في المهْدِ وكَهْلاً)، (ومن الصالحينَ)، فافتُتِحَ الخطابُ المُتضمِّنُ التراكيبِ الواصفةِ ذاتِ النمطِ الخبري بـ (إذ) الَّذي هو ظرفٌ لِما مضى من الزمانِ[2] تُعيِّنُ علاقةَ ذلكَ الخطابِ الَّذي هو خبر بشارة مريم (عليها السلام) بعيسى الموصوفِ بالأوصافِ المذكورةِ وذلكَ بالعلاقةِ البدليَّة[3] القائمةِ بينَ قوله تعالى في السورة نفسها: (ذلكَ من أنباءِ الغيبِ نوحيهِ إليكَ وما كُنتَ لديهم إذ يُلقونَ أقلامَهُم أيُّهُم يكفُلُ مريمَ وما كُنتَ لديهم إذ يختصمونَ)[4]: في شأنِ مريمَ تنافُساً في التكفلِ بها[5]، وقوله تعالى: (إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ) فالعلاقة هذه تُجسدُ صورة لقولهِ تعالى: (إنَّهُم يكيدونَ كيداً، وأكيدُ كيداً)[6]، وتعبِّرُ عنِ الحالةِ النفسيَّةِ القلقةِ والمُضطربةِ لمريمَ (عليها السلام) بشأنِ كفالَتِها لدى بني إسرائيلَ، فلو لم تكنْ كذلكَ لَما أخبرَتْها الملائكةُ بالبشارةِ، التي هي الخبر العظيم المفرح[7]، المواسي لوضعها النفسي المُرتبك، لأنَّها كانتْ وحيدةً وفي حاجةٍ إلى التكفُّلِ في ذلك الحينِ، فالعلاقة هذه تُشكِّلُ مدخلاً لِفهمِ التراكيبِ الوصفيَّةِ المُترتِّبةِ لـوصفِ عيسى** عليه السلام**، الذي يَدُلُّ على العلاقةِ هذه هو ترك العطفِ المؤذنِ بتقارُنِ الخطابينِ أو تقارُبِهما في الزمانِ[8]، انطلاقاً من قولهِ تعالى: (إنَّ اللهَ يُبشِّرُك بكلمةٍ منْهُ)، فدخول (إنَّ) المُفيدة للتوكيدِ على لَفظِ الجلالَةِ تفخيم وتعظيم لِحالِ مريمَ (عليها السلام)، وثبات واستقرار لنفسها، ووصف عيسى**عليه السلام (بكلمةٍ) إذ هو نتيجة البشَّارة لِتعلُّقِه[9]، بـ (يُبشِّرك) – من بابِ إطلاق

---

(١) آل عمران: ٤٥– ٤٦.

(٢) يُنظر: الجنى الداني: ١٨٥.

(٣) يُنظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٠٣، وروح المعاني: ٣/ ١٥٩.

(٤) آل عمران: ٤٤.

(٥) الكشاف: ١/ ٣٥٦.

(٦) الطارق: ١٥–١٦.

(٧) تفسيرُ الشعراوي: ٣/ ١٤٦٤

(٨) روحُ المعاني: ٣/ ١٦٠.

(٩) حدائق الروح والريحان: ١/ ٣١٤، وإعراب القرآن وبيانه: ١/ ٤٣٩.

السبب على المُسبَّبِ[1]، لأنَّ (الباء) الجارَّةَ هنا دالَّةٌ على السببيةِ والتعليلِ[2]، أي أنَّ سببَ تكوينِ البشارةِ هو كلمة اللهِ. والغرض من التنكيرِ دونَ التعريفِ في: (كلمةٍ)، وتخصيصِه بالنعتِ – المُراد به التفضيل[3]– الَّذي هو: (منهُ) في محلِّ جرٍّ صفة لـ (كلمةٍ)[4]، كونُ ((الكلمةِ)) هي كلمةُ اللهِ المُرادفة[5] لـ (كنْ فيكونُ)[6]، أمَّا خلقُ عيسى عليه السلام فقد خَرَجَ عن المُعتادِ المفطورِ عليهِ الإنسان، فكانَ بكلمةٍ خاصةٍ مُخالفةٍ للمعتادِ في تكوينِ الجنينِ دونَ الأسبابِ المُعتادةِ[7]، والتنكيرُ المنوَّنُ[8] الدالُّ على التعظيمِ[9] في سياقِ الوعدِ والمدحِ – يُعيِّنُ ذلك التخصيص والتفضيل لـ ((كلمةِ اللهِ))، ولِشأنِ الناشئِ من هذه الكلمة وهو عيسى[10] عليه السلام، والظاهر ممَّا سبَقَ أنَّ لفظةَ (كلمةٍ) في هذا السياقِ قد وَرَدَتْ مُشتركاً لفظيًّاً، ممَّا اتفقَ لفظه واختلف معناه[11]، والَّذي يوضِحُ ذلك هو الضمير العائد في (اسمُهُ) على (بكلمةٍ)، قالَ "الفرَّاءُ"(ت ٢٠٧ هـ): ((أنَّ (اسمُهُ) بالتذكيرِ للمعنى))[12]، أو أنَّه – تعالى – لم يقُلْ: اسمها، لأنَّ معنى (كلمةٍ): ولدٌ[13]، و(الباء) للسببيةِ، و(من) الجارَّةُ الدالَّةُ على ابتداءِ الغايةِ[14]، فخطاب الملائكة وهو ((جبريلُ))[15] عليه السلام لمريمَ (عليها السلام) لا يقتصرُ على خبرِ البشارةِ، بَلْ يقتضي المقامُ أنْ تتعدَّدَ الأخبار وفي تراكيب وصيغ وصفية مختلفة تخفيفاً ومواساةً لِما تَمرُّ بِهِ (عليها السلام) من الوضعِ النفسي، كي تسودها الطمأنينة والاستقرار النفسي من ولدِها، فيأتي: (اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ) خبراً تالياً ليُصبحَ سكينة لها (عليها السلام)

---

(١) الدر المصون: ٣/ ١٧٣.

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٢٥٦، وبصائر ذوي التمييز: ٢/ ١٩٠–١٩٣، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٣٥ – ٣٣٧.

(٣) يُنظر: اسرار العربية: ٢٩٣.

(٤) الدر المصون: ٣/ ١٧٣، وحدائق الروح والريحان: ١/ ٣١٤.

(٥) المحرر الوجيز: ٢/ ٢٢، وروح المعاني: ٣/ ١٦٠.

(٦) البقرة: ١١٧.

(٧) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٤٥.

(٨) أحياء النحو والواقع اللغوي: ١٨٥.

(٩) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٩١، والبرهان الكاشف عن إعجاز القُرآن: ١٣٩، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/ ٢٨، وبلاغة العطف: ١٠٢.

(١٠) معاني القرآن، الأخفش: ١/ ٢٢٠، ومشكل إعراب القرآن القيسي: ٩٥، والمحرر الوجيز: ٢/ ٢٢١، والبحر المحيط: ٢/ ٤٨٠، والدر المصون: ٣/ ١٧٣، وفي ظلال القرآن: ١/ ٣٩٧.

(١١) يُنظر: الصاحبي في فقهِ اللغةِ العربية: ١٥٢ ، والمزهر في علومِ العربيةِ وأنواعِها: ١/ ٢٩٦.

(١٢) معاني القرآن: ١/ ٢١٣، ومعاني القرآن، الأخفش: ١/ ٢٢٠.

(١٣) معاني القرآن، النحاس: ١/ ١٥٨، والكشاف: ١/ ٣٥٧، والبحر المحيط: ٢/ ٤٨٠.

(١٤) التفسير الكبير: ٨/ ٥٤، ومغني اللبيب: ٤/ ١٣٦، وهمع الهوامع: ٢/ ٣٧٦، وروح المعاني: ٣/ ١٦٠،.

(١٥) روح المعاني: ٣/ ١٥٩.

لما يستوحى من التركيبِ من دلالةِ التعظيمِ، لأنَّ التسميةَ تُطلقُ من لدنهُ – سبحانَهُ – هذا ما يخُصُّ الوجهَ العامَ للتركيبِ الوصفي، أمَّا الصيغُ المؤلِفةُ له، فالظاهرُ أنَّ انزياحاً قد طرأ على ترتيبِها إنْ كانَ الغرضُ من الترتيبِ ((لقباً، وعلماً، وكُنيةً)) استناداً إلى أنَّ اللقبَ ((إذا صحِبَ الاسمَ وَجَبَ تأخيره، كزيدٌ أنفُ الناقةِ، ولا يجوزُ تقديمه على الاسمِ، فلا تقولُ: أنفُ الناقةِ زيدٌ، إلاَّ قليلاً... أمَّا الكُنيةُ فنحنُ بالخيارِ))[1]، أي أنَّ البِنيةَ العميقةَ للتركيبِ هي: (اسمُهُ عيسى المسيحُ ابنُ مريم)، قالَ "الزمخشري": ((فإنْ قُلتَ: لِمَ قيلَ: (اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ)، وهذا ثلاثة أشياء: الاسم منها عيسى، أمَّا المسيحُ والابنُ، فلقبٌ وصفةٌ؟ قلتُ: الاسمُ للمسمَّى علامةٌ يُعرفُ بِها أو يتميَّزُ من غيرِه، فكأنَّهُ قيل: الَّذي يُعرفُ بِهِ ويتميَّزُ ممن سواه مجموعُ هذه الثلاثة))[2]، ويقولُ "أبو حيَّان"(ت٧٤٥هـ): ((يظهرُ من كلامِ الزمخشري أنَّ (اسمُهُ) مجموع هذه الثلاثة، فتكونُ الثلاثةُ أخباراً عن قولِه: (اسمُهُ)، ويكونُ من بابِ: هذا حلوٌ حامضٌ، وهذا أعسرٌ أيسرٌ، فلا يكونُ أحدُها على هذا مُستقلاً بالخبريةِ))[3]، كما أُشيرَ إلى سببِ الانزياحِ بِأنَّهُ: ((إنَّما بُدأ بِلقبِه، لأنَّ المسيحَ أشهرُ من عيسى، لأنَّهُ قَلَّ أنْ يقعَ على سميٍّ يُشتبهُ، وعيسى قد يقعُ على عددٍ كثيرٍ، فقدَّمَهُ لِشُهرتِه، ألا ترى أنَّ ألقابَ الخُلفاءِ أشهرُ من أسمائِهم، وهذا يدلُّ على أنَّ المسيحَ لقبٌ لا اسمٌ))[4]، وهو الشائع[5]، ويبدو أنَّ التقديمَ قد روعيَ فيهِ الترتيبُ الزمني للحدثِ، لأنَّ الكلمةَ تتقدَّمُ لِتقدُّمِها في الزمنِ، أو العملِ[6]، أي قبلَ أنْ يكونَ (عيسى) كانَ (مسيحاً) أو أنَّ زمنَ خَلْقِ صفةِ (المسيحِ) كانَ قَبْلَ تسميتِه بـ (عيسى)، والصفةُ هذهِ هي الأولى بالتعرُّفِ قَبْلَ معرفةِ عيسى عليه السلام، أمَّا (المسيحُ) من حيثُ الصيغة، فقيلَ: إنَّ (المسيحُ) ((فعيلٌ)) بمعنى: ((فاعلٌ))، لأنَّهُ يَمسحُ ذا العاهةِ فيبرأُ، أو: أنَّهُ ((فعيلٌ)) بِمعنى: ((مفعولٌ))، لأنَّهُ مُسِحَ بالبركةِ، أو: لأنَّهُ مسيحُ القدمِ[7]، أو أنَّ اللهَ مَسَحَهُ أي: خَلَقهُ خلقاً حسناً مُباركاً[8]، وقيلَ: أنَّ أصلَهُ باللغة العبريَّةِ ((مشيخا))، فعُرِّبَ كما عُرِّبَ موشى بِموسى[9]، أو يحتملُ أنْ يكونَ منقولاً من شيءٍ عندَ بني إسرائيلَ[10]. والَّذي يبدو أنَّ (المسيحَ) عَلَمٌ منقولٌ عن الصفةِ

---

(١) يُنظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٩٨.

(٢) الكشاف: ١/ ٣٥٧، ويُنظر: التفسير الكبير: ٨/ ٥٥، والتحرير والتنوير: ٣/ ٢٤٦.

(٣) البحر المحيط: ٢/ ٤٨١.

(٤) البحر المحيط: ٢/ ٤٨٢، ويُنظر: التفسير الكبير: ٨/ ٥٥، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ١٣٥، وروح المعاني: ٣/ ١٦١.

(٥) التفسير الكبير: ٨/ ٥٥، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ١٣٥، والبحر المحيط: ٢/ ٤٨٢، وروح المعاني: ٣/ ١٦١.

(٦) بلاغة العطف: ٩٢– ٩٣.

(٧) الدر المصون: ٣/ ١٧٤، والمحرر الوجيز: ٢/ ٢٢١، وباهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: ١/ ٢٩٣.

(٨) الجامع لأحكام القُرآن: ٥/ ١٣٦.

(٩) الجامع لأحكامِ القُرآن: ٥/ ١٣٦.

(١٠) الدر المصون: ٣/ ١٧٤ – ١٧٥.

أي من ((مسيح)) ((والألف واللام فيهِ بعدَ النقلِ وما فيهِ الألف واللام بعدَ النقلِ فإشعارٌ فيهِ بتبقيةِ معنى الصفة، ولذلك تجري عليهِ أحكام الصفة))[1]، أي أنَّ (المسيح) صفةٌ مُشبَّهةٌ مأخوذةٌ من صفةٍ ذاتيةٍ ((خَلقيَّةٍ أو خُلُقيَّةٍ)) لعيسى عليه السلام ثابتة ملازمة له كأنَّهُ سُميَ مسيحاً، لأنَّهُ كانَ أمسح الرِّجلِ أي: ممسوح الأخمصين[2]، أو أنَّهُ مُعرَّبٌ من العبريَّة: ((مشيخا))، وهو الأقربُ إلى الصواب.

أمَّا (وجيهاً) الواقعُ حالاً[3]، من بينِ الأحوالِ الخمسةِ[4] المُتعاطفةِ والمترتبةِ لمواساةِ مريمَ (عليها السلام)، فـ (وجيهاً) حال من النكرةِ الموصوفةِ[5] بـ (مِنْهُ) في محلِّ جرٍّ صفةٍ لـ (كلمةٍ)[6]، فالنكرةُ إذا وصِفتْ بِما بعدَها صحَّ مجيء الحالِ مِنها، والوجاهةُ في الدُنيا: النبوةُ والتقدمُ على الناسِ، وفي الآخرةِ: الشفاعةُ وعلو الدرجةِ في الجنةِ[7]، والسَبَبُ الدَّاعي في جعلِ الأحوالِ الخمسةِ من (كلمةٍ) وليستْ من (المسيحِ)، أو مِنْ (عيسى) عليه السلام، أو من (ابن مريمَ)، كونها أخباراً والعامل فيها الابتداء، أو المبتدأ، أو هما، وليسَ شيءٌ من ذلك يعملُ في الحالِ[8]، كما يبدو أنَّهُ حالٌ من نوعِ المؤكدةِ لا المُنتقلةِ[9]، لأنَّهُ جاءَ توكيداً لِمعنى الخبرِ وتوضيحاً لهُ[10]، لأنَّ ذلكَ مِنْ وظيفةِ الحالِ المؤكدةِ، وثبوته يوضِحُهُ قوله تعالى: (في الدُّنيا والآخرةِ)، كما أنَّ أصلَهُ اللازم: ((وجُه))[11]، وصيغته: ((فعيلٌ)) يوحيانِ بثبوتِهِ دونَ الحدوثِ، أي إنَّهُ صفةٌ مُشبَّهةٌ[12]، فتقيدُ خبرِ البشارة بعدَ التسميةِ بالحالِ، وتخصيص الخطاب بمريَمَ (عليها السلام)، والسياق، ودلالة ((الوجيهِ)) – وهو من: وَجُهَ الرجلُ: صارَ وجيهاً[13]، ورجلٌ وجيهٌ: ذو وجاهةٍ، ولِفُلانٍ جاهٌ فيهِم أي: مَنزِلةٌ وقدْرٌ، والوجهُ: مُستَقبَلُ كُلَّ شيءٍ، والوجاهُ: هو ما استقبَلَ شيءٌ شيئاً، والمواجهةُ:

---

(١) يُنظر: شرح المفصل: ١/ ١٠٠.

(٢) الجامع لأحكامِ القرآن: ٥/ ١٣٦، ولسان العرب: ٧/ ٤١٩٧، مادة: مسح.

(٣) معاني القرآن، الأخفش: ١/ ٢١٩، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/ ٣١٩.

(٤) البيان في غريبِ إعرابِ القُرآن: ١/ ٢٠٤، والدر المصون: ٣/ ١٧٧–١٧٩، وإعراب القرآن، زكريا الأنصاري: ٧١، وحدائق الروح والريحان: ١/ ٣٠٣، والجدول في إعراب القرآن : ٢/ ١٨٠– ١٨٢ والإعراب المفصل: ٢/ ٥٥ – ٥٦.

(٥) الكشاف: ١/ ٣٥٧، ويُنظر: روح المعاني: ٣/ ١٦٢، والتحرير والتنوير: ٣/ ٢٤٨.

(٦) الدر المصون: ٣/ ١٧٣، وحدائق الروح والريحان: ١/ ٣١٤.

(٧) الكشاف: ١/ ٣٥٧.

(٨) الدر المصون: ٣/ ١٧٩، وإعراب القرآن، زكريا الأنصاري: ٧١، وروح المعاني: ٣/ ١٦٢.

(٩) يُنظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٢، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٢٣.

(١٠) شرح المفصل: ٢/ ٢٣.

(١١) الجدول في إعراب القرآن وصرفهِ وبيانه: ٣/ ١٨١.

(١٢) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٤٧.

(١٣) لسان العرب: ٦/ ٤٧٧٦، مادة: وجه.

استقبالُكَ الرجُلَ بِكلامٍ أو وجهٍ[1] – يوحي بِأنَّ اللهَ تعالى قد صيَّرَ عيسى عليه السلام وجيهاً – وكفيلاً، وظلاً، ووارثاً، ومواسياً، ووجْهَ شرفٍ وقدرٍ– لِوالدتِه الوحيدةِ في الدنيا والآخرةِ بمواجهتِه بني إسرائيلَ دفاعاً عنها من التهمةِ التي قُذفتْ بِهِ (عليها السلام)، ولَيسَ الوجيهُ بِأنْ يكونَ وجهَ القومِ وسيِّدَهُم والمُقدَّمَ بينهم[2]، لأنَّ تلك السيادةَ والسلطةَ والقدرَ لعيسى عليه السلام لَم تُلتَمسْ مِنْ بني إسرائيلَ سوى إلقاء التهم إليهما، والَّذي يُعَيِّنُ ذلك أنَّ مريمَ (عليها السلام) لَمْ تأبَ بِأنْ تُرزقَ بولدٍ، إنَّما الذي كانَ يَمنعُها أنْ تستجيبَ للبشارةِ هي عِفَّتُها وشرَفُها، لأنَّها كانتِ المحررة، والمحررة لا تتزوجُ فتفرغَ لعملِ الآخرةِ[3]، قالَ تعالى على لسانها: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[4].

ومن القيودِ الحاليةِ لِخبرِ البشارةِ: (ومن المقرَّبينَ) وكونُ عيسى عليه السلام من المُقرَّبينَ رفعَهُ إلى السماءِ وصحبتَهُ للملائكةِ[5]، فالأحوالُ المتعاطفةُ هذه المقيدةُ لخبرِ البشارةِ توحي بِأنَّها تطرأُ على عيسى عليه السلام بينَ حينٍ وآخرٍ، والظاهر أنَّ الأصلَ في قولِه تعالى: (وجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ ومن المُقرَّبينَ) هو: ((وجيهاً في الدنيا والآخرةِ وهو من المُقرَّبينَ)) فحصلَ حذفُ المُسندِ إليه، لأنَّ هُناكَ ما يدُلُّ عليه وهو: (بِكلمةٍ)، أو: (المسيحُ) لِكونِه حالاً من أحدهما – فالحذفُ هُنا يأتي ((للإشعارِ بالاتصالِ المباشرِ بينَ تركيبين، ولو ذُكِرَ لَزالَ هذا الاتصالُ))[6]، أي أنَّ ذكرَ الضميرِ: ((هو)) بينَ التركيبينِ يؤدي بالدلالةِ إلى غيرِ ما هو لو صُرِّحَ بِهِ، كأنْ يكونَ كلا الحالينِ مُشتركٌ فقط في بيانِ حالٍ يتصفُ بِهِ عيسى عليه السلام، إلاَّ أنَّ الحذفَ أدَّى وظيفةَ الاتصالِ التَّامِ بين التركيبينِ بأنْ تكونَ الدلالةُ: ((وجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ ومن المُقرَّبينَ في الدُّنيا والآخرةِ)) أي أنَّ ما حَصَلَ في التركيبِ حذفانِ: حذفٌ للاتصالِ بينَ الحالينِ، وحذفُ الجارِ والمجرورِ والمعطوفِ: (في الدنيا والآخرة)، أي أنَّ عبارةَ: (من المُقرَّبينَ) مُتمِّمَةٌ لِخبرِ البشارةِ ومؤكَّدةٌ لَهُ، كونها حالاً من نوعِ المؤكَّدةِ، دالاً على الثبوتِ، أي أنَّ اسمَ المفعولِ الدالِّ على الحدثِ والحدوثِ دَلَّ هُنا على الثبوتِ ودوامِ المنزلةِ، وصيغةُ جمعِ المذكرِ السالمِ المجرورِ بِـ (من) التبعيضية: (من المُقرَّبينَ) في هذا السياقِ تدلُّ على أنَّ منزلَةَ التقرُّبِ هذهِ منزلَةٌ لا يصلُ إليها إلاَّ القلَّةُ، والمبالغةُ في أصلِ الصيغةِ ((قرَّبَ)) وهو: ((فعَّلَ)) توحي بالغايةِ في التقَرُّبِ اطمئناناً لِقلبِها (عليها السلام)، كما أنَّ دِلالَةَ ((النقلِ والجعلِ والتعديةِ))[7] في

---

(١) تهذيبُ اللغةِ: ٦/ ٣٥٠–٣٥٣، مادة: وجه.

(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٤٧.

(٣) روح البيان: ٢/ ٢٦، وحدائق الروح والريحان: ١/ ٣٠٤.

(٤) آل عمران: ٤٧.

(٥) الكشاف: ١/ ٣٥٧، والتفسير الكبير: ٨/ ٥٦، وروح المعاني: ٣/ ١٦٢.

(٦) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/ ٣٥.

(٧) يُنظر: المُمتِعُ الكبير في التصريف:١٢٩.

((فعَّلَ)) إيحاءٌ بالانتقالِ ووقوع حدث التقرب حينَ يتعرُّضُ عيسى عليه السلام للمؤامرةِ، وهذا تعظيمٌ لشأنه عليه السلام ومواساةٌ لمريمَ (عليها السلام) للاطمئنانِ والاستقرارِ بنفسها بأنَّ ما بُشِّرَتْ بِهِ لا يتعرَّضُ لسوءٍ من بني إسرائيلَ، والواو العاطفة المُفيدة للتعليل[1] توضحُ أنَّ عبارةَ: (من المُقرَّبينَ) مُتمِّمَةٌ لخبرِ البَشارةِ، أي أنَّ علَّةَ التقرُّبِ هي أنَّ عيسى عليه السلام يواجِهُ بني إسرائيلَ هدفاً لإصلاحِهم ودِفاعاً عن والدتِهِ فيتعرَّضُ لمؤامرةِ القتلِ لديهم، فيُرفَعُ إلى السماءِ حِفاظاً على حياتِهِ، قال تعالى على لِسانِ بني إسرائيلَ: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[2]، والخطاب لا يخرُجُ عن سمةِ الفعليَّةِ والاسميَّةِ في التركيبِ، فما يُميِّزُ إحداهما من الأُخرى أنَّ الفعليةَ تدلُّ على التَجدُّدِ والحدوثِ، والاسميةَ على الاستقرارِ والثبوتِ، ولا يحسُنُ وضع أحدهما موضع الآخرِ[3]، وإنَّما يُعدَلُ عن أحدِ الخطابينِ إلى الآخرِ لِضربٍ من التأكيدِ والمبالغةِ[4]، فما نلتمسُهُ هُنا هو ذلك العدولُ في خطابِ جبريل عليه السلام لمريمَ (عليها السلام)، فقد تدرجَ الخِطابُ من الاسميةِ إلى الفعليةِ: (ويكلِّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً) (ومن الصالحين) فالانتقالُ في الخطابِ شروعٌ بوظيفةِ عيسى وهي الوجاهةُ لِوالدتِهِ في مرحلتينِ مُختلفتينِ، وبيانٌ لأحوالٍ جديدةٍ من حياةِ المولودِ، للاستقرارِ والاطمئنانِ بالوضعِ النفسي المضطربِ لمريمَ (عليها السلام) تجاه ذاتها ومولودها، فكلا الخطابينِ يشتركُ في حكمٍ واحدٍ هو بيانُ الحالِ بالعطفِ، لأنَّ الجملةَ الواقعةَ حالاً لابُدَّ مِمَّا يعلِّقُها بِما قبلَها[5]، وعطفُ الفعلِ على الاسمِ لتأويلِهِ به سائغٌ شائعٌ[6]، أي بتأويلِ: ((ومُكلِّماً))[7]، قالَ الفرَّاءُ: ((والعربُ تجعلُ يفعلُ وفاعلٌ إذا كانَ في عطوفٍ مُجتمعينِ في الكلامِ))[8]، وقالَ أبو حيَّان الأندلسي: ((أتى في الحالِ الأُولى بالاسمِ، لأنَّ الاسمَ هو للثبوتِ، وجاءتِ الحالُ الثانيةُ جاراً ومجروراً، لأنَّهُ يُقدَّرُ بالاسمِ، وجاءتِ الحالُ الثالثةُ جُملَةً، لأنَّها في المرتبةِ الثالثةِ، ألا ترى أنَّ الحالَ وصفٌ في المعنى، فكما أنَّ الأحسَنَ والأكثرَ في لِسانِ العربِ أنَّهُ إذا أجتمعَ أوصافٌ مُتغايرةٌ بُدِئَ بالاسمِ،ثُمَّ الجارِ والمجرورِ،ثُمَّ بالجُملةِ، كقولِهِ تعالى: (وقالَ رجُلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتُمُ إيمانَهُ)[9]))[10]، ومعنى: (ويُكلِّمُ الناسَ في

---

(١) يُنظر: همع الهوامع: ٣/ ١٦٠.

(٢) النساء: ١٥٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٦٦.

(٤) المثل السائر: ٢/ ٢٣٤.

(٥) يُنظر:شرح المفصل: ٢/ ٢٦، وهمع الهوامع: ٢/ ٢٤٩.

(٦) روح المعاني: ٣/ ١٦٣، وتفسير المنار: ٣/ ٣٠٧.

(٧) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/ ٣١٩، والبحر المحيط: ٢/ ٤٨٢.

(٨) معاني القرآن: ١/ ٢١٣، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/ ٣١٩، والدر المصون: ٣/ ١٧٨.

(٩) غافر: ٢٨.

(١٠) البحر المحيط: ٢/ ٤٨٢–٤٨٣، ويُنظر: الدر المصون: ٣/ ١٧٨.

المهدِ وكهلاً) هو: أنَّهُ يُكلِّمُ الناسَ في هاتينِ الحالتينِ كلامَ الأنبياءِ، من غيرِ تفاوتٍ بينَ حالِ الطفولةِ وحالِ الكهولةِ التي يستحكمُ فيها العقلُ ويستنبأُ فيها الأنبياءُ[1]. فعلى الرغمِ من أنَّ هاتينِ المرحلتينِ توحيانِ بعدمِ تفاوتِ الكلامِ فيهما للاطمئنانِ بقلبِها (عليها السلام)، إلاَّ أنَّهُما توحيانِ بدلالاتٍ أُخرِ وهي: أنَّ مجيءَ (في المهدِ) بَدلاً من: ((الصبي)) مراعاةٌ للوضعِ النفسي، لِما في ((الصبي)) من نوعٍ من الانتظارِ، لأنَّ الصبي: من لَم يبلُغِ الحُلُمَ[2]، أو: من لَم يُفطمْ بَعْدُ[3] أي أنَّ الصبى يشملَ مرحلتينِ من حياةِ المولودِ، إلاَّ أنَّ الَّذي يبدو أنَّ: (في المهدِ) هو البدايةُ الأُولى للمولودِ، طمأنةً لَها (عليها السلام) بأنَّ مولودَها ينطقُ في البدايةِ الأُولى من حياتِهِ، أمَّا (كهلاً) ففيهِ طمأنينةٌ أُخرى لمريَمَ (عليها السلام) بأنَّ مولودَها يبقى معها إلى مرحلةِ الكهولةِ، وحينذاكَ ينقطعُ عن الكلامِ و يُرفَعُ إلى السماءِ، والكهلُ: هو الَّذي وَخَطَهُ الشيب ورأيتَ له بِجالَةً[4]، وقيلَ: سُمي كهلاً لانتهاءِ شبابِهِ وكمالِ قوَّتِهِ[5]، والعدولُ عنِ اسمِ الفاعلِ: ((كاهلاً)) إلى المصدرِ: (كَهْلاً) – والمصدرُ يَدُلُّ على الحدثِ المُجرد، فكأنَّهُ استغرقَ في الحدثِ، وهو الكهولَةُ، هو إيحاءٌ بِكمالِهِ العقلي والنفسي والجسدي عليه السلام أي صلادته، وبأنَّ رفعه إلى السماءِ ولحينِ نزوله من السماء لقتلِ الدَّجالِ وهو كهلٌ[6] – لا يطرأُ عليه ما يحصلُ للجسدِ، كالشيبِ، وأرذليَّةِ العُمرِ، الَّذي هو من شأنِ الزمنِ[7]، قيلَ: أنَّ اللهَ ذكرَ لِعيسى آيتينِ: إحداهُما: تكليمه الناسَ في المهدِ، فهذه معجزة، والأُخرى: نزوله إلى الأرضِ عندَ اقترابِ الساعةِ، قيلَ: إنَّ الكهلَ ابنُ ثلاثينَ سنةً يُكلِّمُ أُمةَ محمدٍ ﷺ فهذه الآية الثانية[8]، كما يبدو أنَّ حذفاً قد حَصَلَ في التركيبِ، وهو حذف الفعل، لأنَّ الأصلَ هو: ((ويكلِّمُ الناسَ في المهدِ ويكلِّمُ الناسَ كهلاً))، وعلى الرغمِ من أنَّ الحذفَ للإيجازِ ومنعٌ للتكرارِ، إلاَّ أنَّ فيه معنىً، وهو أنَّهُ يُعبِّرُ عن الحلقة أو المُدة التي ينقطعُ فيها عيسى عليه السلام عن الكلامِ حينَ رفعِهِ إلى السماءِ مُقربَّاً، كما أنَّ التركيب الفعلي: (يكلِّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً) يُعبِّرُ عن حدثٍ قد وقعَ، وحدثٍ سَيَقَعُ مستقبلاً، ومجيء لفظ (الناس) الدال

---

(١) الكشاف: ١/ ٣٥٧، والتفسير الكبير: ٨/ ٥٧، والبحر المحيط: ٢/ ٤٨٣.

(٢) مفردات في غريبِ القرآن: ٢٧٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٣٨٥.

(٤) تهذيبُ اللغةِ: ٦/ ١٩، مادة: كهل، ومقاييس اللغة: ٧٩٥، والمفرداتُ في غريب القُرآن: ٤٤٢، والقاموس المحيط: ١٠٠٤، ولسان العرب: ٥/ ٣٩٤٧.

(٥) تهذيبُ اللغةِ: ٦/ ١٩، مادة: كهل.

(٦) معاني القرآن وإعرابهُ، الزجاج: ١/ ٣٢٠.

(٧) يُنظر: مفتاح العلوم: ٣٢٠، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١٣٣.

(٨) تهذيبُ اللغةِ: ٦/ ١٨.

على العمومِ إيحاء بِأنَّ وظيفةَ الكلامِ لا تقتصرُ فقط على بني إسرائيلَ، إنَّما تتعدَّى مرحلة أُخرى يُكلِّمُ فيها الناسَ، وتلك المرحلة تبدأُ بعدَ النزولِ.

واختتامُ الآيةِ بعبارةِ: (ومن الصالحينَ) – من جُملةِ الأحوالِ المُتعاطِفةِ والمؤكَّدةِ لِخبرِ البشارةِ – لأنَّهُ لا رُتبةَ أعظمُ مِنْ كونِ المرءِ صالِحاً، لأنَّهُ لا يكونُ كذلكَ إلاَّ ويكونُ في جميعِ الأفعالِ والتروكِ مواظِباً على النهجِ الأصلحِ والطريقِ الأكملِ، ومعلومٌ أنَّهُ يتناولَ جميعَ المقاماتِ في الدُّنيا والدينِ في أفعالِ القلوبِ وفي أفعالِ الجوارحِ[1]، ولأنَّ العطفَ إيحاءٌ بِأنَّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه يحملانِ الوظيفةَ الدلاليةَ والتركيبيةَ والتداوليةَ نفسها[2]، والعلاقةُ الدِلاليَّةُ والتداوليةُ القائمةُ بالعطفِ بينَ: (ويُكَلِّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً)، و(ومن الصالحين) هي أنَّ الوظيفةَ الكلاميةَ لعيسىعليه السلام في كِلتا المرحلتينِ تكمُنُ في الإصلاحِ أو الحركةِ السلوكيَّةِ للناسِ، بِقرائنٍ منها: دلالة ((صَلَحَ)) فالصلاح: نقيضُ الفسادِ[3]، وهما مُختصَّانِ في أكثرِ الاستعمالِ بالأفعالِ[4]، والمنع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرِ[5]، وقرينةُ حذفِ المسندِ إليهِ مُشعِرَةٌ بالاتصالِ المُباشرِ بينَ التركيبينِ بتقديرِ: ((وهو من الصالحينَ)) فذكرُهُ يُزيحُ بدلالةِ الإصلاحِ للناسِ إلى دلالةِ الإصلاحِ الذاتي، أو النفسي له عليه السلام وهذا يناقضُ كونه عليه السلام خُلِقَ: ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾[6]، أي طاهراً من الذنوبِ[7]، أو الصلاح بالنبوة[8]، أو مُزكًّى بالخِلقَةِ[9] ، ووظيفةُ الصلاحِ في مرحلتينِ مُختلفتينِ إيحاءٌ بالثبوتِ والدوامِ فيهما. أمَّا صيغةُ (الصالحينَ) وهي اسمُ الفاعلِ جُمِعَ جَمْعَ المُذكَّرِ السالمَ، فتدُلَّ على القِلَّةِ[10] بقرينةِ (من) التبعيضيةِ، فانضمامه عليه السلام إلى ذلك الصنف تعظيم لشأنه، لأنَّ الذينَ يحملونَ عبأ الإصلاحِ هُم قِلَّةٌ نسبةً إلى المُفسدينَ، كون وظيفة الإصلاح بحاجة إلى المواجهة والصراعُ ضدُّ الفسادِ، فضلاً عن ذلك فإنَّ المُلتمسَ فيما بينَ الأحوالِ هي العلاقة المعنوية والسببية التي تُعيِّنُها (الواو)، فعلة كون عيسى عليه السلام (مُقرَّباً) أنَّهُ وجيهٌ، وعلة كلامه كونه مصلحاً.

---

(١) التفسير الكبير : ٨/ ٥٨.

(٢) مسائل في النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي: ٢٦ –٢٧.

(٣) تهذيبُ اللغةِ: ٢٤٣/٤، مادةُ: صلح.

(٤) المفردات في غريبِ القرآن: ٢٨٤.

(٥) القاموس المحيط: ٢٠١، مادة: صلح، والوجوه والنظائر: ٣٠٠.

(٦) مريم: ١٩.

(٧) زادُ المسير:٥/ ٢٧١.

(٨) البحرُ المُحيط: ٦/ ١٧٠.

(٩) المُفردات في غريب القُرآن: ٢١٤، مادةُ: زكي.

(١٠) يُنظر: شرح المفصل: ٣/ ٢٢٤، وارتشاف الضرب: ٢/ ٤٠٥، وحاشية الصبان: ٤/ ١٧١، والبرهان: ٣/ ٣٥٥، والخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن : ٢٤٦ – ٢٤٨.

وبذلك تظهَرُ أناقةُ أسلوب القرآن الكريم– إنْ لُطِفَ الوصفُ – في اختيارِ ألفاظِه، وتراكيبِه، وما بينها من فروقٍ دقيقةٍ في دِلالَتِها، فإنَّ القُرآنَ الكريمَ يستعملُ كُلاً حيثُ يؤدي معناهُ في دِقَّةٍ مُطلَقةٍ، تُشعِرُ المؤمِنَ بِأنَّ هذا المكانَ كأنَّما خُلِقَتْ لَهُ تِلكَ الكلِمةُ أو العِبارةُ بِعينِها، وأنَّ كلِمةً أو عِبارةً أُخرى لا تستطيعُ توفيةَ المعنى الذي وفتْ بِهِ أُختُها فيه، فكُلُّ لَفظةٍ وُضِعَتْ لِتؤديَ نصيبَها مِن المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجِدُ في القُرآنِ الكريمِ ترادُفاً و لا تَكراراً بِمفهوميهما التقليديينِ البتَّةَ.

الوصف المتعدد في صيغ وتراكيب مختلفة:

قال تعالى في وصف عيسى على لسانه عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[1].

يكمُنُ الوصفُ في التراكيبِ المتعاطفةِ[2]، المُتعلِّلةِ بـ (الواو)[3]: (إنِّي عبدُ اللهِ)، (آتانيَ الكتابَ)، (وجعلني نبيًّا)، (وجعلني مُباركاً)، (وبرًّا بوالدتي)، وكذلك التركيب الأستئنافي المؤكد: (ذلكَ عيسى ابنُ مريمَ قولَ الحقِّ)، المقرر لمضمونِ ما قَبلَهُ[4]، فالعلة تَكمُنُ في أنَّ ما سَبَقَ من التراكيبِ الواصفةِ وردتْ جواباً وردًّا لبني إسرائيلَ لما قالوه بشأن مريمَ (عليها السلام)، وولادتِها عيسى عليه السلام **دونَ أبٍ، قالَ تعالى:** ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[5]، **ثُمَّ قالَ تعالى:** ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[6]، **إنَّ التراكيبَ الواصفةَ المذكورةَ قد اختلَفتْ من حيثُ الشكلُ والمضمونُ، والسياقُ يُعيِّنُ لِكُلِّ تركيبٍ وصفي دلالَتَهُ الخاصةَ التي تتلاءَمُ ومُقتضياتِ المقامِ، الَّذي يُبَرِّرُ ما سَبقَ القولُ من أنَّ اختلافَ المعاني يأتي لاختلافِ التراكيبِ، هو أنَّ العطفَ يُؤذِنُ بأنَّ كُلَّ صفةٍ مستقلةٌ عن أُختِها، والعطف أحسنُ إنْ تباعدَ معنى الصفاتِ[7]، كما أنَّ توسطَ ((الواو)) بينَ الصفاتِ يَدُلُّ على كمالِ صاحِبِها، جاءَ في "الكشَّافِ" في قولِهِ تعالى: (الصابرينَ والصادِقينَ والقانِتينَ والمُنفِقينَ والمُستغفِرينَ بالأسحارِ)[8] ، أنَّ ((الواو المتوسطةَ بينَ الصفاتِ للدلالةِ**

---

(١) مريم : ٣٠–٣٤.

(٢) الإعراب المفصل: ٧/ ٢٦، وحدائق الروح والريحان: ١٧/ ١٥٦.

(٣) همع الهوامع: ٣/ ١٥٥– ١٦٠.

(٤) روح المعاني: ١٦/ ٩١.

(٥) مريم : ٢٧–٢٩.

(٦) مريم : ٣٠–٣٤.

(٧) يُنظر: البرهان في علومِ القُرآن: ٢/ ٤٤٦.

(٨) آل عمران: ١٧.

على كمالِهم في كُلِّ واحدةٍ منها))[1] ، فلمَّا أشارتْ مَريَمُ ((عليها السلام)) إلى الصبي عيسى عليه السلام ليتكلَّمَ حتَّى يُبرِّأها عمَّا كان يتردَّدُ على ألسنَةِ قومِها مِن التُّهَمِ المقذوفةِ بِها، نطقَ الصبيُّ، فكانَ أولَّ ما نطقَ بِهِ الاعترافُ بعبوديتِهِ للهِ تعالى وربوبيتِهِ رَّداً على من غلا مِن بعدِهِ في شأنِهِ من النصارى[2]، حيثُ قدَّمَ ذِكرَ العبوديَّةِ ليُبطِلَ قولَ مَن أدَّعى فيهِ الربوبيَّةَ[3]، فذكَرَ بِأنَّهُ عبدُ اللهِ، وحَكَمَ اللهُ لَهُ بِإيتاءِ الكِتابِ والنبَّوةِ في الأزلِ، وجعَلَهُ ذا بركاتٍ ومنافعٍ في الدينِ، والدعاءِ إليه، ومُعلِّما لَهُ[4]، وجعلَهُ بارَّاً بوالِدتِه، ولَم يجعلْهُ عنيداً للهِ تعالى لِفرطِ تكبُرِه[5]، فورود التركيب الوصفي: (إنِّي عبدُ اللهِ) باسميتِهِ، وتَضمُّنِه للوصفِ الواقعِ خبراً مُعرَّفاً بالإضافةِ المُفيدةِ للتخصيص[6]، والقصر على المسند إليه[7] تحقيق لثبوت الصفة وحصولها[8] في صاحبها، وأداةُ التوكيدِ (إنَّ) الداخلة عليه، يُرادُ بِها إزالةُ ما تغلغلَ، وسوفَ يتغلغلُ في نفوس بني إسرائيل من الشك، وما تردَّدَ و يتردَّدُ على ألسنتِهم من قذفِ مريمَ (عليها السلام): ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾[9]، وإسناد التهم والبهتان له عليه السلام ولله سبحانه بِقولِهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[10]، فهذا يعني أنَّ خطاب عيسى عليه السلام التنزيهي قدْ أفادَ الاستمراريةَ والثبوتَ والدوامَ للحالِ الذي خاطَبَ فيهِ بني إسرائيلَ، والاستقبالَ، الذي أعلمَ اللهُ عيسى بأنَّهُ سوفَ يُتخَذُ إلهاً يُعْبدُ، وأنَّ قوماً سيقولونَ: إنَّهُ ابنُ اللهِ[11]، فالعدول عن ((عبدٌ)) النكرة إلى (عبدُ اللهِ) على الرغمِ مِن أنَّ لفظَ ((عبدٍ)) مجرداً حامل لِكُلِّ معاني التوحيدِ والخضوعِ والذلِّ والاستسلامِ للهِ الواحدِ الأحدِ، كونُ المقامِ مقامَ التنزيهِ، فلا يستقرُّ التنزيهُ إلاَّ بإسنادِ العبوديةِ للهِ، لأنَّهُ مَن كانَ عبداً للهِ لا يكونُ عبدَ سوءٍ ولا عبدَ طمعٍ، ولا عبدَ شهوةٍ[12]، وقولِه:

---

(١) الكشَّاف: ١/ ٣٣٨.

(٢) الجامع لأحكامِ القُرآن: ١٣/ ٤٤٦.

(٣) زادُ المسير: ٥/ ٢٢٨.

(٤) الجامع لأحكامِ القُرآن: ١٣/ ٤٤٦.

(٥) إرشادُ العقلِ السليم: ٥/ ٢٦٤.

(٦) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٧٤، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٩.

(٧) يُنظر: جواهر البلاغة: ٩٨.

(٨) دلائل الإعجاز: ١١٨.

(٩) مريم : ٢٧– ٢٨.

(١٠) المائدة : ٧٣.

(١١) التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٨.

(١٢) حدائق الروح والريحان : ١٧ / ١٣٥.

(آتانيَ الكتابَ) هذا التركيب الفعلي يعني قوله: ((إنِّي رسولٌ))، إلاَّ أنَّ العدولَ عن التركيبِ الاسمي إلى التركيبِ الفعلي– الذي يقتضي تجدُّدَ المعنى المُثبتِ بِهِ شيئاً بعدَ شيءٍ[1] – يُفيدُ أنَّ حَدثَ إيتاءِ الكتاب – وهو الإنجيلُ – قَدْ حَصَلَ وتَمَّ، إلاَّ أنَّ القيام والشروع بوظيفةِ أداءِ الرسالةِ والإطاقةِ عليهِ صعبٌ في مرحلةِ الصبا، كما أنَّ العدولَ عن ((أعطى)) إلى: (آتى)، لأنَّ في (آتى) من معانٍ تنسجِمُ ومقامَ التبرئةِ، فـ (آتى) يأتي بِمعنى: كَثُرَ[2] والإيتاءُ: الإعطاءُ، وإيتاءُ النخلةِ: رَيعُها وزكاؤها وكثرةُ ثمارِها، والأتيُّ: الغريبُ[3]، أي أنَّ اللهَ أعطاهُ الكِتابَ، وهو الإنجيلُ، وهو مُباركٌ، على الرغمِ من كونِهِ غريباً بينهُم، وفضلاً عن ذلكَ، فإنَّ التركيبَ يوحي بدلالة المضي لحدثِ وقوعِ، الإيتاء والحال الَّذي خاطبَ فيه بني إسرائيل، والاستقبال الَّذي سوفَ يؤدي فيه عليه السلام تكاليفَ الرسالةِ لِما فيها من المواجهةِ والصراعِ.

كما يُلحَظُ أمر آخر بينَ التركيبينِ الواصفينِ: (آتانيَ الكتابَ) و(جعلني نبيًّا)، فـ (آتانيَ الكتاب) فيهِ الدلالة على النبوة، وذلك لأنَّ التركيبينِ المُتعاطفينِ بـ (الواو): يتشاركانِ في الحكمِ وهو الإخبارُ عن اللهِ تعالى، إلاَّ أنَّ أحدَهُما أخصُّ من الآخرِ، فأداءُ الأوَّلِ مُستقبليٌّ، والآخرِ حاليٌّ ويفيدُ الدوامَ، قالَ "الزمخشري": ((واختلفوا في نبوَّتِه، فقيلَ: أُعطيها في طفولتِه، أكملَ اللهُ عَقلَهُ، واستنبأهُ طفلاً.... وقيلَ: معناهُ إنَّ ذلكَ سَبَقَ في قضائِه، أو جعلَ الآتيَ لا محالةَ كأنَّهُ قد وجِدَ))[4]، والعلة في مجيء (جَعَلَ) المتعدي للمفعولينِ إيحاءٌ بالنقلِ الحاصلِ في حالِه، أي: التصييرُ[5]، أمَّا (نبيًّا) وهو: ((فعيلٌ)) فهو صفةٌ مشبَّهةٌ دالَّةٌ على الثبوتِ والدوامِ في الأزمنةِ الثلاثةِ[6]، وقيلَ: أنَّ النبيَ هو ((فعيلٌ)) بمعنى: فاعلٌ للمبالغةِ من النبأِ وهو الخبرُ، وقيل: إنَّهُ ((فعيلٌ)) بمعنى ((مُفعلٌ))[7]، فهو دالٌ على المضي والحال والاستقبال، فدلالته على المضي أنَّهُ قد أنبأ عن اللهِ بتوحيدِه حين قال: (إنِّي عبدُ اللهِ) ودلالته على الحالِ حينَ أنبأ عن كونِهِ حاملَ الكتاب ونبيَّ اللهِ، ودلالته على الاستقبالِ حينَ يشرعُ بأداءِ مُهمةِ الرسالةِ. إنَّ التناوبَ في توزيعِ التراكيب الوصفيةِ الخاصة بعيسى عليه السلام بينَ الاسميةِ والفعليةِ، وفي سياقِ الردِّ على التُهمِ تعبيرٌ عن الحالةِ النفسيةِ المُرتبكةِ والمضطربةِ التي كانتْ تمرُّ بِها مريمُ (عليها السلام) عندَ عودتِها بمولودِها، ومقابلتِها لقومِها، كما أنَّهُ إيحاءٌ بالوضعِ النفسي – لبني إسرائيلَ – الثائرِ والمُنفعِل بالغلِّ والشكِّ،

---

(١) دلائل الإعجاز: ١١٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٢٣– ٢٤، مادة: أتى.

(٣) تهذيبُ اللغة: ١٤/ ٣٥٢، مادة: أتى.

(٤) الكشاف: ٣/ ١٥.

(٥) البرهان في علومِ القُرآن: ٤/ ١٣٠، والاتقان: ٤/ ١٠٩٥.

(٦) حاشية الصبان: ٣/ ٥.

(٧) لسان العرب: ٦/ ٤٣١٦، مادة : نبأ.

فالخطاب بالتركيب الاسمي ثُـمَّ الفعلـي ثُـمَّ الاسمـي، تصـويرٌ للارتفـاعِ والانخفـاضِ، أو الصـعودِ والنـزولِ بالحِدَّةِ النفسيةِ المُنفعِلـةِ، فالاسميَّـةُ انخفـاضٌ للانفعـالِ بإزالـةِ الشـكِّ نحـو الثبـوتِ والاطمئنـانِ بـالنفوسِ الثائِرةِ، أي أنَّ كُلَّ ما تلفَّظَ بِهِ عيسى عليه السلام مِن التراكيبِ جاءتْ مواساةً لمـريمَ (عليهـا السـلام)، وإخمـاداً للتُّهمِ الحارِقةِ التي ألقاها إليها بنو إسرائيلَ، وإعادةَ استقرارٍ بِنفس والدته وإعادةَ بناءٍ للثقة بـالنفسِ، ومـا كانتْ تملِكُهُ من الشجاعةِ والجرأةِ ومكانةِ الشرفِ عندَ قومِها.

ويأتي التركيبُ الوصفي الرابع: (وجعلني مُباركاً) ليَفيدَ: أنَّ اللهَ جَعَلَ عيسـى عليه السلام مُباركـاً في جميـعِ الأحوالِ، غالِباً مُفلِحاً مُنجِحاً، ليكونَ على غيرِهِ مُتعلِّياً بالحُجَّةِ[1]. و(مُباركاً): اسمُ مفعـولٍ دالٌ علـى حـدثٍ ومفعولِه، ويُرادُ به التجددُ والحدوثُ[2]، يُقالُ: باركهُ، إذا جَعَلَهُ ذا بركةٍ، أو من: بارَكَ فيه: إذا جَعَـلَ البركـةَ مَعَهُ[3]، وإحدى معاني ((بارك)): التكثيرُ[4]، والمُبارَكُ: ما يأتي من قبلِهِ الخيرُ الكثيرُ[5]، الظاهر أنَّ مجـيءَ التركيبِ الفعلي: (وجعلَني مُبارَكاً) بعدَ التركيبِ الفعلي الآخرِ: (وجعلني نبيَّـاً) بِسـببِ كـونِ (مُبارَكـاً) أعـمّ من: (نبيَّاً) عموماً، فلم يكن في قولِهِ: (وجعلني نبيَّاً) غِنىً عن قولِهِ: (وجعلني مُبارَكـاً)[6]، أي أنَّ مُبارَكـةَ عيسى عليه السلام مختلفةٌ عن مُبارَكةِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، فَهُم مبارَكونَ، لأنَّ اللهَ تعالى مَكَّنَهُم في إحداثِ البركةِ قولاً وفعلاً، وإحداثُ البركةِ عِندَ عيسى عليه السلام تلقائيٌ دونَ إرادةٍ منهُ عليه السلام، فأصـل الـلازم في (مُبارَكـاً)[7] يـوحي بأنَّ البركةَ أُحدثتْ فيهِ ولا تتعدَّى الإحداثُ منه، بلْ ما تحدُثُ فهي تلقائي، والعطفُ القـائمُ بـين التركيـبينِ يوحي بِأنَّ التركيبينِ يتشاركانِ في الحُكمِ الواحدِ وهو ((البركـةُ))، كمـا يُنبِـئُ عـن الاخـتلافِ، أي أنَّ بركـةَ النبيِّ هي القولُ والفعلُ، وهذا يعني أنَّ النبيَّ ((مُبارِكٌ)) – اسـمُ فاعـلٍ – بِـأذنِ اللهِ، أمَّـا في (مُبـارَكٌ) فهـو اسمُ مفعولٍ، وهو مختلفٌ، كما يستوحى مـن (مُبارَكـاً) دلالـةُ الحـدثِ والحـدوثِ والـتي تُعَـيِّنُ الدلالـة هـذه القرينة الظرفية المكانيَّة (أينَ ما كُنتُ) أي: حيثُما كُنتُ[8]، المتضـمنة لمعنـى المجـازاة المبهمـة[9]، وهـي

(١) التفسير الكبير : ٢١/ ٢١٥–٢١٦.

(٢) يُنظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٢٢– ٢٣، واللغة والدلالة: ٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٩.

(٤) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجِب: ١/ ٢٥٥، وشذا العرف في فن الصرف: ٣٩.

(٥) لسان العرب: ١/ ٢٦٦، مادة: برك .

(٦) التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٩.

(٧) يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٤٢٩.

(٨) الكشاف: ٣/ ١٥، وروح المعاني: ١٦/ ٨٩.

(٩) يُنظر: شرح المفصل: ٣/ ١٣٣– ١٣٥، والإتقان: ٤/ ١٠١٨، واللغة والدلالة: ٧٨.

تعميمٌ للأمكنة: أي لا تقتصرُ بركَتُهُ على كونهِ في الهيكلِ بالمقدسِ أو في مجمعِ أهلِ بلدِهِ، بل هو حيثما حلَّ تحلُّ مَعهُ البركةُ[1]، وهذا يدلُّ على أنَّ حالَهُ لم يتغيَّر[2].

والوصف الخامس في ترتيبِ الأوصافِ السابقةِ المختارةِ: (وبَرًّا بوالِدتي)، وهو مختلفٌ من حيثُ التركيبُ والصيغةُ عمَّا سَبَقَهُ، فقد نُصِبَ (بَرًّا) على إضمارِ فعلٍ، أي: وجعلني بَرًّا[3]، أو نُصِبَ بفعلٍ في معنى: أوصاني، وهو كلَّفني، لأنَّ (أوصاني بالصلاة) وكلفنيها واحدٌ[4]، فالفعل يُحذفُ لوقوعه في حيزِ فعلٍ آخرٍ لكلٍ منهُما معموله في الكلام، ويأتي الحذفُ إمَّا للإيجازِ مع تكثيرِ المعنى[5]، أو للتأكيدِ والتقريرِ والاختصاصِ[6]، وذكرُ المفعول يأتي متى كانَ الأمرُ عظيماً أو بديعاً غريباً، تؤنسُ بهِ نفسَ السامعِ[7]، أو إظهاراً للعنايةِ[8]، والظاهر أنَّ المقامَ قد اقتضى العدولَ عن نمطِ هذا التركيبِ ((للاختصاصِ والعنايةِ والمؤانسةِ))، والبَرُّ فِعلهُ: بَرَّ، يَبَرُّ: إذا صَلَحَ، والمصدرُ: البِرُّ، والبَرُّ من صفاتِ اللهِ تعالى: العطوفُ الرحيمُ الكريمُ، أو العطوفُ على عبادِهِ بِبِرِّهِ ولُطفِهِ[9]، فمجيء المصدر وَصفاً قائماً مقامَ اسم الفاعل، وهو اسم الحدث الجاري على الفعل[10]، الدالِّ على مُجرَّدِ الحدثِ، فهو يأتي وصفاً لِغرضِ بيانِ دوامِ الأمرِ وثَباتِهِ[11] ويُوصَفُ بِهِ الموصوفُ على وجهِ المُبالغةِ، والكثرةِ والاتساعِ، نحو: رَجلٌ رضيٌّ، إذا كَثُرَ الرِّضى عَنهُ، أو كأنَّهُم جَعلوا الموصوفَ ذلكَ المعنى لكثرةِ حصولِهِ منْهُ[12]، أو أنَّ الموصوفَ كأنَّهُ في الحقيقةِ مخلوقٌ منْ ذلكَ الفعلِ لِكثرةِ تعاطيهِ لَهُ واعتيادِهِ إيَّاهُ، ويَدُلُّ على أنَّ هذا معنى لهم ومتصور في نفوسهم[13]، أو أنَّ الذاتَ تحوَّلَ إلى حدثٍ مجردٍ[14]، على الرغمِ ممَّا في المصدرِ من دلالةِ الثبوتِ والدوامِ والمُبالغةِ والأتساعِ، إلاَّ

---

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ٩٩.

(٢) التفسير الكبير: ٢١/ ٢١٦.

(٣) معاني القرآن، الفرَّاء: ٢/ ١٦٧، والتفسير الكبير: ٢١/ ٢١٦، والبحر المحيط: ٦/ ١٧٧، وروح المعاني: ١٦/ ٩٠.

(٤) الكشَّاف: ٣/ ١٥.

(٥) خصائص التعبير القرآني وسماتهُ البلاغية: ٢/ ٢٥– ٢٦.

(٦) م . ن: ٢/ ٢٩.

(٧) دلائل الإعجاز: ١١٢.

(٨) خصائص التعبير القرآني: ٢/ ٥٣.

(٩) لسان العرب: ١/ ٢٥٢– ٢٥٣، مادة: برر.

(١٠) يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٣٥٩.

(١١) الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: ٣٨٤.

(١٢) شرح المفصل: ٢/ ٢٣٧، وإرشادُ العقلِ السليم: ٥/ ٢٦٤، والمشتقات العاملة في الدرس النحوي: ٣١.

(١٣) الخصائص: ٢/ ٢٥٩–٢٦٠، والجملة العربية والمعنى: ١٨٢، والتعبير القرآني: ٣٨.

(١٤) الجملة العربية والمعنى: ١٨١.

أنَّ الدلالةَ هذه تُستّمدُّ من إسنادِ إحدى صفاتِ اللهِ تعالى إلى عيسى عليه السلام ، ويبدو أنَّ الاختلافَ الظاهرَ في التركيبِ وصيغتِهِ معَ ما سبَقَهُ يكمُنُ في أنَّ حدثَ البرِّ كانَ جُزءاً من حدثِ الخَلقِ لعيسى عليه السلام، أي أنَّهُ كما تَجرَّدَ الزمنُ من الخلقِ تَجرَّدَ من (البَرِّ)، لأنَّ اللهَ سُبحانه قد بَشَّرَ مَريمَ (عليها السلام) بِأنَّهُ يَهبُ لَها غُلاماً زكيًّا: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[1]، وهذا يُؤدي إلى أنَّ سَبَبَ إضمارِ الفعلِ كانَ لاختلافِ حَدَثِ الجَعلِ، أي أنَّهُ على الرغمِ من تقديرِ الحذفِ بِـ (وجعلني بَرًّا) إلاَّ أنَّ معنى الجعلِ هُنا هو: ((الخلق))[2]، وليس الجعل بمعنى: التصيير من حال إلى حال، وهذا يعني أنَّ حدث ((البَرِّ)) بدأ مع حدثِ الخلقِ، ولزوم الفعل في (بَرًّا) إيحاءٌ بأنَّ مريمَ (عليها السلام) لا تَقعُ تَحتَ حَدَثِ البَرِّ في عيسى عليه السلام بَلِ البَرُّ الَّذي أحدثَهُ اللهُ في خَلقِ عيسى عليه السلام هو بشارتُها عندَ اللهِ، وهذه هي وظيفةُ العطفِ القائمِ بينَ التراكيبِ في الإيحاءِ بالاختلافِ والاشتراكِ الضمني، لأنَّ (البَرَّ) في (عبدُ اللهِ)، وفي (رسولاً)، وفي (نبيًّا)، وفي (مُباركاً)، هو: ((الإحسانُ)) وهو مُختلفٌ عمَّا موجودٌ في (بَرًّا بوالدتي) والاختلافُ يكمُنُ في الخلقِ وفي الجعلِ. فَبَرُّ عيسى عليه السلام لوالدتِهِ قد ظهَرَ في أولِّ نُطقٍ لَهُ بالكلامِ: (إنِّي عبدُ اللهِ) تبرأةً لِوالدتِها وتنزيهاً لها.

والمستمد ممَّا سَبَقَ هو العلاقة المعنوية واللفظية المسماة بـ ((الاتساقِ)) الكامن بينَ التراكيب الواصفة بالعطف والاستبدال، لِما بينَ التراكيب من معلومات مُضافة إلى معلومات سابقة أو مغايرة للسابقة، أو معلومات نتيجة مترتبة عن السابقة السبب[3]، ولأنَّ المُستبدَلَ يحتفظُ بجزءٍ من المعلومةِ السالفةِ[4].

وثمَّة وصف آخر، هو الوصف السادس في ترتيب الأوصاف المُختارة لعيسى عليه السلام وهو قولُهُ تعالى: (ذلكَ عيسى ابنُ مريمَ قولَ الحقِّ الذي فيهِ يمترونَ)، والوصف فيهِ يتمثَّلُ في: (قولَ الحقِّ) الذي تُعيِّنُهُ تلك العلاقة المعنوية واللفظية المسماة بـ ((الإحالةِ القبليَّةِ)) بين التراكيب، عن طريقِ (ذلكَ)، لكونهِ أُحيلَ بِهِ إلى متتاليةٍ من الجُملِ قبلَهُ[5]، وتنحصرُ مُهمَّتُهُ في ربطِ كلامٍ بكلامٍ[6]، وهو من العلاماتِ اللغويةِ التي لا يتحدَّدُ مرجعها إلاَّ في سياقِ الخِطابِ التداولي، وعلى الرغمِ من ذلك، فإنَّها عاملٌ مُهمٌ في تكوينِ بنيةِ الخطابِ من خلالِ القيامِ بِدورها النحوي، ووظيفتِها الدلاليةِ، فتصبحُ فائدتُها الإحالةَ إلى المعلوماتِ القديمةِ، التي

---

(١) مريم : ١٩.

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٣٢.

(٣) لسانيات الخطاب : ٢٤.

(٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٢–١٢٤.

(٥) يُنظر: لسانيات الخطاب: ١٧، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٦– ١٢٠.

(٦) يُنظر: لسانياتِ الخِطاب: ١٧٨.

تَلفَّظَ بِها أحدُهُم، والتي أصبحتْ جُزءاً من المعلوماتِ المُشتركةِ[1]، والَّذي يُلحظُ في ذلك الوصف هو التغاير مع ما سَبقَهُ من الأوصافِ، والَّذي يكمُنُ في فصلِهِ عمَّا سَبَقَهُ من المُتعاطفاتِ، كون الخطاب قد تَغيَّرَ من عيسى عليه السلام إلى خطابِ اللهِ سبحانه، ويبدو أنَّ الفصلَ وقعَ، لِما بينَ التراكيبِ من اتحادٍ تامٍ، وامتزاجٍ معنوي كإفراغِ الجميعِ في قالبٍ واحدٍ، فهو يأتي بمنزلةِ التوكيدِ اللفظي أو المعنوي أو عطفِ البيانِ[2] لأنَّهُ من المبادئِ التي تحكمُ فصلَ الخطابِ إمَّا الاتحادُ وإمَّا الاختلافُ[3]، والظاهرُ من التركيبِ أنَّهُ أتى إجمالاً بعد التفصيلِ الَّذي وصفَ بهِ عيسى عليه السلام والغرضُ منهُ التوكيدُ[4]، والتقريرُ، على الرغمِ من أنَّ العلاقةَ، قد انعكستْ، إلاَّ أنَّ مثلَ هذهِ العلاقةِ في الخطابِ لا تسلُكُ دائماً الاتجاهَ نفسَهُ، أعني من المُجملِ إلى المُفصَّلِ، وإنَّما قد تسلُكُ سبيلاً مُخالفاً من المُفصَّلِ إلى المُجملِ، فالترتيبُ الأولُ معياريٌّ، والثاني تداوليٌّ، ويأتي مثلَ هذا الحال لتحقيقِ غايةٍ مُعيَّنةٍ، وهي: أنَّ للإجمالِ بعدَ التفصيلِ وَقعاً من نفوسِ السامعينَ، وتقريراً لجميعِ ما تقدَّمَ في الذهنِ بصورةٍ تُخالِفُ ما صوَّرَ سابِقاً، لأنَّ تَجدُّدَ الصورةِ عندَ النفسِ أحبُّ من تكرُّرِها[5].

أمَّا ما يخُصُّ السياق والتركيب، فابتدأ التركيب باسم الإشارة، وذُكِرَ المصدرُ المضافُ وصفاً لعيسى عليه السلام بدلَ اسم الفاعل، والسياق يقتضي أنْ يكونَ التركيب توكيداً وتقريراً وإثباتاً لما نَطَقَ بهِ عليه السلام مراعاةً للمرحلةِ التي نَطَقَ فيها عيسى عليه السلام وهو مولودٌ، وقد يمرُّ الصبيُّ بمراحلٍ مُختلفةٍ من النمو وفي كلِّ مرحلةٍ يمرُّ بها تطرأُ عليهِ تغيراتٌ فسيولوجيةٌ ونفسيةٌ وعقليَّةٌ وجسديةٌ إلى مرحلةِ النضوجِ والبلوغِ، وما بعدها، وهذا يدُلُّ على أنَّ أقوالَ عيسى عليه السلام لا تطرأُ عليها تغيرٌ أو تحولٌ أو تراجعٌ، بَلْ هي ثابتةٌ من الله سبحانَهُ، ليجعلَ الله كلَّ ذلك بُرهاناً على براءة مريَمَ، ونبوَّةِ عيسى عليهما السلام، قالَ "أبو السعود" (ت٩٥١هـ) في قولِهِ تعالى: (ذلك عيسى ابن مريم قولَ الحقِّ) : ((إشارةٌ إلى مَنْ فُصِّلَتْ نعوتُهُ الجليلةُ، وما فيهِ من معنى البُعدِ، للدلالةِ عل علوِّ مرتبتِهِ، وبُعدِ مَنزِلَتِهِ بتلكَ المناقبِ الحميدةِ عَنْ غيرِهِ، ونزولِهِ مَنْزلةَ المَشاهدِ المحسوسِ ... لا ما يَصِفُهُ النصارى، وهو تكذيبٌ لَهُمْ – فيما يَزعَمونَهُ – على الوجهِ الأبلغِ والمنهاجِ البُرهاني، حيثُ جعَلَهُ موصوفاً بأضدادِ ما يصِفونَهُ))[6]، أي أنَّ ابتداءَ الخطابِ بـ (ذلك) هو

---

(١) استراتيجيات الخطاب : ٨٠–٨١.

(٢) من أسرار الفصل والوصل : ١٠٤.

(٣) لسانيات الخطاب : ١٠٨.

(٤) التفسير الكبير : ١/ ١٩١، ولسانيات الخطاب: ١٨٨.

(٥) التحرير والتنوير : ١/ ٣٠٢، ولسانياتُ الخِطاب: ١٨٩.

(٦) إرشادُ العقلِ السليم: ٥/ ٢٦٤، ويُنظر: مفتاح العلوم: ٢٧٦– ٢٧٧، وروح المعاني: ١٦/ ٩١، وفي ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٠٨.

لكمالِ العنايةِ لتمييزه عليه السلام وتعيينه وتعظيمه[1]، ففي كلِّ ذلكَ إبراز للطبيعة العقلية والنفسية لبني إسرائيل.

وقد تعددتْ آراءُ اللغويينَ والمُفسرينَ في نصبِ (قولَ الحقِّ) وصفاً لعيسى عليه السلام فقالَ "الفرَّاءُ" (ت٢٠٧هـ): ((إنْ نصبتَ القولَ وهو في النيَّةِ منْ نعتِ عيسى كانَ صواباً، كأنَّكَ قُلْتَ: هذا عَبدُ اللهِ أخاهُ بعينه، والعرَبُ تنصبُ الاسمَ المعرفَةَ في (هذا وذلكَ) وأخواتِهما، فيقولونَ: هذا عبدُ اللهِ الأسدَ عادياً كما يقولونَ: أسَداً عادياً))[2]، وقالَ "الزمخشري": ((انتُصِبَ على المدحِ إنْ فُسِّرَ بكلمةِ الله، أو أنَّهُ مصدرٌ مؤكدٌ لمضمونِ الجُملةِ إنْ أُريدَ قولَ الثباتِ والصدقِ، كقولكَ: هو عبدُ اللهِ حقّاً، والحقُ لا الباطلُ، وإنَّما قيلَ لعيسى (كلمةُ اللهِ) و(قولَ الحقِّ)، لأنَّهُ لم يولَدْ إلاَّ بكلمةِ اللهِ وحدها، وهي قولُهُ: (كُنْ) من غيرِ واسطةِ أبٍ، تسميةً للمُسبَّبِ باسمِ السببِ))[3]، وأنَّ الحقَّ في هذا الموضعِ يُرادُ بهِ اللهُ، ولو أُريدَ بهِ: قولَ الحقِّ فيُضافُ القولُ إلى الحقِّ، ومعناهُ القول الحق – كانَ صواباً كقوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[4] ، فيُضافُ الشيء إلى مثله، ومثله قول الله: ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾[5]، ومعناه الوعد الحق[6]، أي أنَّ عيسى عليه السلام هو كلمةُ اللهِ تعالى (الذي فيهِ يمترونَ) يشكونَ، فيقولُ اليهودُ: إنَّهُ ساحرٌ، ويقولُ النصارى: إنَّهُ ابنُ اللهِ، وهُناكَ مَنْ ينصبُ على الحالِ من عيسى[7]، أو من اسمِ الإشارةِ[8]: (ذلكَ)، أو النصب على المصدرية أي: أقولُ قولَ الحقِّ[9]، أمَّا السببُ في العدولِ عن اسمِ الفاعلِ: ((قائلَ الحقِّ)) إلى المصدر: (قولَ الحقِّ) على الرغمِ من أنَّ اسمَ الفاعلِ هُنا دالٌ على الثبوتِ كالصفةِ المشبَّهةِ[10] إلاَّ أنَّ الزمنَ والحدثَ والذاتَ تبقى فيه، فالصفةُ المُشبَّهةُ، كما أنَّها ليستْ موضوعةً للحدوثِ في زمانٍ، فهي ليستْ أيضاً

---

(١) مفتاح العلوم: ٢٧٦– ٢٧٧، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١٨– ٢٠.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ١٦٨.

(٣) الكشاف: ٣/ ١٥، ويُنظر: التفسير الكبير: ٢١/ ٢١٨، والبحر المحيط: ٦/ ١٧٨، ، وروح المعاني: ١٦/ ٩١، والتحرير والتنوير: ١٦/ ١٠٢.

(٤) الواقعة: ٩٥.

(٥) الأحقاف: ١٦.

(٦) معاني القرآن، الفرَّاء: ٢/ ١٦٨.

(٧) روح المعاني: ١٦/ ٩١.

(٨) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٠٢.

(٩) إعراب القرآن، النحاس: ٣/ ١٢، ومعاني القرآن وإعرابهُ، الزجاج: ٣/ ١٦٠.

(١٠) تسهيل الفوائد: ١/ ٤٣، وحاشية الخضري: ٢/ ٢٩، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٤٨.

موضوعةٌ للاستمرارِ في جميعِ الأزمنةِ، لأنَّ الحدوثَ والاستمرارَ قيدانِ في الصفةِ[1]، والمصدرُ ليسَ كذلكَ، أي لا يمثِّلُ الزمنُ حقيقةً في المصدر[2]، فيُلجأُ إلى المصدرِ لغرضِ بيانِ دوامِ الأمرِ وثباتِه[3]، فكأنَّ عيسى عليه السلام هو الحدَثُ ذاتُهُ، لكثرةِ مُمارستِه لَهُ واعتيادِه إيَّاهُ، واسمُ الفاعلِ ليسَ كذلكَ، فالزمنُ هو عاملُ الحدوثِ في نمو عيسى عليه السلام لكنَّ قولَهُ ثابتٌ أبداً، بعيدٌ عنِ الحدوثِ والتجدُّدِ، وإضافةُ المصدرِ مفيدةٌ للبيانِ[4] أي أنَّ الَّذي قالَهُ عيسى عليه السلام هو الحقُّ لا الباطلُ، وقيلَ: صحيحٌ أنَّ إضافةَ المصدرِ تعريفٌ لَهُ، إلاَّ إذا كانَ في معنى أسماءِ الفاعلينَ المُرادِ بِهِ الحال، فإنَّها لا تفيدُ التعريفَ[5]، والالتفاتُ من (قالَ إنِّي) إلى (ذلك عيسى) إيحاءٌ بأنَّ المقصودَ هو ما قالَهُ عيسى تَبرِئةً لِوالدتِه وإقراراً بحقيقةٍ كانتْ ريبةً عندَ بني إسرائيلَ.

(١) يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٤٣١.

(٢) الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: ٣٨٠.

(٣) م . ن : ٣٨٤.

(٤) روح المعاني: ١٦/ ٩١.

(٥) شرح المفصل: ٢/ ٢٣٨.

الوصف المتعدد في التركيب الاسمي المؤكد:

قال تعالى في وصف عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1]، **فقال: (إنّي رسولُ اللهِ إليكم مُصدِّقاً لِما بَينَ يديَّ مِن التوراةِ ومُبشِّراً) أي: أُرسلتُ إليكم في حالِ تصديقي ما تقدَّمني مِن التوراةِ، وفي حالِ تبشيري برسولٍ يأتي من بعدي اسمُهُ أحمد[2]، أو أنَّ ديني التصديقُ بِكُتبِ اللهِ وأنبيائِهِ جميعاً ممَّنْ تقدَّمَ وتأخَّر[3]، ما يُستمدُّ منْ التركيبِ الخبري المؤكدِ والمُقيَّدِ بحالين: (مُصدِّقاً) و(مُبَشِّراً) – استناداً إلى السياقِ الَّذي وَرَدَتْ فيهِ الآيةُ، والمُناسبةِ القائمةِ بينَ سورتي المُمْتحنة والصف في قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[4] – أنَّ ما في سورةِ المُمْتحنةِ قد جاءَ على طريقِ الوصيَّةِ وسبيلِ النُصحِ والإشفاقِ، أُتْبِعَ في سورةِ الصفِ بصريحِ العَتَبِ في ذلكَ والإنكارِ ليكونَ أوقعَ في الزجرِ[5]، والعطفِ[6] القائمِ بينَ الآيتينِ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[7]، **لأنَّ الآيةَ هذهِ مسوَّقةٌ مساقَ التتمَّةِ لِقصةِ موسى بِذكرِ مِثالٍ آخرٍ لِقومٍ حادوا عن طاعةِ رسولِ اللهِ** ﷺ **من غيرِ إفادةِ تحذيرٍ للمُخاطبينَ من المُسلمينَ، وللتخلُّصِ إلى ذكرِ أخبارِ عيسى** عليه السلام **بالرسولِ الَّذي يجيءُ بَعدَهُ[8]، فما بينَ الآيتينِ من علاقةٍ هي سيرةُ قومٍ قد عُرفوا بنكثِ العهودِ، ومعاداةِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وقتلِهِم، وزيغِهِم عن الإيمانِ بِهِم، وتحريفِهِم الكُتبِ السماويَّةِ، وإفشاءِ الفسادِ، وهؤلاءِ هُم اليهودُ مِن بني إسرائيلَ، فنظامُ اللغةِ نظامٌ مُتشابِكُ العلاقاتِ بينَ وحداتِهِ، ومَفتوحٌ دوماً على التجديدِ**

---

(١) الصف : ٦

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٣٧.

(٣) الكشاف: ٤/ ٥١٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ٥٧٠، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ٢٤٤.

(٤) الممتحنة : ١٣.

(٥) البرهان في تناسب سور القرآن: ١٨٦.

(٦) روح المعاني: ٢٨/ ٨٥، وحدائق الروح والريحان: ٢٩/ ٢٧٠.

(٧) الصف : ٦

(٨) التحرير والتنوير: ٢٨/ ١٧٩–١٨٠.

والتغيير في بنياته المُعجميَّة والتركيبية، حتَّى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاجُ إلى تحديد مجموع السياقات التي تَرِدُ فيها[1]، لأنَّ الكلامَ والسياقَ عُنصُران مُتلازمان يُكملُ بعضهما بعضاً، ولا انفصامَ بينهما[2]، فالسياقُ هو الَّذي يوضِّحُ لنا ما إذا كانتِ الكلمةُ ينبغي أنْ تؤخَذَ على أنَّها تعبيرٌ موضوعي صرفٌ أو أنَّها قُصدَ بها أساساً – التعبيرَ عن العواطف والانفعالات[3].

المُستمدُّ من السياقِ والمُناسبةِ والعطفِ القائمِ بينَ الآيتين وما سيأتي الكلامُ على الوحداتِ اللغويَّة المُشاركةِ في التركيبِ الوصفي هو أنَّ خطابَ عيسى عليه السلام لبني إسرائيلَ: بـ (يا بني إسرائيلَ) – على الرغمِ من استعطافِه لهم لما في ندائِه من التعظيمِ، لكونِهم يفتخرونَ بنسبتِهم إلى إسرائيلَ[4] وهو يعقوبُ عليه السلام، وندائُهُ لاستمالةِ قلوبهم إلى تصديقه[5]، وبشارتُهُ لهم بإخبارهم بأمرٍ يَسُرُّهُم، لأنَّ مجيءَ الرسولِ إلى الناسِ نعمةٌ عظيمةٌ[6] – ولكنْ كانَ إنذاراً لهم، لأنَّ ندائَهُ لم يكنْ هو الأول من بينِ نداءاته، لأنَّ الَّذي يستوحى من خطابه عليه السلام هو نفسه الَّذي يستوحى من خطابِ موسى عليه السلام بأنَّ القومَ قد ملَّوهُ وأوقعوهُ في اليأس بكُفرهم به وزيغهم عن الحقِّ والهدايةِ، فعطفُ الخطابينِ قرينةٌ موحيةٌ بمدى ما وَصلَ إليه عيسى عليه السلام من الملل من عدمِ إيمانِ قومِه، ومجيء (إنَّ) المفيدة للتوكيد[7]، والتعليل[8]، يُبرزُ علةَ نداءِ عيسى عليه السلام لبني إسرائيلَ، وبأنَّ حالَهُ في الخطابِ مُماثلٌ لحالِ موسى عليه السلام ، وورود المسند:(رسولُ) في الجملةِ الاسميةِ المؤكدةِ (إنِّي رسولُ الله)، وهو الوصفُ الواقعُ خبراً من عيسى عليه السلام، مُعرَّفاً بالإضافةِ المرادِ بها التخصيص[9] لم يكُنِ الغرضُ منهُ إعلامَ السامعينَ – وهم بنو إسرائيل – بأمرِ رسالةِ عيسى عليه السلام، لأنَّهُ كانَ معلوماً لديهم وثابتَ العهدِ عندهم، لأنَّ التعريفَ بالإضافةِ يأتي على اعتبارِ العهدِ[10]، أو أنَّ تعريفَ المُسندِ يأتي لإفادةِ السامعِ حُكماً على أمرٍ معلومٍ له بطريقٍ من طُرقِ التعريفِ بأمرٍ آخرٍ معلومٍ له كذلك[11]، قالَ "عبدُ القاهرِ الجُرجاني": ((إذا قلتَ: ((زيدٌ منطلقٌ))، كانَ كلامُكَ مع من لم يعلمْ أنَّ انطلاقاً

---

(١) علم الدلالة أصولهُ ومباحثه في التراث العربي: ٨٧.

(٢) المعجم وعلم الدلالة: ٥٠.

(٣) دور الكلمة في اللغة: ٦٣.

(٤) روح المعاني: ٢٨/ ٨٥– ٨٦.

(٥) إرشاد العقل السليم: ٨/ ٢٤٤، وروح البيان: ٩/ ٤٩٧، وحدائق الروح والريحان: ٢٩/ ٢٥٣.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٨/ ١٨١.

(٧) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٢٦، ورصف المباني: ١٩٨.

(٨) البرهان: ٢/ ٤٠٧، والإتقان: ٤/ ١٠٦٣.

(٩) يُنظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ٢٦١، وشرح المفصل: ٤/ ٧٤، والإيضاح: ٢/ ٩.

(١٠) الإيضاح: ٢/ ١٢٩.

(١١) الإيضاح: ٢/ ١٢٩، وجواهر البلاغة: ٩٨.

كانَ، لا من زيدٍ ولا من عمروٍ، فأنتَ تفيدُهُ ذلكَ ابتداءً، وإذا قُلتَ: ((زيدٌ المنطلقُ)) كان كلامُكَ مع من عَرَفَ أنَّ انطلاقاً كان، إمَّا من زيدٍ وإمَّا من عمروٍ فأنتَ تعلَمُهُ أنَّهُ كانَ من زيدٍ دونَ غيرِه))[1]، بل الغرضُ من الخبرِ المُخصَّصِ بالإضافةِ والمُقيَّدِ بـ (مُصدِّقاً) و(مُبشِّراً) هو إعلامُ بني إسرائيلَ بأمرِ التصديقِ والبشارةِ، والتصديقُ ليسَ بدلالةِ الإيمانِ فقط، بل التصحيحُ والتصديقُ من التحريفِ الّذي تعرَّضَ له التوراةُ كما هو واضحٌ في قولِه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[2]، وقولِه: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[3]، وما يوضحُ كونَ (مُصدِّقاً) يَدلُّ على التصديقِ من التحريفِ أصلُهُ، وصيغتُهُ، وموقعُهُ، فهو اسمُ فاعلٍ من الفعلِ الثلاثي المزيدِ: ((صدَّقَ))، وهو: ((فَعَّلَ)) اللازمُ[4] الدَّالُ على المبالغة والتكرار، حيثُ يتصلُ بـ ((فعَّلَ)) ما يوافقُها في البناءِ من اسمِ الفاعلِ واسمِ المفعولِ[5]، ومن دلالاتِه: الإزالةُ والسلبُ[6]، والتفريقُ[7] الموافقُ لـ ((فعَلَ))، فالمُبالغةُ توكيدٌ واطمئنانٌ لتصديقِه بالتوراةِ الذي بينَ يديه، والذي أُزيلَ وسُلِبَ بالتحريفِ الذي حصلَ فيه، كما أنَّ دلالةَ اسمِ الفاعلِ على الحدوث بقرينة التنوين التي تُرشِحُ الصفةَ للدلالةِ على زمنِ الحالِ[8]، تُعيِّنُ حدَثَ التصحيحِ من التحريفِ، لأنَّ التصديقَ المراد به التصحيح من التحريفِ يَستقرُّ دلالتُهُ مع اسم الفاعل الدال على الحدوث، لأنَّ التصديقَ لم يستمرْ إلاَّ لحينِ رفعِه عليه السلام إلى السماءِ، وبعدَ ذلكَ الحينِ قد تعرَّضَ كلٌّ من التوراةِ والإنجيلِ للتحريفِ، كما أنَّهُ لو كان المرادُ من مجيءِ (مُصدِّقاً) الإيمانَ بما سَبَقَ من الكُتُبِ السماويَّةِ لَعَدلَ عن قولِه تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ إلى ((مُصدّقاً بالتوراةِ))، ويُستشفُّ من عبارةِ: (لما بين يديَّ) أنَّ التصديقَ من التحريفِ لا يتجاوزُ بقاءَهُ سالماً من التحريفِ مسافةَ ما بينَ يديهِ وخروجه من بين يديه، أي أنَّ التحريفَ سيَحدُثُ بعد رفعِه إلى السماءِ، أو أنَّ مُدةَ بقائِه مُصدِّقاً بالتوراةِ إلى حينِ رفعِه إلى السماءِ، وما بعدَ ذلك لا يُعدُّ كتاباً مُصدَّقاً. ونصبُ (مُصدِّقاً) و (مُبشِّراً) على الحال[9]، قال "الزمخشري": ((فإنْ قُلتَ: بِمَ انتُصِبَ مُصدِّقاً ومُبشِّراً؟ أبِما في الرسولِ من

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٢٠.

(٢) النساء : ٤٦.

(٣) المائدة : ١٣.

(٤) يُنظر: المُمتِع في التصريف: ١٢٩، والمُبدِع في التصريف: ١١٢.

(٥) سُنَنُ العربيةِ في الدِّلالةِ على المُبالغةِ والتكثيرِ: ٣٤–٣٥.

(٦) شرح التسهيل: ٤٥١/٣، والمُمتِع في التصريف: ١٢٩، وشرحُ شافيةِ ابن الحاجب:٢٥٣/١.

(٧) شرح التسهيل: ٤٥٢/٣، وشرحُ شافيةِ ابن الحاجب:٢٥٣/١.

(٨) الأصول، ابن السراج: ١/ ١٢٩، وأقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ٢٢٣

(٩) إعراب القرآن، النحاس : ٤/ ٢٧٧، والبحر المحيط: ٨/ ٢٥٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٥٢.

معنى الإرسالِ أم بإليكم؟ قُلتُ: بل بمعنى الإرسالِ، لأنَّ (إليكم) صلةٌ للرسولِ، فلا يجوزُ أنْ تعملَ شيئاً، لأنَّ حروفَ الجرِّ لا تعملُ بأنفسِها، ولكنْ بما فيها من معنى الفعلِ، فإذا وقعتْ صلاتٌ لم تتضمنْ معنى فعلٍ، فمن أينَ تعملُ؟))[1]، والظاهرُ في (مُصدِّقاً) و (مُبشِّراً) هو أنَّهما حالانِ مُنتقلانِ، لأنَّ العاملَ فيهما هو الخبرُ المُتضمِّنُ لدلالةِ الفعلِ، وهذا إيحاءٌ بدلالةِ الحدوثِ في كلا الحالينِ، أمَّا (من) الجارةُ الدالةُ على التبعيض: (من التوراةِ) فهي إيحاءٌ بتصديقِ الجزءِ غيرِ المُحرَّفِ من التوراةِ، إذن الغرض من (مُصدِّقاً) هو الحَدُّ من اعتقادِ اليهودِ المُضلَّلةِ والمُسيئةِ إلى الكُتبِ السماويَّةِ والأنبياءِ والرُّسُلِ.

أمَّا (مُبشِّراً) – وهو حالٌ معطوفٌ على (مُصدِّقاً)[2] – فهو دالٌ على الحالِ أيضاً، وهو اسمُ فاعلٍ من الفعلِ الثلاثي المزيدِ: ((بَشَّرَ)) وهو: ((فَعَّلَ)) اللازمُ[3]، ومن دلالاتِه: النقلُ والتحولُ[4] الموافقُ لـ ((فَعَلَ))، ممَّا يتلاءمُ وحالَ عيسى عليه السلام، والقُصدُ من إيرادِه حالاً ثانياً من عيسى عليه السلام هو إنذارُ بني إسرائيلَ بأنَّ ما سلكوهُ من المنهجِ السيئِ الخارجِ عن فطرةِ الحياةِ الطبيعيةِ سوفَ يُوضعُ لَهُ حدٌّ حالَ مجيءِ رسول يأتي من بعده أسمُهُ (أحمد)، لأنَّ البشارةَ تكونُ بالخيرِ والشرِّ[5]، أي لم يكنِ الغرضُ من البشارةِ أنْ يسُرَّ بنو إسرائيلَ بقدومِ رسولٍ ليسَ من نسبِ اليهود، وصاحبَ كتابِ غيرِ التوراة والإنجيل اللذينِ قد حُرِّفا حَسبَ ما تشتهيها أهواؤهُم، فكيفَ يسرُّونَ بتلكَ البشارةِ؟ وما يدُلُّ على ذلكَ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[6] ، والظاهرُ أنَّ اقترانَ (مُبشراً) بـ (أحمد) إيحاءٌ إلى الخيرِ الذي سيأتي بمجيءِ محمد ﷺ، والمُستمدُّ من الصيغتينِ اللتينِ هما حالانِ من عيسى عليه السلام، هو الإنذارُ والتنبيهُ لبني إسرائيلَ بأنَّ سلطتَهُم وتحدِّيَهُم ومعاداتِهم سوفَ تنتهي، ويُحَدُّ منها بمجيءِ (أحمد) ﷺ وأنَّ كتابَهُ يُنسخُ ويحلُّ محلَّهُ القرآنُ الناسخُ لكلِّ الكتبِ السماويَّةِ، وأنَّ التصديقَ أو الإيمانَ بالتوراةِ يستمرُّ إلى حينِ خروجِهِ من بينِ يديهِ، ويوضحُ ذلكَ العطفُ القائمُ بين الحالينِ، والذي يجعلُ من الحالينِ أنْ يصُبَّا في حقلٍ دلالي واحدٍ ويشاركا في حكمِ فعلي واحدٍ، هو إحداثُ الحدِّ من مساوئِ بني إسرائيلَ وسلطتِهم الفاسدةِ المنحرفَةِ.

---

(١) الكشاف: ٤/ ٥١٣.

(٢) إعراب القرآن وبيانهُ: ٧/ ٥١١، والإعراب المفصل: ١١/ ٥٠٤.

(٣) المُمتِع في التصريف: ١٢٩، والمُبدِع في التصريف: ١١٢.

(٤) شرح التسهيل: ٣/٤٤٢–٤٥١، والمُمتِع في التصريف: ١٢٩.

(٥) لسان العرب: ١/ ٢٨٧ ، مادة بشر.

(٦) الصف : ٦.

وقد ظَهَرَ في ما سَبَقَ أنَّ القرائنَ كُلَّها قد تضافرتْ لخدمةِ السياقِ الموضوعي، لأنَّ أيَّ تحليلٍ لِمعاني الكلماتِ خارجَ سياقِ النصِ لا يُقدِّمُ شيئاً يُعتدُّ بِهِ في مجالِ التفسيرِ[1]، لأنَّ التركيبَ يُخبِّئُ في خصائصِهِ وأحوالِهِ إشاراتٍ ودلالاتٍ مُختلفةً، لا يستخرجُ مِنها السياقُ من هذهِ الخصائصِ أكثرَ من مقتضياتِهِ بِحسبِ ضروراتِها الأسلوبيةِ والجماليةِ ((فكأنَّ التركيبَ النفيسَ أشبهُ بقطعةٍ من معدنٍ نفيسٍ تُعطي ألواناً مُتكاثرةً كُلَّما أدرتها إدارةً جديدةً، والسياقُ هو القوةُ التي تُحرِّكُ هذهِ القطعةَ لِتشيعَ من ألوانِهِ ما يُرادُ إشعاعُهُ))[2] في موضعِهِ وفي مُناسبتِهِ.

(١) بلاغةُ العطفِ في القرآن الكريم: ١٤٨، و دور الكلمةِ في اللغةِ: ٥٩.

(٢) دلالات التراكيب، دراسة بلاغية: ٢٥٣، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٤٣.

الفصلُ الخامس

التراكيبُ الدالَّةُ على وصفِ

سيِّدِنا مُحمد ﷺ

الوصف المُفرد الواقع فعلاً في التركيب الفعلي.

قال تعالى في وصفِ الرسول ﷺ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]، **فقال: (لِنْتَ لَهُم)، بعدَ قولِه: (فَبِما رحمَةٍ من اللهِ)، وقد جاءتِ الآيةُ في سياقِ الكلامِ على غزوةِ أُحُدٍ وما أصابَ المسلمينَ فيها، قالَ تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[2] **فنزلَتِ الآيةُ رَدًّا على المُنافقينَ في هذهِ الغزوةِ[3]، ويبدو أنَّ انزياحاً وقعَ في هذا التركيبِ الفعلي بالتقديمِ والتأخيرِ، حيثُ قُدِّمَ: (فَبِما رحمَةٍ من اللهِ) على التركيبِ الفعلي: (لِنْتَ لَهُم)، لأنَّ أصلَ التركيبِ قبلَ التقديمِ والتأخيرِ: ((لِنتَ لَهُم برحمةٍ من اللهِ))**. ومعلومٌ أنَّ الفعلَ يفيدُ التجدُدَ والحدوثَ، والاسمَ يفيدُ الثبوتَ والدوامَ[4]، **ولكنْ صفةَ اللينِ قد ثَبَتَتْ في الرسولِ ﷺ، لما دَلَّ عليهِ زمنُ المضي في: (لِنتَ)، على أنَّ ذلكَ الوصفَ تقرَّرَ وعُرِفَ من خُلُقِه، وأنَّ فِطرَتَهُ على ذلكَ برحمةٍ من اللهِ[5] هو تحقيقُ ذلكَ الوصفِ بصورةٍ تُلتَمسُ من خلالِ القولِ والفعلِ اللذينِ تُلتَمسُ آثارُهُما وتُجسَّدُ، فالتماس أثَرِ فعلِ ((اللين)) المتصف به الرسول ﷺ متجسد في قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[6]، **أي: لو كنتَ سيءَ الخُلُقِ جافياً، قاسياً، لتفرَّقوا عنك، ولم يسكنوا إليك[7]، فالانزياحُ جاءَ مواساةً للرسولِ ﷺ لهمومِهِ لهزيمةِ المُسلمينَ في أُحدٍ لتَأثُّرِه بقولِ القائلينَ:** ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) آل عمران: ١٥٥–١٥٨.

(٣) أسباب النزول، السيوطي: ٩٨.

(٤) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٨٠.

(٥) التحرير والتنوير: ٤/ ١٤٥.

(٦) آل عمران: ١٥٩.

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/ ٢٤٠.

هَـٰهُنَا﴾[1]، فلولا الانزياح لمَّا تَحَقَّقَ غرض المواساة المستشف من عبارة: (فبما رحمةٍ من الله) من دلالة التعظيم، لما أبداهُ الرسولُ ﷺ لأصحابه من اللين بالرفق والتلطف والتَّرحُم بهم، فالذي يبدو أنَّ دلالةَ التعظيمِ هذه تأتي بتأويل العبارة بـ ((فبقدر رحمةٍ واحدةٍ من الله لنْتَ لهم))، وهي الدلالةُ الأكثرُ تلاؤماً وانسجاماً مع السياق، وذلك بتعيين دلالة نكرةٍ موصوفةٍ لـ (ما) المفيدة للإبهام والتقرير[2]، وتقديرها بـ ((قدر))، وإنَّ تنكيرَ (رحمةٍ) تأتي لإفادة دلالة ((الوحدة))[3]، فالتعظيمُ يكمُنُ في أنَّ رحمةً واحدةً – أو جُزءاً قليلاً منها – من الله مبهمة أدتْ إلى أنْ يكونَ رسولُهُ ليِّناً مع الناس ورحيماً، ولا مقياسَ لرحمة الله، إذنْ فالانزياحُ جاءَ لإبراز دلالة التعظيم في العبارة وصولاً بها لأداء وظيفة المواساة للرسول ﷺ. فضلاً عن ذلك، فإنَّ الإبهامَ في (ما) والتنكيرَ في (رحمةٍ) يأتيان ليكشفا عن علاقةٍ لغويةٍ بين (رحمةٍ) و (لِنْتَ)، فالرحمةُ دالّةٌ على الرقة والعطف والرأفة والمغفرة[4]، واللينُ: نعمةُ العيش، يُقالُ: هَيِّنٌ لينٌ، واللينُ: ضِدُّ الخشونة[5]، ويستشِفُ من دلالة اللفظتين أنَّ الرحمةَ مُقتصرةٌ على ما هو معنوي غيرُ محسوسٍ، واللينُ مقصورٌ على ما هو ماديٌ ملموسٌ مع اشتراكٍ دلالي فيما بينهما، أي أنَّ أحدَهما يتضمَّنُ دلالةَ الآخر مُسوَّغاً لعلة العدول، كونُ رحمة الرسول ﷺ لم تُدركْ آثارها لأولئكَ الذينَ قالوا ما قالوا، بلْ الّذي شخَّصَ صورةَ هذه ((الرحمة)) وجسَّدَها هو الفعْلُ: (لِنْتَ)، الّذي تبرزُ آثارُهُ في جميع أعضاء الجسم لساناً وشفةً وعيناً وأُذناً وبقيةَ الجوارح، فالرحمةُ طاقةٌ كامنةٌ في القلب، واللينُ طاقةٌ حركيةٌ مجسَّدةٌ في الجوارح، فإبهامُ تلك الرحمة غيرِ المحسوسة هو السببُ في العدول، أمَّا (الفاء) و (الباء) في مُفتتح التركيب: (فبما)، فالّذي يبدو أنَّ الأداتين قد تشكلتا لتُفيدَ الفاءُ ترتيبَ مضمونَ الكلام، على ما يُنبِئُ عَنهُ السياقُ من استحقاق الفارّينَ في غزوة أُحُدٍ اللوم والتعنيف من الرسول ﷺ بمُقتضى الطبيعة البشرية، والباء متعلقة بـ (لِنتَ)، والتقديم هنا للقصر، ((ولعلَّ المرادَ بهذه الرحمة ربطُهُ – سبحانه وتعالى – على جأشه ﷺ وتخصيصُهُ بمكارم الأخلاق وجَعَلَ الرِّفقَ ولينَ الجانب مُسبّباً عن ربط الجأش، لأنَّ مَن مَلكَ نفسَهُ عندَ الغضب كانَ كاملَ الشجاعة))[6].

---

(١) آل عمران: ١٥٤.

(٢) شرح المفصل: ٢/ ٤٠٣–٤٠٥، والبحر المحيط: ٣/ ١٠٣، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٠٥.

(٣) يُنظر: الطراز: ٢/ ٨.

(٤) مقاييس اللغة: ٣٧٥، مادةُ: رحم، والقاموس المحيط: ١٠٥٩–١٠٦٠.

(٥) تهذيب اللغة: ١٥/ ٣٧٠، مادةُ: لان، ومقاييس اللغة: ٨٢٥.

(٦) روح المعاني: ٤/ ١٠٦.

الوصف المُفرد الواقع فاعلاً في التركيب الفعليِّ:

قال تعالى في وصفِ رسولهِ الكريمِ ﷺ بالبُرهانِ[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[2]، فقالَ : (قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ)، أي أنَّ الرسولَ ﷺ هو الحجةُ في علاجِ علَّةٍ أُصيبَ بها المجتمعُ البشري مُنذُ العصورِ السحيقةِ، وانتقلتْ عدواها جيلاً بعدَ جيلٍ، حيثُ بَعَثَ اللهُ محمداً ﷺ بُرهاناً، وهذهِ العلَّةُ هي داءُ الشركِ الّذي تُصابُ بهِ القلوبُ فيزَحزِحُها نحو الفسادِ والذي يَكشفُ عن هذهِ الدلالةِ هو السياقُ بنوعيهِ: المقامي والمقالي، فالمقامي الَّذي تُقررُهُ الآياتُ السابقةُ على التركيبِ الوصفي، وذلكَ قولهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾[3]، والمقالي الَّذي تُوجِّهُ الدلالةَ بالوحداتِ المؤلفةِ للتركيبِ، فالبدء بالنداء: (يا أيُّها الناسُ) إيحاءٌ بالحيرةِ التي أوقَعَتها علَّةُ الشركِ في حياةِ الناسِ، وجَعَلَتْهُم يعيشونَ حياةَ الفوضى، فالتعميمُ في النداء بلفظ (الناس) إشارةٌ إلى أنَّ علَّةَ التباس الشرك بالإيمان قد سادَتِ الجميعَ، وأنَّ النداءَ هُنا بـ (يا) التي تُستعمَلُ للمُنادى البعيد[4]، إيحاءٌ بامتدادِ العلَّةِ وطغيانها، ومثل هذا النداء قد يأتي ((للإشعارِ بأنَّ السامعَ غافلٌ لاهٍ))[5]، وما تُفيدُهُ الأداةُ: (قد) لا يَقلُ أهميةً عمَّا في النداءِ في بيانِ دلالةِ (بُرْهانٌ) و توجيهها، فدلالةُ الإخبارِ، والتحقيقِ، والتوقعِ[6] – وهو الانتظارُ لأمرٍ مُستقبلي[7] – تَتَلاءَمُ وحالَ الناسِ آنذاك، وما في التركيبِ الوصفي، وسياق الآية التي وردتْ فيها إشارةٌ إلى تلكَ البداياتِ التي قد سادَ فيها الضلالُ والظلامُ، وانحرفتْ فيها الكتبُ السماويةُ، وذهبَتْ فيها القيمُ والمُثُلُ الإنسانيةُ.

أمَّا التقريبُ في (قد) فيُضفي دلالةَ الدوامِ والاستمرارِ لـ (برهانٌ)، فأداؤها لهذهِ الوظيفةِ يأتي أنَّنا حينَ نَقولُ: ((قامَ زيدٌ)) فَنُخبِرُ بقيامهِ فيما مضى من الزمن، إلاَّ أنَّ ذلكَ الزمانَ قد يكونُ بعيداً، وقد يكونُ قريباً من الزمانِ الَّذي نحنُ فيهِ، فإذا قُلنا: ((قد قامَ زيدٌ))، فقد قرَّبناهُ ممَّا نحنُ فيه، ولذلك يحسنُ وقوع الماضي موضع الحال إذا كان معه ((قد))[8]، أي أنَّ فعاليَّةَ (بُرْهانٌ) في معالجةِ الشركِ تَسْتَمِرُّ معَ بقاءِ الشرك، أمَّا مُشاركَةُ (بُرْهانٌ) في وظيفةِ المعالجةِ فَتَكْمُنُ في دلالتهِ المُعجميةِ، وفي أصلِ صيغتهِ يُقالُ: بَرْهَنَ فُلانٌ: إذا جاءَ بالبُرْهانِ، والصوابُ أنْ يُقالَ: أبْرَهَ: إذا جاءَ بالبُرْهانِ، وأبْرَهَ مِنْ: بَرِهَ الرَّجُلُ: إذا ثابَ

---

(١) يُنظر: البحر المحيط: ٣/ ٤٢١.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) يُنظر: علوم البلاغة: ٨٥، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ١٦٥، والكافي في علوم البلاغة: ٢٨٧–٢٨٩.

(٥) علوم البلاغة: ٨٥، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ١٦٥.

(٦) يُنظر: شرح المفصل: ٥/ ٩٢، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٥٥، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٠٧.

(٧) الزمن النحوي في اللغة العربية: ١٠٧.

(٨) شرح المفصل: ٥/ ٩٢، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٠٧.

جِسْمُهُ بَعْدَ تَغَيُّرٍ من علّةٍ[1]، إذنْ فوظيفةُ (بُرْهانٌ) هي إعادةُ الإنسانِ إلى ما كانَ عليه، وهو الفِطَرَةُ السليمةُ بعد تَغَيُّرٍ طرأ عليها، فوصلتْ إلى الشرك، بنحوِ ما موجود في المعادلة الآتية:

الفطرةُ السليمةُ ⟵⟶ الشرك.

والبُرْهانُ هُنا الحُجَّةُ[2]، وهذه الدلالةُ لا تَخْرُجُ عن الدلالةِ السابقة، لأنَّ مَنْ امتلكَ الحُجَّةَ تَمَكَّنَ مِنْ تَبْرِئَةِ نفسه من تُهمَةٍ قُذفَتْ، وأعادَ نَفْسَهُ إلى ما كانتْ عليها وهي البراءةُ، كذلك صورة الرسول ﷺ فمن اقتدى به فهو الحُجَّةُ والضَّامنُ لشفاء علّته وهي الشرْكُ، الّذي هو مصدرُ الأدواء والعلَل، وما يقومُ به أصلُ الصيغة وهو ((فَعِلَ)): ((بَرِهَ)) هو التَنَبُؤُ والتقريرُ بدلالة (بُرْهانٌ)، لأنَّ ((فَعِلَ)) – بكسر العين– يُكثرُ فيه العللُ والأحزانُ وأضدادُهما يعني: الأفراحُ نَحْوَ: سَقِمَ ومَرِضَ في العلل، وحَزِنَ في الأحزان، وفَرِحَ وجَذِلَ وأشِرَ في الأفراح[3]، أمَّا مجيءُ الوصفِ مَصْدَراً[4]، بصيغة ((فُعْلانْ))[5]، فَلِلْمُبالَغَة في الوصف ((فَقَدْ يُزادُ اللفظُ بالألف والنون للدلالة على المبالغة))[6]، والمُبالَغَةُ تكمنُ كذلكَ في أنَّ مُحمداً ﷺ هو الأوَّلُ والأخيرُ الّذي يُتَّصفُ بـ (بُرْهانٌ)، وهو الغايةُ والذروةُ في معالجةِ الأحوال، كما أنَّ تنكيرَ الوصفِ المرادِ به التعظيمُ[7]، يُوحي بدلالة المُبالغة أيضاً، وكونُ ذلكَ البُرهان لا ينكشفُ ولا يتَحقَّقُ تَعْريفُهُ بالمُشاهدة إلاَّ بالاقتداء. وفضلاً عن ما سَبَقَ فإنَّ وقوعَ الوصفِ فاعلاً[8]، إبرازٌ لمكانَتِه ﷺ ووظيفتِه المُمَيَّزة، والقرينةُ المعيَّنةُ لتلكَ الوظيفةِ هي العطفُ[9]، القائمُ بـ ((الواو)) المفيدةِ للإشراك بينَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[10]، وبين ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[11]، وهو إيحاءٌ بأنَّ الوظيفةَ تَتَحَقَّقُ بتشخيص (نوراً مبيناً) لتلكَ الأدواء، وقيامِ (بُرْهانٌ) ببُرئِها، إذنْ فمجيءُ الوصفِ في التركيبِ الفعلي تحقيقٌ لمقصديةِ الفعلِ وهي التغييرُ والتجدُّدُ أو التَغييرُ في حالِ الناسِ تلكَ هي وظيفةُ الأنبياءِ والرُسُلِ – عليهمُ الصلاةُ والسلامُ – .

---

(١) تهذيب اللغة: ٦/ ٢٩٤–٢٩٥، مادةُ: بره، ولسان العرب: ١/ ٢٧١، المادةُ نفسها، وتاج العروس: ٣٦/ ٣٤١–٣٤٢.

(٢) جامعُ البيان عن تأويلِ آي القرآن: ٧/ ٧١٢، وتهذيب اللغة: ٦/ ٢٩٤، ومعالم التنزيل: ٢/ ٣١٥، والمحرر الوجيز: ٣/ ٧٦، والبحر المحيط: ٣/ ٤٢١، والجواهر الحسان: ٢/ ٣٣٢، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/ ١٤٣ وروح المعاني: ٦/ ٤٢، والتحرير والتنوير: ٦/ ٦٢، وتفسيرُ الشعراوي: ٥/ ٢٨٧٥.

(٣) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٢٤٣، وشرح التسهيل: ٣/ ٤٣٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٥.

(٥) يُنظر: الكتاب: ٨/٤، والمخصص: ١٤/ ١٣٣، وارتشاف الضرب: ٢/ ٤٨٣.

(٦) يُنظر: سنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير: ٨٨.

(٧) إرشاد العقل السليم:٢/ ٢٦٢، وروح المعاني: ٦/ ٤٢، والكافي في علوم البلاغة العربية: ١٢٢.

(٨) إعراب القرآن وبيانه: ٢/ ١٦٥.

(٩) إعرابُ القُرآن وبيانُهُ: ٢/ ١٦٥.

(١٠) النساء: ١٧٤.

(١١) النساء: ١٧٤.

الوصف الثنائي الواقع خبراً أوحالاً في التركيب الاسمي:

قال تعالى في سياقِ الكلامِ على عزمِ الرسولِ ﷺ وترحُمِه، وعدمِ يأسِهِ وتردُدِهِ من نهجٍ سلَكهُ، وعبءٍ حَمَلهُ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1]، فقالَ: (أسفاً). علة تشكيل الصورة هذه تكمُنُ في قولهِ تعالى قبلَهُ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾[2]، والقرينةُ هي (لعلَّ)، التي يبدو أنَّ فيها دلالةَ ((الإشفاق))[3]، المُستشفَّةِ من السياقِ لأنَّها موضوعةٌ موضع النهي أي لا تبخعْ، أو أنَّها وضعتْ موضع الاستفهام بتقدير: هل أنتَ باخعٌ؟ أو تقريرٌ وتوقيفٌ بمعنى الإنكار عليه أي: لا تكنْ كذلك[4]، بدليل قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[5]، الذي يُنبِئُ عن علة بَخَعِ الرسولِ لنفسه، فعلَّةُ الإشفاقِ تكمُنُ في الاستفهامِ المُستمَدِّ من الآيةِ أي: أإنَّكَ باخعٌ نفسَكَ أسفاً على آثارِهِمْ إنْ لم يؤمنوا بهذا الحديثِ؟. فاللهُ سبحانَهُ يُسلِّي رسولَهُ ﷺ ليُخفِّفَ عنهُ ما يلاقي من متاعبٍ وعنادٍ وسَفَهٍ من قومِهِ في سبيلِ الدعوةِ[6]، أمَّا التجسيدُ للصورةِ المذكورةِ فَيقعُ إثرَ ما تَحملُهُ: (باخِعٌ)، و(أسفاً) من دلالةٍ، وما تتميزانِ بهِ من خصائصَ وما تربطُهُما من علاقةٍ.

فالعزمُ والترَّحمُ وعدمُ اليأسِ مُستوحاةٌ مِن المُبالغةِ في دلالةِ (باخعٌ)، يُقالُ: بخعتُ لكَ نفسي ونُصُحي،أي جهدتُهما، ويُقالُ: بخعتُ الأرضَ بالزراعةِ، إذا نهكتَها وتابعتَ حراثَتَها ولم تجمُّها عاماً، وبَخَعَ الوجدُ نَفْسَهُ، إذا نهكها[7]، فـ ((نَهِكَ)) يدُلُّ على إبلاغٍ في عقوبةٍ وأذى، ونهكتْهُ الحُمى: نقصَتْ لَحْمَهُ، وأنهَكَهُ السلطانُ عقوبةً: بالغَ[8]. فلولا العزمُ والترحُمُ وعدمُ اليأسِ لَما أوصلَ الرسولُ ﷺ نفسه إلى ذلك الحالِ لأجلِ إنقاذِ أُمتِهِ من الضلالِ والظَّلامِ، لأنَّهُ كانَ على علمٍ ويقينٍ بِأنَّ قومَهُ لا يعلمونَ، والعلاقةُ القائمةُ فيما بينَ الثنائيتينِ تَكْمُنُ في أنَّ (الأسفَ) هو السببُ في (البَخْعِ)، أو أنَّ البَخْعَ مُبالَغَةٌ وغايةٌ في الأسفِ، تلكَ العلاقةُ تُعدُّ قرينةً معيَّنةً ومثبَّتةً لِما سَبَقَ من صورةٍ، حيثُ قيلَ: إنَّ الأسفَ هو الحُزنُ

---

(١) الكهف: ٦.

(٢) الكهف: ٤–٥.

(٣) يُنظر في هذهِ الدلالة: الكتاب: ٤/ ٢٣٣، والجنى الداني: ٥٨٠، والبحر المحيط: ٦/ ٩٦، وتقارض الألفاظ في الدلالة والإعراب: ١٧٠.

(٤) البحر المحيط: ٦/ ٩٦.

(٥) الكهف: ٦.

(٦) تفسيرُ الشعراوي: ١٤/ ٨٨٣٩.

(٧) تهذيب اللغة: ١/ ١٦٨، مادةُ: بخع، ومعاني القرآن، الكسائي: ١٨٤، والتفسير الكبير: ٢١/ ٨٠.

(٨) مقاييس اللغة: ٨٧٦، مادةُ: نهك.

والغضبُ معاً، وقيلَ: هو الحُزنُ وحدُهُ أو الغضبُ وحدُهُ[1]، والذي يبدو أنَّ (الأسفَ) هو الحزنُ وحدَهُ، لأنَّ الحزنَ والغضبَ معاً قد يؤديانِ إلى المواجهةِ والانتقامِ، وهذا بعيدٌ كلُّ البُعدِ عن صفةِ الرسولِ ﷺ فما ينبثِقُ من الرسولِ ﷺ لا يخرُجُ عن الترحُمِ والتلطُفِ، والعدولُ عن صيغةِ ((أسِفاً)): ((فَعِلاً)) في قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾[2]، إلى صيغةِ (أسفاً) ((فَعَلاً)) في الآيةِ التي نَحنُ بِصدَدِها يُعدُّ قرينةً أُخرى، تُبيِّنُ أنَّ أسفَ الرسولِ ﷺ كانَ ترحُماً بقومِه، بعيداً عنِ الغضبِ واليأسِ، أي صورةٌ معاكسةٌ لما جرى لموسى عليه السلام وهو الغضبُ واليأسُ وحُبُّ الانتقامِ من قومِه.

وفضلاً عن تلكَ العلاقةِ، فإنَّ اشتراكَ الثنائيتينِ في أصلٍ واحدٍ هو صيغةُ: ((فَعَلَ)) التي من دلالاتِها: ((الغلبةُ))[3]، تأتي الدلالةُ هذه لتكونَ بؤرةَ الصورةِ، فغلبة الرسول ﷺ النفس مكَّنَهُ من العزمِ والتَّرحُمِ وعدمِ اليأسِ والتراجعِ من استقامتِه، والمداومةِ على أداءِ وظيفتِه، وفيما يخُصُّ تعديةُ أصلَ ((بَخَعَ)) وهو ((فَعَلَ))[4]، بِنصبِ (نفْسَكَ) مفعولا بِهِ[5]، لأنَّ (نفسَ) مفعولٌ بِهِ لاسم الفاعل: (باخِعٌ) فيأتي مشاركاً آخراً في تجسيدِ الصورةِ، بِإبرازِ ما حمَّلَ الرسولُ ﷺ نفْسَهُ من الاجتهادِ والتكلفِ في سبيلِ هدايةِ قومِه ما لا يُحمِّلَهُ اللهُ، ويُلزمُ ما لا يلزمَهُ، أمَّا مكانةُ الصيغةِ للثنائيتينِ في تلك الصورةِ فتَكْمُنُ في أنَّ مجيءَ (باخِعٌ) بِصيغةِ: ((فاعلٌ)) وهي اسمُ الفاعلِ– يدُلُّ على الاستمرارِ والحدوثِ معاً، فاسمُ الفاعلِ إذا كانَ للاستمرارِ يَصَحُّ إعمالُهُ نَظْراً لاشتمالِه على الحالِ والاستقبالِ[6]، ولمَّا كان جارياً على الفعلِ جازَ أنْ يُقصَدَ به الحدوثُ بمعونة القرائن، ويجوزُ أنْ يُقصَدَ بِهِ الدوامُ كما في المدحِ والمبالغةِ[7]، لأنَّ البِنيَةَ العميقةَ للتركيبِ الوصفي هي ((أنت باخعٌ نفْسَكَ))، تُوحي بِوقوعِ الحدثِ، أمَّا دخولُ (لعلَّ) عليها فولَّدَ بِنيةً تركيبيةً جديدةً (فلَعلكَ باخعٌ نَفْسَكَ)، التي لم تأتِ إلاَّ لتُضيفَ على تلكَ البِنيةِ دلالةَ الإشفاقِ والتَّرحُمِ بنفسِه كالذي يُقدِّمُهُ لأمتِه، لا طلبُ الكفِّ عن تركِ نهجِه. إذنْ، فحدَثُ البَخْعِ واقعٌ، لأنَّ الغرضَ من التركيبِ ليس الحذرَ من وقوعِ ذلكَ الحدثِ للرسول ﷺ، لأنَّ وقوعَ (أسَفاً) حالاً[8]، من الضميرِ في (باخِعٌ) إيحاءٌ بوقوعِ حدثِ البَخْعِ،

---

(١) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: ١/ ١٨١.

(٢) طه: ٨٦.

(٣) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٤٢.

(٤) يُنظر: المبدع في التصريف: ١٠٨، والمُمتع الكبير في التصريف: ١٢٤

(٥) إعراب القرآن وبيانه: ٤/ ٤٣٧.

(٦) الكليات: ١٠٧٧.

(٧) م . ن: ٨٩.

(٨) إرشاد العقل السليم: ٥/ ٢٠٤.

فهو السببُ في وقوعِه، و (الفاء) في (فلعلَّك) قرينةٌ بتحقيقِ وقوعِ الحدثِ وبيانِ سببِ الوقوعِ، فـتصديرُ الجملِ بـ ((الفاء)) غايتُها تعليلَ معانيها لتكونَ أكثرَ إقناعاً، ولأنَّ النفسَ ترتاحُ للأمورِ المُعلَّلَةِ[١].

وفضلاً عن ذلكَ فإنَّ مجيءَ (أسفاً) بصيغةِ المصدرِ إيحاءٌ بِثبوتِ الصفةِ، وقرينةٌ موحيةٌ بحدوثِ (باخِعٌ) واستمراريتِه، فالعدولُ في صيغةِ الثنائيتينِ تحقيقٌ للغرضِ المذكورِ، أي العدولُ عن (آسِفاً) إلى: (أسَفاً) لِقَصدِ الثبوتِ، والدوامِ، أمَّا ((البخعُ)) فهو قابلٌ للصعودِ والنزولِ، فهو درجاتٌ من الأسفِ ومبالغةٌ منهُ، فـ ((كلُّ ما كان زمانيَّاً فهو متغيرٌ، والتغيرُ مُشعرٌ بالتجدُّدِ))[٢]، والناظِرُ لِبنيةِ التشكيلِ الصوتي لـ (باخِعٌ) يَلتمِسُ أثرَ التجهدِ النفسي والعضوي للرسولِ ﷺ، فـ ((الباء)) بما يمتلِكُهُ من صفاتٍ – فهو ((صوتٌ شفويٌ انفجاريٌ مجهورٌ))[٣] – يوحي مع ((الألفِ)) المتميِّزِ بالمدِّ[٤] – بالتجهدِ النفسي الناتِجِ عن الأسفِ والتجهدِ النطقي لكثرةِ ترددِ الرسولِ ﷺ خطابَ الدعوةِ بالبشارةِ والإنذارِ، و((الخاء)) بصفاتِه، وهو صوتٌ احتكاكيٌ مهموسٌ مُخرَجُهُ من أقصى الحنكِ ((أدنى الحلقِ))[٥]، و((العين)) صوتٌ حلقيٌ احتكاكيٌ مجهورٌ[٦]، فهما أي ((الخاء والعين)) يشاركانِ في إبرازِ ما يجهدُ عضو النطقِ في الرسولِ ﷺ بأداءِ مهمةِ الرسالةِ في قومِه، والتنوينُ في (باخِعٌ) لتفخيمِ ذلكَ الاجتهادِ.

---

(١) بنية الجملة ودلالاتها البلاغية في الأدبِ الكبير لابن المقفع: ٣٤.

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٨٠.

(٣) يُنظر: استخدامات الحروف العربية/ معجمياً، صوتياً، صرفياً، نحوياً، كتابياً: ٢٧.

(٤) علم الأصوات: ١٦٤.

(٥) استخدامات الحروف العربية: ٥٠.

(٦) استخدامات الحروف العربيةِ: ٨٧.

الوصف المُفرد الواقع خبراً في التركيب الاسمي:

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم مبرّئاً إيَّاهُ، ومؤاسياً له بخبرِ وسامٍ جديدٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فالمواساة يوضِّحُها السياق ودخول (إنَّ) المعلَّلة والمؤكدة جاءَ بِسببِ مجيء التركيب الوصفي المُستمدّ من قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾[2]، وللقرآنِ طريقةٌ موحدةٌ في التعبيرِ، يتخِذُها في أداءِ جميعِ الأغراضِ على السواءِ، حتى أغراضِ البرهنةِ والجدلِ، تلك هي طريقةُ التصويرِ التشخيصي بوساطةِ التخيُّلِ والتجسيمِ[3]، فالطريقةُ هذه هي المؤدِّيةُ لوظيفةِ التبرئةِ والمواساةِ من خلالِ الوحداتِ الدلاليةِ المشاكِلةِ للتركيبِ الوصفي، والمجسِّدةُ أو المُجسمةُ لِخُلُقِ القرآنِ في الرسولِ ﷺ كونُ الرسولِ ﷺ قُرآناً يمشي، فعن عائشةَ (رضي الله عنها): أنَّ سعيدَ بنَ هشامٍ سألها عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالتْ: ((كان خلقه القرآن))[4]، فتلاوةُ الرسولِ ﷺ القرآنَ على قومه هي السببُ في إطلاقِ الأوصافِ المذمومةِ على الرسولِ، كونُ القرآنِ غريباً عليهم، وخبريةُ[5] الوصف إيحاءٌ بالجديدِ وغيرِ المتعهدِ لدى قومهِ ﷺ، والعدولُ عن التعريف المراد به العهدية إلى التنكير المراد بهِ الإبهام والتعظيم إشارةٌ أُخرى إلى خُلُقِ القرآنِ، لأنَّ قومَهُ ﷺ كانوا على معرفةٍ تامةٍ بِصدقِهِ وأمانتِهِ، ولم يكونوا على درايةٍ بِما في القرآنِ من خُلُقٍ عظيمٍ مُجسَّدٍ في الرسولِ ﷺ، وفضلاً عن ما سَبَقَ فإنَّ قولَهُ تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾[6]الَّذي هو خِطابٌ خاصٌ للرسولِ ﷺ، والمرادُ: فستعلمُ ويعلَمُ الكُفارُ والمُنافقونَ – في الدُّنيا بِظهورِ عاقبةِ الأمرِ بِغلَبةِ الإسلامِ، واستيلائِكَ عليهم، وصيرورتِكَ مُهيباً عظيماً في قلوبِ العالمينَ[7] يُعدُّ قرينةً أُخرى مُحقِّقَةً لمقصودِ ((الخُلُقِ)) بالقرآنِ، وإيحاءً بِأنَّ الرسولَ ﷺ لمْ يكنْ على علمٍ بِما عليهِ من خُلُقٍ عظيمٍ وهو خُلُقُ القرآنِ، لأنَّ الآيةَ توحي بِبِدايات الدعوةِ لَهُ ﷺ، كونُ السورةِ مكيةً[8]، أمَّا التجسيدُ والتجسيمُ لـ (خُلُقٍ عظيمٍ) في الرسولِ ﷺ فتُحقِّقُهُ (لعلى) المركبةُ من حرف الجر ((على)) الدالةِ على

---

(١) القلم: ٤.

(٢) القلم: ٤.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ٢٣٩.

(٤) صحيح مُسلِم: ١/ ٥٣، رقم الحديث: ٧٤٦، والمحرر الوجيز: ٥/ ٣٦٦، والكشاف: ٤/ ٥٧٣، ، والبحر المحيط: ٨/ ٣٠٣، والتحرير والتنوير: ٢٩/ ٦٤.

(٥) حدائق الروح والريحان: ٣٠/ ١٢٠، وإعراب القرآن وبيانه: ٨/ ٢٣.

(٦) القلم: ٥.

(٧) روحُ المعاني: ٢٩/ ٢٦.

(٨) أسباب النزول، السيوطي: ٤٢٨، وفتح القدير: ٥/ ٣٥٤.

الاستعلاءِ[1] قالَ "سيبويه" (ت١٨٠هـ): ((تقولُ: عليهِ مالٌ، وهذا كالمثلِ، كما يُثبَّتُ الشيءُ على المكانِ كذلكَ يُثبَتُ هذا عليهِ)) [2]، فالدلالةُ هذهِ إيحاءٌ بِما نشأَ عليهِ ﷺ من أساسٍ وهو ((خُلُقُ القرآنِ))، أمَّا (لامُ) الابتداءِ المُنزاحةِ عن دخولِها على الخبرِ مباشرةً[3]، فهي بالرغمِ منْ وظيفتِها الحقيقيةِ المؤكدةِ[4] لمضمونِ الجُملةِ جاءتْ لتؤديَّ بانزياحِها وبِما فيها من مبالغةٍ[5] وظيفةً أُخرى، هي تحقيقُ المُماثلةِ والمُطابقةِ، التي تؤدي إلى التجسيدِ أو التجسيمِ التامِ لِخُلُقِ القرآنِ بالرسولِ ﷺ، فالذي يبدو أنَّ دخولَ (اللامِ) على حرف الجر: (على) سَبَبُهُ أنَّ (على) فيهِ نوعٌ من عدمِ المُطابقةِ أو المُماثلةِ التامةِ، وما في (لعلى) إيحاءٌ بالمباشرةِ التامةِ لاستعلاءِ الرسولِ ﷺ ((الخُلُقِ العظيمِ))، فيؤدي إلى المطابقةِ والمماثلةِ التامةِ والدقيقةِ، فدلَّ اللفظُ على أنَّهُ مُستعْلي على هذه الأخلاقِ ومستولي عليها، وأنَّهُ بالنسبةِ إلى هذهِ الأخلاقِ الجميلةِ كالمولى بالنسبةِ إلى العبدِ، وكالأميرِ بالنسبةِ إلى المأمورِ[6]، فبالرغمِ من تحقيقِ (اللام) لِوظيفةِ التجسيمِ حقَّقَ كذلك وظيفةَ المواساةِ لقلبِ الرسولِ ﷺ ، لأنَّ الاستعلاءَ جاءَ لإعلاءِ قدرهِ ﷺ ، وأنَّ مجيءَ حرفِ الاستعلاءِ بدلاً من غيرهِ – كأنْ يُقالَ: ((في خُلُقٍ عظيمٍ)) – دلَّ على ذلك، وكثَّفَ الإيحاءَ فيها[7].

أمَّا ما يَخُصُّ (خُلُقٍ) فتأتي مُشاركَتُها بالصيغةِ والمعجمِ مُجسَّدةً وظائف ودلالات أُخرى من خلال التركيب، فصيغةُ: (خُلُقٍ) وهي: ((فُعُلٍ)) توحي بالكثرةِ [8]، جمعُها: ((أخلاقٌ)) وهي ((أفعالٌ))، فَخُلُقُ القرآنِ كثيرةٌ لا تُحصى، فتلكَ غايةٌ في التصويرِ لعمليةِ الصعودِ التي أجرى بالرسولِ ﷺ بالمدارجِ الخُلُقيةِ العظيمةِ حتى تَمكَّنَ من ذلكَ العلوِ القائمِ والثابتِ عليهِ. فَتَحَقَّقَ الغرضُ المُنبثِقُ من قولهِ تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[9]، وفي صيغةِ: ((فُعُلٍ)) معنى المبالغةِ في ((الخُلُقِ)) فـ ((فُعُلُ)) ((بِضمِّ الفاءِ والعينِ)) قد يأتي ((وصفاً)) يفيدُ مبالغةَ اسمَ المفعولِ نحو: بابٌ فُتُحٌ، أي واسِعٌ ضَخْمٌ مفتَّحٌ، و شيءٌ نُكُرٌ: أي مُنْكَرٌ

---

(١) الكتاب: ٤/ ٢٣٠.

(٢) م . ن: ٤/ ٢٣١.

(٣) يُنظر: سرُّ صناعةِ الإعرابِ: ٤٠٨، ومغني اللبيب: ٣/ ٢٤١.

(٤) المثل السائر: ٢/ ٢٣٧، ومغني اللبيب: ٣/ ٢٣٩–٢٤١، والبرهان: ٤/ ٣٣٥–٣٣٦.

(٥) يُنظر: المثلُ السائر: ٢/ ٢٣٥.

(٦) التفسير الكبير: ٣٠/ ٨١، واللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٢٧١.

(٧) الآيات القرآنية المتعلِّقة بالرسول محمد ﷺ ، دراسة بلاغية وأسلوبية: ٣٥٣.

(٨) التعريف بالتصريف: ٣٠٠.

(٩) القلم: ٥.

شديدُ النكارةِ[١]، ورجلٌ فُرُجٌ لا يكتمُ سِرًّا، فإنَّ ((فُرُجَاً)) دالَّةٌ على المبالغةِ، فهو بمنزلةِ فَروجٍ، على فَعولٍ[٢]، والمبالغةُ مُستوحاةٌ كذلكَ من دلالةِ (خُلُقٍ) المعجميةِ، فـ ((الخَلْقُ)): التقديرُ للشيءِ المُخْتَرعِ على غيرِ مثالٍ سَبَقَ، وخَلَقَ الشيءَ: مَلَّسَهُ وليَّنَهُ، و((الخُلْقُ)) بالضَّمِ وبِضمَّتينِ: ((الخُلُقُ)): السجيَّةُ والطبعُ والمروءَةُ والدينُ، والأخلَقُ: الأملَسُ المُصمِّتُ[٣]، والمُصمِّتُ: يُقالُ للجبلِ الذي لا يؤثِرُ فيهِ شيءٌ أخلَقُ، وصخرةٌ خلقاءُ: إذا كانتْ ملساءاً. إذنْ فما تؤديهِ المبالغةُ المستمدَّةُ من (خُلُقٍ)، ومن ((لامِ الابتداءِ)) المنزاحةِ، ومن صيغةِ (عظيمٍ) وهي: ((فعيلٌ)) ودلالتِها – فالعظيمُ من: عَظُمَ الشيءُ، أصلُهُ: كَبُرَ عَظْمُهُ، ثُمَّ استعيرَ لِكلِّ كبيرٍ، نحو: جيشٌ عظيمٌ ومالٌ عظيمٌ، وذلكَ في معنى الكثيرِ، والعظيمةُ النازلةُ[٤] – ومن تنكيرِ الوصفِ ((النعت)) المرادِ بهِ التفضيلَ[٥]، هي وظيفةُ استكمالِ المشهدِ التصويري لبراءةِ خُلُقِ الرسولِ ﷺ، فَخُلُقَهُ ((لا يُدركُ شأوهُ أحدٌ من الخلقِ، ولذلكَ تحتملُ من جهتهِم ما لا يكادُ يحتمِلُهُ البشرُ))[٦].

(١) معاني الأبنية في العربية: ٦٨، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ٨٤.

(٢) يُنظر: سنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير: ١٦.

(٣) القاموس المحيط: ٨٢٩–٨٣٠، مادةُ: خلق، وتاج العروس: ٢٥/ ٢٥١، – ٢٥٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٩.

(٥) يُنظر: أسرار العربية: ٢٩٣، وشرح شذور الذهب: ٢/ ٧٧١.

(٦) إرشاد العقل السليم: ٩/ ١٢، وروح البيان: ١٠/ ١٠٥.

الوصف المُفرد الواقع خبراً في التركيب الحصري بـ (إنَّما):

قالَ تعالى مُخاطباً الرسولَ ﷺ : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1]، فقالَ: (إنَّما أنتَ مذكِّرٌ)، الآيةُ بتركيبِها الوصفي خطابٌ مباشرٌ للرسولِ ﷺ، كما تتضمَّنُ خطاباً غيرَ مباشرٍ للعقليةِ المتَّسمةِ بالخمولِ والجمودِ، أو العقليةِ التي سلبتِ الحياةُ منها الإدراكَ وتبصُرَ الحقائقِ المتجسِّدةِ حولَها، التي توحي جميعُها بوحدانيةِ اللهِ وجبروتِه، وما يُحدِّدُ الوظيفةَ الخطابيةَ للآيةِ بتركيبِها الوصفي هو السياقُ الباعثُ للدلالةِ، المؤلفُ من الآياتِ السابقةِ واللاحقةِ لها، إلاَّ أنَّ السابقةَ أكثرُ مشاركةً في التوجيهِ الدلالي، كونها تباشرُ في توجيهِها بالعلاقةِ السببيةِ الكامنةِ في (الفاء) الفصيحةِ[2]، في (فذكِّرْ)، والتي يشترطُ فيها أنْ يكونَ المحذوفُ سبباً للمذكورِ[3]، أو (الفاء) العاطفة المفيدة للسببيَّةِ[4]، والتعليلِ[5] في (إنَّما)، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾[6]، أي: لأجلِ أنْ تتمكَّنَ من تحريكِ إدراكِهم (ذكِّرْ)، لأنَّكَ (مُذكِّرٌ)، فالدلالةُ التي يبعثُها السياقُ للتركيبِ هي تشخيصُ علة الإدراك وبيان الدواء الشافي لها، تلكَ الدلالةُ تحققُها وحداتُ التركيبِ بدلالاتِها وخصائصِها، فما تُؤديه (إنَّما) من وظائفَ بحقِّ هذه الدلالةِ، هي: التخصيصُ[7]، والحصرُ بـ ((إثباتِ الحكمِ للشيءِ المذكورِ دونَ غيرِه))[8]، فتخصيصُ الرسولِ ﷺ بوظيفةٍ أخص ممَّا كانتْ هي أداءُ الرسالةِ، أي من الأعمِ إلى الأخصِّ كون المقام مختلفاً، والحال تقتضي مثل هذه الوظيفة، وهي مخاطبةُ العقولِ – التي آثرتِ الحياة الدنيا، إلاَّ أنَّ الآخرةَ خيرٌ لها، وأبقى– قصدُ المعالجةِ، تلكَ المعالجةُ مُستوحاةٌ من وظائفَ أُخرى لـ (إنَّما)، فهي تُسْلَكُ مع مخاطبٍ في مقامٍ لا يصرُّ على خطئِه، أو ينبغي عليهِ أنْ لا يَصرَّ على خطئِه[9]، ومجيئها قصراً[10]، يتمثَّلُ في نفي ((جميعِ الصفاتِ غيرِ

---

(١) الغاشية: ٢١.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٦، وحدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٣٩١، وإعراب القرآن وبيانه: ٣٠/ ٢٩٦.

(٣) الكليات: ١٠٤٩.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ٤/ ١٥٨.

(٥) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٢٢، وارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٨٥، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ١٥١، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٦، وروح البيان: ١٠/ ٤١٨، وروح المعاني: ٣٠/ ١١٧.

(٦) الغاشية: ١٧– ٢١.

(٧) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٢٢٨.

(٨) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٢٢، وارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٨٥، ودلائل الإعجاز: ٢١٥، ومفتاح العلوم: ٤٠٣، ومعترك الأقران: ١/ ١٣٦.

(٩) مفتاح العلوم: ٤٠٧.

(١٠) إرشاد العقل السليم: ٩/ ١٥١، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٦، والكافي في علوم البلاغة: ٢٣٥.

المثبتةِ حقيقةً أو مجازاً))[1]، فضلاً عن التعريضِ[2]، لأنَّ ((من شأنِ (إنَّما) أنْ تُضمِّنَ الكلامَ معنى النفي من بعدِ الإثباتِ))[3]، فهذه تَجتمعُ لتؤديَّ وظيفةَ التنبيهِ للمُخاطبينَ الذينَ وقعوا في غلطٍ تجاهَ الرسولِ ﷺ وهو عدم إدراكهم بحقيقةِ المعالجةِ، وظنِّهم الكامن بالرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[4] أي: لستَ مُتسلِّطاً على تفكيرِهم كما يعتقدونَ بأنَّ ما يهديهم الرسولُ ﷺ من طريقِ التفكيرِ سلب لحياتهم الفانية، التي تشتهيها الأنفسُ الخبيثةُ، بلْ هو إحياءٌ لهم بحياةٍ هي الأبقى، تلك الحياةُ الباقيةُ هي من وظيفةِ (مُذكِّرٌ)، لأنْ تُقدِّمَها للمشغوفينَ بحُبِه، والمهتدينَ بهديه، فمشاركةُ (مُذكِّرٌ) في مهمةِ تشخيصِ العلَّةِ وعلاجِها تأتي منْ أوجُهٍ، كدلالتها المعجمية، فـ (مُذَكِّرٌ) مصدره: الذِكْرُ: وهو خلافُ النسيانِ[5]، والذِكْرُ: الحِفْظُ للشيءِ، والذِكْرُ: معروفٌ[6]، وسيفٌ ذو ذُكْرٍ: أي صارمٌ، ورجلٌ ذَكيرٌ: جيدُ الذكرِ والحِفْظِ[7]، وذهَبَتْ ذُكرَةُ السيفِ: أي حدَّتُهُ[8]، والدلالاتُ هذه تجتمعُ لِتُنبِئَ عن وظيفةِ (مُذكِّرٌ)، وهي إعادةُ حدَّةِ الإدراكِ والتفكيرِ لأُمتِه، والتي أذهبتْها الحياةُ وسلبتْها منهُم، أمَّا خبريةُ[9]: (مُذكِّرٌ) فتأتي هي الأُخرى لتؤدي وظيفةَ التشخيصِ والمعالجةِ، فمهمةُ الخبرِ إفادةُ المخاطَبِ بِخَبَرٍ جديدٍ لم يكنْ معلوماً، لا سيَّما خبر قد أُفيدَ به التوكيدُ والتخصيصُ[10]، والتعريض[11]، المراد به التقوية والتشديد[12]، بعد (إنَّما) قد أفادَ السامعَ أمراً قد غلطَ فيه بالحقيقةِ[13]، التي هي عدمُ الإدراكِ بوظيفةِ الرسولِ ﷺ المعالجِ والمنقذِ لحالِ أمتِه وحياتِهم، والآمنِ لهم مأوى البقاءِ والسلامةِ، تلكَ مُستوحاةٌ من صيغةِ: (مُذَكِّرٌ) اسم الفاعل الدال على الحدوثِ والتجدُّدِ، فالذي يُميِّزُ اسم الفاعل عن غيرِه من الأوصافِ دلالته على مَن قامَ به الفعلُ على وجهِ الحدوثِ والتجدُّدِ، فالوصفُ ((قائمٌ)) مثلاً يدلُّ على حدوثِه في الحالِ واستمرارِه باستمرارِ هيئةِ الموصوفِ إلى أنْ يتحوَّلَ إلى وصفٍ آخرٍ[14]، أي أنَّ قصدَ الرسولِ ﷺ من وظيفةِ التذكيرِ إحداثُ التغيُّرِ والتجدُّدِ في

---

(١) معترك الأقران: ١/ ١٣٩.

(٢) يُنظر: معترك الأقران: ١/ ١٣٩، والكليات: ١٩٠، والكافي في علوم البلاغة: ٢٣٥.

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٣٢.

(٤) الغاشية: ٢٢.

(٥) الصحاح: ١/ ٦٦٤، مادةُ: ذكر.

(٦) تهذيب اللغة: ١٠/ ١٦٢–١٦٤.

(٧) الصحاح: ١/ ٦٦٤.

(٨) تهذيبُ اللغةِ: ١٠/ ١٦٥، والصحاح: ٦٦٤/١، والقاموس المحيط: ٣٥٧، واللسان العرب: ١٥٠٩/١، مادةُ: ذكر.

(٩) حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٣٩١، وإعراب القرآن وبيانه: ٨/ ٢٩٧.

(١٠) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٢٢٥–٢٢٨، ومعترك الأقران: ١/ ١٣٩، واللغة والدلالة: ٦٦.

(١١) معترك الأقران: ١/ ١٣٩.

(١٢) اللباب في علل البناء والإعراب: ٢٦.

(١٣) دلائل الإعجاز: ٢٢٨.

(١٤) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ٧٢.

عقلية قومه، وذلكَ بالتكثيرِ والمبالغةِ في تكرارِ هذهِ العمليةِ المستمدَّةِ من: ((ذَكَّرَ))، وهو: ((فَعَّلَ)) المُضعَّف الدَّالِ على التعدي والتكثيرِ[١] والتكريرِ[٢]، كذلكَ يَتَّصلُ بصيغةِ ((فعَّلَ)) ما يوافقُها في البناءِ من اسمِ فاعلٍ إذ يُدرَّجُ اسمُ الفاعلِ المُضعَّفُ العينِ في سياقِ صيغِ المبالغةِ[٣]، وهذا إيحاءٌ بأنَّ عمليةَ المُعالجةِ – التي اتخذها الرسولُ ﷺ وظيفةً له والتي هي عبارةٌ عن إيصالِ مؤثراتِ التذكيرِ للأسماعِ لأنْ تَصلَ إلى العقولِ المتجمدةِ والخاملةِ بتحفيزها وتنشيطها والنهوضِ بها بإعادةِ الحياةِ إليها بأنْ تُدركَ وتُبصرَ الحقائقَ التي تُعايشها، والتي هي آياتٌ لوحدانيةِ اللهِ، للاستقرارِ بالإيمانِ في قلوبِ أصحابِها وفَوزِهم بكلتا الحياتينِ، – لا تتأتى على نحوٍ سهلٍ، بلْ تحتاجُ إلى التكلُّفِ والاجتهادِ والتكثيرِ والدوامِ والاستمراريةِ المستمدَّةِ من قرينةِ الطلبِ (فذكِّرْ)، لأنَّ الأمرَ ((مستعملٌ في طلبِ الاستمرارِ والدوامِ))[٤]، بالإضافةِ إلى قرينةِ الاسميةِ في التركيبِ، فـ ((الجملةُ الاسميةُ إذا كان خبرها اسماً فقد يقصدُ بها الدوامُ والاستمرارُ الثبوتي بمعونةِ القرائنِ))[٥]، والقرينةُ هي الحصرُ والنفي بـ (إنَّما) لأنَّ الجملةَ الاسميةَ تدلُّ بمعونةِ المقامِ على الدوامِ والثبوتِ، وإذا دَخَلَ فيها حرفُ النفي دلَّتْ على دوامِ الانتفاءِ لا على انتفاءِ الدوامِ[٦]، وهناكَ التفاتةٌ أُخرى بالنظرِ في ((فَعَّلَ)) والتي من معانيها: ((النقلُ، والجعلُ، والإزالةُ، والسلبُ))[٧]، فهي تجعلُنا نُقرُّ بأنَّ الأصلَ كذلك لا يخلو من المشاركةِ فيما سَبَقَ من عمليةٍ، لـ ((أنَّ استخدامَ الكلماتِ يجبُ أنْ يأتي مُتطابقاً، معنىً ومبنىً))[٨]، فالمعنى وظيفةُ المبنى[٩]، كما أنَّ الأمرَ في (فَذكِّرْ)، والذي هو طلبُ حصولِ شيءٍ بعدَ زمنِ التكلُمِ، [١٠]، يُعدُّ قرينةً بثبوتِ ما أتصفَ بهِ الرسولُ ﷺ ودوامِه، ووظيفةُ التذكيرِ في الدنيا والآخرةِ تتمثَّلُ بتذكيرِ الذينَ تولَّوا وكفروا واعترضوا عمَّا كانَ يُذكِّرُهُم ﷺ في الدنيا، أي أنَّ القرينةَ هذهِ تُعيِّنُ دلالةَ الحالِ والاستقبالِ لـ (مُذَكِّرٌ) أمَّا عمليةُ المُعالجةِ فيمكنُ تَمثيلَها بما يأتي:

التَّذَكُّر ← طَرْقُ الأسماعِ (الأذان) ← تحفيزُ العقلِ على الإدراكِ والتفكيرِ ←

التبصيرُ بالماديات ← استجابةُ القلبِ للمعنوياتِ وهي (الإيمان) بحديثِ الغاشيةِ.

---

(١) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٥١، وشرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٢٥١.

(٢) يُنظر: سرُّ الفصاحة: ٣٥.

(٣) سرُّ الفصاحة : ٣٥، وسنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير:٣٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٦.

(٥) الكليات: ١٠١٠.

(٦) م . ن : ١٠١٠.

(٧) يُنظر: الممتع الكبير في التصريف: ١٢٩، والمبدع في التصريف: ١١٢–١١٣، وشرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٢٥١–٢٥٣، والتعريف بالتصريف: ٩٠.

(٨) المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية: ٢١٨.

(٩) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٩.

(١٠) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٠٤.

الوصف المتعدد في ثنائيات متضادة، والواقع في تركيب استفهامي:

قال تعالى في وصفِ رسولِه الكريمِ ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[1]، ما يُمكنُ أنْ يستشفَّ من التراكيبِ الوصفيةِ المذكورةِ في الآياتِ السابقةِ المُتضمِّنةِ لِثنائياتٍ مُتضادةٍ هو المبدأُ الَّذي نَشَأَ عليهِ الرسولُ ﷺ، والَّذي يُمْكِنُ أنْ يُتَّخَذَ أُسوةٌ حسنةٌ للبشريةِ جميعاً، كونُهُ جامعَ العواملِ التي تُبْنى عليها الشخصيةُ الاجتماعيةُ الناجحَةُ، تلكَ التي يجمعُها مصطلحٌ عامٌ هو ((السَّلبُ والإيجابُ))، ويُماثِلُهُ: ((العسرُ واليسرُ)) المُجسدانِ لفطرةِ الحياةِ المُتَميِّزةِ بوظيفةِ السَّلبِ إنْ تَمكَّنَتْ من الإنسانِ بِبَطشِها، وفَرْضِ سُلطَتِها عليهِ، أمَّا تَصويرُ التراكيبِ الوصفيةِ بِثُنائياتِها لذلكَ المبدأِ فَتَكمُنُ في إبرازِ نِقاطِ الضَّعفِ في الإنسانِ، وتشخيصِها أو الكشفِ عن الأحوالِ التي يَمُرُّ بِها، والتي تُعَدُّ منافذَ جيدةَ أو مَواضعَ سهلةً تَتَمكَّنُ الحياةُ من خلالِها أنْ تَخْرِقَ الإنسانَ وتسلُبَ منْهُ العزَّ، فضلاً عن أنَّها بَيانٌ لِما يُؤدي إلى تقويةِ الإنسانِ لِيَتَمَكنَ منْ مواجهةِ الحياةِ، وماعدا ذلكَ فإنَّ تلكَ التراكيبَ المذكورةَ هي مواساةٌ وتقويةٌ لنفسيةِ الرسولِ ﷺ وسكينةٌ واطمئنانٌ لقلبِهِ الكريمِ وللمُهتَدينَ بهديِه، فما جاءَ في التراكيبِ يُمَثِّلُ أحرجَ اللحظاتِ وأقصاها في الحياةِ التي تستطيعُ الحياةُ من خلالِها أنْ تَتَخِذَ من الإنسانِ فريسةً لها، كما يُمَثِّلُ الزمنُ غايَتَهُ وأقصاهُ في أداءِ وظيفةِ المُعالجةِ لتلكَ اللحظاتِ الحرجةِ السالبةِ بالإنسانِ، أي أنَّ ما وردَ في التراكيبِ من الأوصافِ السالبةِ تُمَثِّلُ وباءً في حياةِ الفردِ، إنْ لم تأتِ المعالجةُ في وقتِها، فالسِّمةُ التي تَتَمَيَّزُ بِهِ التراكيبُ الواصفةُ هي اصطباغُها بالزمنِ، تلكَ السِّمةُ تُبرِزُ لَنا أهميةَ الوقتِ في إصلاحِ الحياةِ وفسادِها. وما سَبَقَ يُمَثِّلُ الوجهَ العامَ لدلالاتِ التراكيبِ، أمَّا جُزئيَّاتُ الدلالةِ فَتَنْبعِثُ من جزئياتِ التراكيبِ، فابتداءُ التراكيبِ بالاستفهامِ الداخلِ على النفي: (ألم) المرادِ بِهِ كلٌّ: من التقريرِ[2]، الَّذي هو ((حَمْلُ المُخاطَبِ على الإقرارِ، أي الاعترافُ بِثبوتِ ما بَعدَها))[3]، وأداءُ التقريرِ بصورةِ الاستفهامِ، لأنَّهُ أوقعُ في النفسِ، وأدلُّ على الإلزامِ[4]والإنكارِ[5]، فكون ((حقيقة استفهام التقريرِ أنَّهُ استفهامُ إنكارٍ، والإنكارُ نفيٌ، وقد دَخَلَ على المنفي، ونفي المنفي إثباتٌ)) [6].

---

(١) الضحى: ٦–٨.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٩/ ١٧٠، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٣٩، وأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: ١٦٥.

(٣) همع الهوامع: ٢/ ٤٤٦، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٣١، والجنى الداني: ٣٢.

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها/ علم المعاني: ١٩٠.

(٥) إرشاد العقل السليم: ٩/ ١٧٠.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٣٣، وشرح المفصل: ٥/ ١٠٠.

وكذلكَ يُرادُ بِهِ التذكيرُ[1]، والتنبيهُ[2]. وما سَبَقَ يوحي بِدلالتينِ هما: الردُّ على مَنْ أدَّعى أنَّ اللهَ ودَّعَ محمداً وقلاهُ، وهم أعداءُ محمدٍ ﷺ كونُ الخطابِ يقرعُ أذانَهُم بصورةٍ غيرِ مباشرةٍ، ومباشرةُ الخطابِ لمحمدٍ ﷺ تنفيسٌ عن نَفَسِهِ المهمومِ بِمواساتِهِ وتقويتِهِ بالعزمِ، كما أنَّ دلالةَ التنفيسِ عن النفسِ مُستوحاةٌ من الثنائياتِ المُتضادةِ (يتيماً فأوى)، و(ضالاً فَهَدَى)، و(عائلاً فأغنى)، وتكمُنُ مُشاركَةُ: (يتيماً فآوى) في وظيفةِ التفريجِ عن الهَمِّ، أنَّ (يتيماً) يأتي ليَدُلَّ على الَّذي ماتَ أبوهُ حتَّى يَبلُغَ، وهو كلُّ مُنفَرِدٍ ومُنفَرِدةٍ عندَ العربِ[3]، واليَتَمُ: الحاجَةُ[4]، واليَتْمُ: الهَمُّ[5]، فالرابطُ بينَ كلِّ هذهِ الدلالاتِ هو الهَمُّ والحَزَنُ، أمَّا في الإفراجِ عنهُ فتأتي (أوى) لِتُفرِغَ عن ذلكَ الهَمِّ والحَزَنِ بِما يَحْمِلُهُ من دلالاتٍ تَقْتَرِبُ لأنْ تكونَ مُداواةً لآثارِ نظيرِهِ بنحو: تأوّى الجُرحُ، وأوى، وتآوى، وآوى: إذا تقاربَ للبُرءِ[6]، وأوى فلانٌ إلى مَنْزِلِهِ يأوى أوياً، وتأوّتِ الطيرُ تأوِّياً: تجمَّعتْ[7]، وأوّيتُ تأويةً: نزلتُهُ بنفسي، سكنْتُهُ[8]، والمأوى: كلُّ مكانٍ يأوي إليهِ شيءٌ ليلاً أو نهاراً[9]، ومِن حيثُ الصيغةُ ودلالةُ التنفيسِ عن النفسِ أو مَبدأُ الإيجابِ بَعْدَ السلبِ يأتي (أوى) بِصيغةِ: ((فَعَلَ))، التي من إحدى دلالاتِها الاستقرارُ[10]، كما أنَّ المغالبةَ التي تُعَدُّ من دلالاتِ صيغةِ ((فَعَلَ)) – توحي بِدلالةِ الإيجابِ، والمرادُ بالمغالبةِ ((أنْ يقصدَ كلُّ واحدٍ من الاثنينِ غلبةَ الآخرِ في الفعلِ المقصودِ لهما، فَيُسنَدُ الفعلُ إلى الغالبِ منهُما))[11]، والمغالبَةُ بينَ (يتيماً) – وهو ((فعيلٌ)) – وبَينَ (أوى) تكمُنُ في أنَّ ((فعيلاً)) إنْ دلَّتْ على الصفةِ المشبَّهةِ فتُحاولُ التغلُّبَ على صاحِبِها بِأنْ تُبقيَ آثارَها، فيهِ وأنْ تُثبِتَ بِنفسِها لأنْ تكونَ لازمةً، لأنَّ ((فعيلاً)) تدُلُّ على الثبوتِ واللزومِ[12].

وصيغةُ ((أفعَلَ)) في (أوى) تأتي لأنْ تعمَلَ بِاتجاهِ مُضادٍ لـ ((فعيلاً)) قَصَدَ المغالبةِ والإنهاءِ بِها، بأنْ يُنقِذَ صاحِبَها من التشرُّدِ والاضطرابِ نحو السكونِ والاستقرارِ، أمَّا إنْ دلَّتْ صيغةُ ((فعيلاً)) في

---

(١) يُنظر: الجنى الداني: ٣٢، والبرهان في علوم القُرآن: ٤/ ١٧٩، والإتقان: ٤/ ١٠٠٦.

(٢) يُنظر: حاشية شيخ زادة: ٨/ ٦٤٤، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٧٩، والإتقان: ٤/ ١٠٠٦.

(٣) تهذيب اللغة: ١٤/ ٣٤٠، مادةُ: يتم، ولسان العرب: ٦/ ٤٩٤٩، المادةَ نفسها.

(٤) لسان العرب: ٦/ ٤٩٤٩.

(٥) القاموس المحيط: ١١١٨.

(٦) تهذيب اللغة: ١٥/ ٦٥١، مادة: أوى، ولسان العرب: ١/ ١٨٠، المادةَ نفسها.

(٧) الصحاح: ٦/ ٢٢٧٤، ولسان العرب: ١/ ١٨٠، مادةُ: أوى.

(٨) لسان العرب: ١/ ١٧٩.

(٩) الصحاح: ٦/ ٢٢٧٤.

(١٠) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٤٢.

(١١) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٢٤٠.

(١٢) معاني الأبنية في العربية: ٩٨.

(يتيماً) على المبالغةِ المرادِ بها ((التكثير وتكرير أصل الفعل))[1]، فيدُلُّ (يتيماً) على الكثرةِ وتكرارِ حدثِ التعرُّضِ للتشرُّدِ والاضطرابِ والحاجةِ والهَمِّ الناجمِ عن ذلكَ، ويأتي (أوى) بدلالتِه وصيغتِه لِتُقَلِّلَ من حدَّةِ ذلكَ الفعلِ، أو تُنْهيَ بآثارِه، فضلاً عن أنَّ حذفَ المفعولِ بِهِ – لأنَّ التقديرَ: ((فآواكَ)) – إكرامٌ للرسولِ ﷺ. و(يتيماً) يَستقرُّ لأنْ يكونَ صفةً مشبّهةً وصيغةً مبالغةً كونُ أصلِ الفعلِ فيهما هو: ((يَتِمَ)) على زِنَةِ ((فَعِلَ)) التي يستوي فيها اللزومُ والتعدي[2]، والّذي يُرجِحُ كَفَّةَ إحدى الدلالتينِ على الأُخرى هو قرائنٌ مقاليّةٌ بِنحوِ أنَّ ((لزومَ (فَعِلَ) أكثرُ من تعدِّيه، ولذا غَلَبَ وضعَهُ للنعوتِ اللاّزمةِ وللأعراضِ والألوانِ وكِبرِ الأعضاءِ، وقد يُشاركُ (فَعُل)، ويغني عنهُ لُزوماً في اليائي اللامِ، وسماعاً في غيرِه))[3]، إذاً (يَتيماً) صفةٌ مُشبَّهةٌ، أي أنَّ اللهَ مُنذُ أنْ أوجدَكَ فقد لازمَكَ صفةُ ((اليُتمِ))، وأصبحتْ فيكَ ثابتةً، ذلكَ أنَّ والدَ الرسولِ ﷺ ماتَ وهو جنينٌ قد أتتْ عليهِ ستةُ أشهرٍ[4]، والتي تُعيِّنُ دلالةَ ثبوتِ تلك الصفة هي الأداةُ: (لم) التي تَجزِمُ الفعلَ المضارعَ وتَصرِفُ معناهُ إلى المَضي وتقطعُ اتصالَهُ بالحالِ[5]، أي أنَّ هذهِ الصفةَ كانتْ موجودةٌ فيكَ، ولكنَّ اللهَ تعالى قد قَطَعَها في زمنِ الحالِ، ودلالةُ قطعِ الصفةِ بزمنِ الحالِ مستمدَّةٌ من (الفاءِ) العاطفةِ[6]، المفيدةِ للترتيبِ والتعقيبِ[7]، الموحيةِ بدلالةِ السرعةِ ((الفور))[8] في التنفيذِ، أي: عَقِبَ حَدَثُ اليُتْمِ حَدَثَ الإيواءُ: (فأوى)، وهذا مواساة له ﷺ والسرعةُ في قضاءِ الحاجةِ إيحاءٌ بالمكانةِ المُتميِّزةِ للرسولِ ﷺ. وما يَحْتَلُهُ (يتيماً) من محلٍ في التركيبِ يتلاءمُ وكونه ((حالاً))[9]، وليس مفعولا ثانيا[10]، لـ(يَجِدْكَ)، لأنَّ التركيبَ يُعَبِّرُ عن أحوالٍ مُتنقلةٍ مرَّ بها ﷺ، لا عَنْ حدثِ وقوعِ ((اليُتْمِ))، فَحدَثُ اليُتْمِ كانَ قبلَ حدثِ الوجودِ إلى الدُنيا، وذلك بتقدير: ألم يأتِ بِكَ إلى الوجودِ وقد لازمَكَ اليُتْمُ. وفضلاً عن ذلكَ فإنَّ (فأوى) يُعدُّ قرينةَ مُساعدةَ لأنْ يكونَ (يتيماً) حالاً مُتنقلةً، كونه مغيِّراً ما كانَ عليهِ ﷺ. أمَّا مجيءُ (يَتيماً) بِصيغةِ الثبوتِ والدوامِ وهي ((فعيلٌ)) فلكونها صفةَ مشبهةَ، لأنَّ مَنْ يَفقُدُ الأبَ يَفتقِرُ إلى البِرِّ والعطفِ والحنانِ والسندِ، فيبقى ذلكَ أثراً كجُرحٍ يُلازِمُ صاحِبَهُ لا يلتئِمُ مهما تداوى، أو خُفِفَ عَنْهُ من

---

(١) يُنظر: الصرف الواضح: ١٥٨.

(٢) يُنظر: الممتع الكبير في التصريف: ١٢٤، والمبدع في التصريف: ١٠٨.

(٣) شرح التسهيل: ٣/ ٤٣٨.

(٤) الكشاف: ٤/ ٧٥٦، والبحر المحيط: ٨/ ٤٨١.

(٥) يُنظر: شرح المفصل: ٥/ ٣٤، والجنى الداني: ٢٦٧.

(٦) حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٩٩، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٥/ ٣٥٣.

(٧) يُنظر: المقتضب: ١/ ١٤٨، وبصائر ذوي التمييز: ٤/ ١٥٨، والطراز: ٢/ ٢٥.

(٨) إعراب القرآن وبيانه: ٤/ ٥٩٧.

(٩) إرشاد العقل السليم: ٩/ ١٧٠، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٩٩.

(١٠) إرشاد العقل السليم: ٩/ ١٧٠، وحدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٩٩.

آلامه، فَسَمُّوا الراشدينَ الذينَ ماتَ آباؤهُم في صغرِهم: ((يتامى)) بَعْدَ بلوغِهم وإيناسِ رُشدِهم، لِلزومِ اليُتْمِ إيَّاهُم[1]. وفيما يَخُصُّ ثُنائيتي: (ضالاً فَهَدى) و (عائلاً فَأغنى) في التركيبِ وما تؤديانِ من وظيفةِ التنفيسِ عن النفسِ وتحقيقُ مبدأِ السلب والإيجاب، لا يَقُلُّ ما أدَّتْهُ الأولى، فماعدا الوحدات ودلالاتها وصيغها فإنَّ ((الواو العاطفة))[2]، المفيدة للجمعِ والإشراك[3]والترتيب[4]، هي المُوضحةُ لتلكَ الوظيفةِ، ومِنْ حيثُ الدلالةُ فما يَجمعُ الأوصافَ الثلاثةَ: (يتيماً، ضالاً، عائلاً) هو دلالةُ ((الافتقارِ)) وما تؤديه الأفعالُ الثلاثةُ: (أوى، هدى، أغنى) من حيثُ الصيغةُ والدلالةُ وبِنيةُ التشكيلِ الصوتي فيها هو وظيفةُ المعالجةِ لذلكَ الافتقارِ، فصيغةُ ((فَعَلَ)) في (أوى وهدى) تأتي بدلالةِ ((الاستقرارِ والإعطاءِ والمنحِ والامتناعِ والدفعِ والإصلاحِ))[5]، وصيغةُ ((أفْعَلَ)) في (أغنى) من دلالاتها: ((الإعانةُ والكثرةُ والصيرورةُ))[6]، وهذه الدلالات تَصْلَحُ لأنْ تكونَ عِلاجاً لـ (يتيماً، وضالاً، وعائلاً)، وانتهاءُ الأفعالِ الثلاثةِ بالحركةِ الطويلةِ ((الألف الممدودة))[7]، المتميزة بالامتدادِ والاستطالةِ واتساعِ المُخرجِ[8]، بالرَغْمِ من أنَّها روعيتْ فيها الفاصلةُ القرآنيةُ[9]، إلاَّ أنَّها تَنسجِمُ ومبدأَ التنفيسِ عن النَفَسِ المهمومِ. أمَّا العدولُ عن صيغةِ الأوصافِ من الثبوتِ والدوامِ بنحو: ((فعيلاً)) في (يتيماً) كونها صفةً مشبهةً، إلى الحدوثِ على سبيلِ الانقطاعِ والتجدُّدِ بنحو: ((فاعلاً)) في (ضالاً وعائلاً)، كونها اسمَ فاعلٍ – فذلك إيحاء بأنَّ الصفتينِ: (ضالاً) و(عائلاً) حالانِ من الأحوالِ المتنقلةِ، التي تطرأُ على الإنسانِ وتمحو، وتزولُ بزوالِها، فهي ليستْ ثابتةً بأنْ تدومَ مع الإنسانِ، والحدوثُ فيها يكمُنُ في أنَّ الرسولَ ﷺ كان باحثاً عن الهُدى، لأنَّ الضالَّ أي: ((الضائِعَ))[10]، يبحَثُ عن طريقٍ يلتمسُ فيه وجِدانَ نفسِهِ، والعائِلُ أي: ((المُفْتقِرُ إلى الشيءِ))[11]، يبحثُ عن طريقٍ يقضي بهِ ما يَفْتَقِرُ إليهِ.

---

(١) تهذيب اللغة: ١٤/ ٣٣٩.

(٢) حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ١٠٠، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٥/ ٣٥٤.

(٣) المُقتضب: ١/ ١٤٨، ودلائِلُ الإعجاز: ١٤٩، ونهايةُ الإيجاز في درايةُ الإعجاز: ١٩٧.

(٤) يُنظر: همع الهوامع: ١٥٦/٣، وشرح شذور الذهب: ١/ ٨٠١.

(٥) يُنظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٤٢.

(٦) م . ن: ٣/ ٤٤٩.

(٧) يُنظر: علم الأصوات، كمال بشر: ١٦٤، ودروس في النظام الصوتي للغة العربية: ٣٩.

(٨) علم الأصوات: ٢٢١.

(٩) روح المعاني: ٣٠/ ١٦٣، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٠٠.

(١٠) تهذيب اللغة: ١١/ ٤٦٣، مادةُ: ضلل، والصحاح: ٥/ ١٧٤٨، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٣٨٩.

(١١) معاني القرآن الفراء: ٣/ ٢٧٤، وتهذيب اللغة: ٣/ ١٩٤، مادةُ: عال، والصحاح: ٥/ ١٧٧٩، والبحر المحيط: ٨/ ٤٨١، وروح المعاني: ٣٠/ ١٦٣، والتفسير البياني للقرآن الكريم: ٤٧/١.

نتائج البحث

نتائجُ البحثِ

ما توصَّلَ إليهِ هذا البحثُ المتواضعُ يُمكنُ إجمالُهُ فيما يأتي:

- اللغـةُ بِوحـداتِها وقواعـدِها ذاتُ طبيعـةٍ مرنـةٍ، تلـكَ الميـزةُ جعلتْهـا تتجـاوَبُ مـعَ المواقـفِ الكلاميَّـةِ اللامحدودة، وهي الوحيدةُ بين الوسائلِ المالكةُ لِهذهِ الخاصيَّةِ المُتجسدة صورتُها في التراكيبِ.
- الوظيفةُ الدلاليةُ للصـوتِ اللغـوي مُكتسـبَةٌ مـن السـياقِ الباعِـثِ للدلالـةِ والمُنشِـىءِ للتركيـبِ، فبِـدونِ السياقِ لا يُمكنُ أنْ يتميَّزَ الصوتُ اللغوي بالوظيفةِ الأدائيةِ للغرضِ الكامنِ في التركيبِ.
- لِكونِ الوصفِ عبارةٌ عن عادةٍ فعليةٍ أو حدثٍ فعلي مُتكررٍ ومستمرٍ حتَّى أصبحَ صفةً أو طبعـاً مُلازِمـاً لِصاحِبِهِ إذاً، الفعلُ يعطي دَلالة الوصف داخل التركيبِ.
- التعدي في الأفعالِ يُوحي بالتكلُّفِ والاجتهادِ في أدائِه.
- ليستِ الكلِمةُ وحدَها لا تستقرُّ دَلالَتُها خارِجَ التركيبِ فحسب، بلِ التركيبُ كذلكَ لا تَستقرُ دلالتُهُ خارِجَ السياقِ، فالتركيبُ كقطعٍ مِن نسيجٍ مِن بينِ الأنسجةِ البشريةِ في أي عضوٍ مِن أعضائِه، فوجـودُهُ بـينَ الأيدي لا يساوي شيئاً، ولا يعبِّرُ عن شيءٍ، ولا يُجسدُ صـورةً حقيقيـةً لـذلك العضـوِ إلاَّ بوجـودِهِ بـينَ الأنسجةِ كاملةً، هكذا حالُ التركيبِ، مهما تَعَقَّدَتْ أو تَرَتَّبَتْ وحداتُهُ اللغويةُ مِن حيثُ الأقيسةُ النحويـةُ فهو لا يُمثِّلُ شيئاً، ولا يؤدي غرضاً دلاليَّاً في المنظورِ الفردي التحليلي إنْ فُصِلَ عن السياقِ، فالسياقُ هو المُثيرُ لتوليدِ التركيبِ والمُساعِدُ لِتفكيكِه.
- إنَّ القرائنَ الكاشفةَ عَن أسرارِ التركيبِ لا تُحصى و لا تُعيَّنُ مِن حيثُ العددُ والنوعيةُ، فَكُلُّ مـا يُشـارِكُ في وظيفةِ البيانِ يُعَـدُّ قرينـةً، وصـورةُ القـرائنِ كالحلقـةِ المُتسلسـلةِ المُتتابعـةِ لِبعضِـها الـبعضِ داخِـلَ التركيبِ فَكَشفُ إحداها عـنِ الغـرضِ الكـامنِ في التركيـبِ يـؤدي بـالأُخرى لأنْ تكشِـفَ عـن الأغـراضِ الأُخرى الكامنةِ داخِلَ التركيبِ.
- التركيبُ ذو وظيفةٍ ازدواجيَّةٍ، أي وصفٌ لِحـالِ المُخاطِـبِ والمُخاطَـبِ، تِلـكَ الميـزَةُ تُضـفيها الأدواتُ ، فالأدواتُ لا تخلو من وظيفـةِ الكشـفِ عـن الطبـائعِ أو السـلوكِ البشـري، فكثـرةُ ورود أدواتِ التوكيـدِ والتعليلِ والاستدراكِ إيحاءٌ بطبيعةِ التردُّدِ والشَّكِ في نفسيةِ المُخاطَبينَ، وإبرازٌ للجهلِ السـائدِ والطبيعـةِ العدوانيةِ المُصطبِغةِ بِها الأقوامُ في تعامُلِهِم معَ أنبيائِهم ورُسُلِهِم المبعوثينَ رحمةً لهُم.
- يُعدُّ النصُ القُرآني كُلاًّ لا يتجزَّأُ، لأنَّهُ يهدفُ إلى غايـةٍ واحـدةٍ مـعَ تنـوعِ مظـاهرِ تعـبيرِه، وينطلِـقُ مـن فلسفةٍ مُنسجمةٍ، وإنْ تبيَّنَ للناظرِ إلى سطحِ الأمورِ تنـوعٌ في القضـايا والمسـائِلِ، فيجـبُ أنْ يُلحـظَ أنَّ

الآياتِ التي نزلَتْ لِقضيةٍ واحدةٍ، وإنْ وجِدتْ في مواطنَ مُتفرِّقةٍ من المصحفِ – لها ثابتٌ بنيوي تنطلقُ منهُ لِتفصيلِه، أو تكميلِه، أو تبيينِه، أو تقييدِه، لكنَّهُ مهما كانتِ الحالُ فإنَّها لا تُناقضُهُ.

- التراكيبُ الدالةُ على وصفِ أولي العزمِ من الرُّسُلِ بمُتَمِّماتِها المُسمَّاةِ بالقيودِ والمُخصصاتِ تُبرِزُ لنا الطبيعةَ الحدثيةَ أو الفعليةَ، وتُجسِّدُ لَنا مراحلَ الانتقالِ في سلوكِ هؤلاءِ الرُّسُلِ ونشاطِهِم وحيويَّتِهِم معَ أقوامِهِم، وكيفيَّةَ تجاوزِهِم للمراحلِ الصعبةِ في حياتِهِم.
- لا تخلو حركةٌ مُشاركةٌ في التركيبِ من أداءِ وظيفةِ استكمالِ الصورةِ الدلاليةِ المُحَقِقةِ للغرضِ، فالوظيفةُ مُقسَّمةٌ على الكلِّ، حيثُ تُحفِّزُ إحداها الأُخرى لِتفريغِ الشُحنةِ الدلاليةِ منها.
- النحو هو الَّذي يُكسبُ كُلَّ وحدةٍ لغويةٍ شفرةً ((cod)) بحيثُ تتجاوبُ لِبعضِها البعضِ استجابةً لمُقتضياتِ الأحوالِ والمقاماتِ المُختلفةِ، وذلك بترتيبِ الوحداتِ اللغويةِ المُتجاوبةِ لِبعضِها داخلَ التركيبِ المؤدي لِغرضِ المقامِ، فيؤدي ذلكَ إلى عمليةِ التواصلِ والاتصالِ أو الإعلاميةِ، وهذا يؤدي إلى أنَّ للسياقِ أو مقاماتِ الكلامِ شفراتِها المُماثِلَةَ لِشفراتِ الوحداتِ الكلاميةِ، وهذا ما يُحقِّقُ الاستجابةَ التامَّةَ، ويمنعُ من التباسِ مقامٍ بِآخرٍ.
- للنحوِ وظيفتانِ هما: وظيفةُ الإنشاءِ لانطباعاتِ العقلِ داخلَ إطارِ التراكيبِ، ووظيفةُ التفكيكِ والتحليلِ لِهذهِ الانطباعاتِ ومعرفةِ كُنهِها ضمنَ السياقِ.
- إنَّ إسنادَ الدلالةِ للتراكيبِ من حيثُ النمطيةُ والانزياحيَّةُ قد جاءَ على أساسٍ أو من مُنطَلَقِ البيئةِ والسياقِ، أي لم يُحدِّدْها المعيارُ والمنطقُ، فالظاهرةُ هذهِ تَخُصُّ كذلك كُلَّ ما يَحملُ دلالةً، فمثلاً يُقالُ: إنَّ المصدرَ هو اسمُ الحدثِ المجردِ من الزمانِ، فإنَّ ذلكَ التعريفَ مأخوذٌ من السياقِ وليسَ مجرداً عَنْهُ، والدليلُ على ذلكَ إسنادُ الوظيفةِ والدلالةِ للأدواتِ فلو لم يكُنْ كذلكَ فكيفَ حُدِّدَتْ لها الوظائفُ وحُدِّدَ لَها وجوهُ الاختلافِ والتباينِ فيما بينها في تراكيبٍ مُختلفةٍ؟
- لا يقتصرُ الوصفُ مِنْ حيثُ الموقعُ والثبوتُ في صاحبِهِ على النعتِ فقط، وإنَّما يتعدَّى لِيَشمَلَ كُلاً من الحالِ والخبرِ والمفعولِ والفاعلِ والفعلِ، فالتعدُّدُ في أشكالِ الوصفِ يأتي لتحقيقِ أغراضٍ تقتضيها المقاماتُ المُختلفةُ.
- ليسَ هُناكَ من الوحداتِ اللغويةِ في التراكيبِ الدالةِ على الوصفِ ما يؤدي الوظيفةَ بصورةٍ غيرِ مُباشرةٍ، أي إنَّ الوحداتِ المُشاركةَ في التركيبِ لا تخرُجُ عنْ وظيفتِها الأصليةِ إلى أداءِ وظيفتِها بصورةٍ غيرِ مُباشرةٍ، بلْ كُلُّ وحدةٍ لغويةٍ تؤدي ما تحملُه من وظيفةٍ بِأدقِ صورةٍ وأتمِها.
- ما دامتِ التراكيبُ تشكَّلَتْ لأجلِ إبرازِ وصفٍ من الأوصافِ لأولي العزمِ من الرُّسُلِ، تُصبِحُ تلكَ التراكيبُ وصفاً بِكاملِها، لأنَّ المفردةَ لا تتمكَّنُ من أداءِ وظيفةِ الوصفِ أو التصويرِ الحقيقي من دونِ

ما تآلُفِ ما حولَها من الأدواتِ والوحداتِ اللغويةِ الأُخرى، لأنَّها هي التي تُعيِّنُها وتوجِّهُها لاستكمالِ وظيفتِها التصويريةِ، فتِلكَ الوحداتُ – إلى جانبِ وظيفتها الوصفيةِ – تؤدي وظائِفَ أُخرى مُحققةً أغراضاً أُخرى للوصفِ.

- العلاقةُ السببيةُ أو التعليليةُ القائمةُ بينَ التراكيبِ الدالةِ على الوصفِ وما تسبقُها من الآياتِ، وما تلحقُها تُشكلُ شبكةً مُتماسِكةً ومُنسجةً ومُتلائِمةً، فكأنَّما هي بُنيانٌ مرصوصٌ يشدُّ بعضَهُ بعضاً.
- لا تقتصِرُ أهميةُ الإعرابِ على تمييزِ العناصِرِ اللغويةِ مِنْ حيثُ الوظيفةُ، بلْ تتعدَّى لِتشمَلَ التمييزَ الدلالي.
- الخِطابُ القُرآني في الغايةِ من الدِقةِ من حيثُ مُراعاتُهُ لِمُقتضياتِ الأحوالِ التي تستدعيها الأنفسُ في مقاماتِها المُختلِفةِ.

المصادر والمراجع

المصادرِ والمراجعِ

القُرآن الكريم

١- اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش، ترجمة: الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، والدكتورة وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى (ت١٣٨٢هـ)، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

٤- إحياء النحو والواقع اللغوي، دراسة تحليلية نقدية، الدكتور أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٥- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: الدكتور رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٧- الأزهية في علم الحروف، الهروي: علي بن محمد النحوي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٩٣م.

٨- أساس البيان، كلمات ومعاني القرآن، صبري محمد موسى، ومحمد فايز كامل، دار الخير، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

٩- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، الدكتور صباح عبيد درانة، مطبعة الأمانة، القاهِرة، ط١، ١٩٨٦م.

١٠- أساليب النفي في العربية، دراسة وصفية تاريخية. الدكتور مصطفى النحاس، الكويت، ١٩٧٩.

١١- أسباب النزول، السيوطي (ت٩١١هـ) ، دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م.

١٢- استخدامات الحروف العربية معجمياً، صوتيًّاً، صرفياً، نحوياً، كتابياً، سليمان فياض، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٨م.

١٣- أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني: عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، علق حواشيهِ: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لِما فيه من الحجة والبيان، الكرماني: محمود بن حمزة (ت٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د.ت.

١٥- أسرار العربية، ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ت.

١٦- أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، الدكتور صباح عبيد درانة، مطبعة الأمانة، القاهِرة، ط١، ١٩٨٦م.

١٧- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضهُ وإعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، مكتبة الغزالي، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

١٨- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، الدكتور عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.

١٩- الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٠- اشتقاق أسماء الله، الزجاج: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين المبارك، مطبعةٌ النعمان، النجف، ١٣٩٤هـ.

٢١- أصول علم النفس، الدكتور أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط٧، ١٩٦٨م.

٢٢- الأصول في النحو، ابن السراج: أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

٢٣- الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، الأستاذ الدكتور عمر الساسي، عالم الكتب الحديث، إربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٤- إعجاز القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط٥، ٢٠٠٤م.

٢٥- إعراب القرآن، النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٢٦- إعراب القرآن، زكريا الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد المصري الشافعي(ت٩٢٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٧- إعراب القرآن الكريم وبيانُهُ، الأستاذ محيي الدين الدرويش (ت١٤٠٢هـ)، دار ابن كثير، واليمامة، بيروت – دمشق، ط٧، ١٩٩٩م.
٢٨- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩٣م.
٢٩- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الدكتور فاضل مصطفى الساقي، تقديم: الأستاذ الدكتور تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
٣٠- الألسنية، محاضرات في علم الدلالة. الدكتور نسيم عون، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٣١- الأمالي في المشكلات القرآنية، الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٧هـ)، شرحهُ: أحمد بن الأمين الشنقيطي، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر، القاهِرة، ط٢، ١٩٣٥م.
٣٢- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، الدكتور خالد ميلاد، نشر مشترك: جامعة منوبة و مؤسسة العربية، تونس، ط١، ٢٠٠١م.
٣٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٧٩١هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد وياسر سليمان أبو شادي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.
٣٤- أُولو العزم من الرسل، عمر أحمد عمر، دار حسان / دمشق، ط١: ١٩٨٨م.
٣٥- أُولو العزم من الرسل، مأمون غريب، مركز الكتاب، القاهرة، د.ت.
٣٦- الأيات القرآنية المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم، دراسة بلاغية وأسلوبية، الجميلي: عدنان جاسم محمد، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية/بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٧- إيجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري: محمود بن أبي الحسن بن الحسين (ت٥٥٣هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
٣٨- الإيضاح، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفَّار النحوي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
٣٩- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.
٤٠- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرحهُ: محمد عبد المنعم الخفاجي، المكتبة الأزهرية، دار التوفيق، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م.

٤١- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، بيان الحق: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي (ت٥٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٧م.

٤٢- البحر المحيط، أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٤٣- بدائع الفوائد، ابن قيِّم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، بيروت، د.ت.

٤٤- البرهان في تناسب سور القرآن، الثقفي: أحمد بن إبراهيم الزبير (ت٧٠٨هـ)، تحقيق: الدكتور سعيد بن جمعة الفلاَّح، دار ابن القيم الجوزية، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

٤٥- البرهان في علوم القرآن، الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

٤٦- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الزملكاني: كمالَ الدين عبد الواحد بن عبد الكريم (ت٦٥١هـ)، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي، والدكتور أحمد مطلوب، مطبعةُ العاني، بغداد، ١٩٧٤م.

٤٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، والأستاذ عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٤٨- بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، الأستاذ الدكتور توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.

٤٩- بلاغة العطف في القرآن، دراسة أسلوبية، الدكتور عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٥٠- البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، الدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط١٠، ٢٠٠٥م.

٥١- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، الدكتور فضل حسن عباس، ، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٨٩م.

٥٢- بنية الجملة ودلالاتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تركيبية تطبيقية، الدكتور محمد كراكبي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٣- البنيوية والتأريخ، أصولفو باسيلز، ترجمة: مصطفى المنادي، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٥٤- البيان في غريب إعراب القُرآن، ابن الأنباري: عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد أبو البركات النحوي(ت٥٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٥٥- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٥م.

٥٦- التحرير والتنوير، ابن عاشور: محمد الطاهر (ت١٣٩٤هـ)، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤م.

٥٧- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٥٨- التحويل في النحو العربي، مفهومهُ، أنواعه، صورهُ، البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، الدكتور رابح بومعزة، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٩- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، غريب القرآن الكريم، ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٦٠- التراكيب الإعلامية في اللغة العربية. الدكتورة حنان إسماعيل عمايرة، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٦١- التركيب والدلالة والسياق، دراسات تطبيقية. الدكتور محمد أحمد خضير. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦٢- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك: أبو عبد الله محمد جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، المطبعة الميرية الكائنة، مكة المكرمة، ط١، ١٣١٩هـ.

٦٣- تصريف الملا علي، الأشنوي: علي بن الشيخ حامد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٤- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت ط١٧، ٢٠٠٤م.

٦٥- التصوير الفني في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، الدكتور جبير صالح حمادي، مؤسسة المختار،القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٦- التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمَّار، عمان، ط٥، ٢٠٠٧م.

٦٧- التعريفات. الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي، المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ)، دار الشؤن الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، د.ت.

٦٨- التعريف بالتصريف، الدكتور على أبو المكارم، مؤسسة المختار،القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٩- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائِشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارِف، القاهِرة، ط٧، ١٩٧٧م.
٧٠- تفسير الشعراوي، خواطِر فضيلة الشيخ حولَ القرآن الكريم، الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، ١٩٩١م.
٧١- تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الناشر الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٧٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٠هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.
٧٣- التفسير الكبير، (مفاتيح الغيب)، الرازي: محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٧٤- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الأعلام والتكميل، أبو عبد الله محمد بن علي البدنسي (ت٧٨٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٧٥- تفسير المنار، محمد عبده، دار المنار، القاهرة، ط٣، ١٣٦٧هـ.
٧٦- التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، الدكتور سامي محمد عبابنة، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
٧٧- تقارض الألفاظ في الدلالة والإعراب، الجميلي: سندس محمد خلف، ديوان الوقف السني ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.
٧٨- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، الدكتور عز الدين محمد أمين الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
٧٩- تهذيب اللغة، الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت.
٨٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٨١- الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٨٢- جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، الدكتور مهدي أسعد عرار، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.

٨٣- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية، للنشر لونجمان، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.

٨٤- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانهِ مع فوائد نحوية هامة، تصنيف: محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ومؤسسة الإيمان، بيروت، ط٣، ١٩٩٥م.

٨٥- الجملة العربية، الدكتور أبو علي المكارم، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٨٦- الجملة العربية والمعنى، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٢، ٢٠٠٩م.

٨٧- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: بدر الدين بن حسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٨٨- جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، علق عليهِ ودققهُ: سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٨٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد (ت٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوَّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٩٠- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الشيخ محمد الخضري، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٩١- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد، الصبان: محمد بن علي (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

٩٢- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي (ت٩٥١هـ)، ضبط وتحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٩٣- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي الهرري العلوي الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٩٤- الحدود في النحو ومنازل الحروف، الرماني: أبو الحسن بن عيسى ابن علي(ت٣٨٤هـ).

٩٥- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، دراسة، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
٩٦- حروف المعاني، الزجاج: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ودار الأمل، إربد، د.ت.
٩٧- الحروف والأدوات تأثيرها على الأسماءِ والأفعال، محمد حسين العزة، دار عالم الثقافة، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
٩٨- الخصائص، ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.
٩٩- خصائص الأسلوب في الشوقيات، الطرابلسي: محمد الهادي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م.
١٠٠- خصائص التعبير القرآني وسماتُهُ البلاغية، الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
١٠١- الخلاف التصريفي وأثرُهُ الدلالي في القرآن، فريد بن عبد العزيز الزامل السُّليم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٠٢- دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٤، ٢٠٠٦م.
١٠٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، سمين الحلبي: أحمد بن يوسف (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، د.ت.
١٠٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
١٠٥- دروس في النظام الصوتي للغة العربية، الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، ١٤٢٨هـ.
١٠٦- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٠٧- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، الدكتور محمد أبو موسى، القاهِرة، ط١١، ١٩٧٩م.
١٠٨- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم. الجبوري: الدكتور نافع علوان بهلول، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.
١٠٩- الدلالة السياقية عند اللغويين، الأستاذة الدكتورة عواطف كنوش المصطفى، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٧م.

١١٠– الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، الدكتور سافي الماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١١١– دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم.

١١٢– دور الحرف في أداء معنى الجملة، الصادق خليفة راشد، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ١٩٩٦م.

١١٣– دور الكلمة في اللغة، ستيفن أُولمان، ترجمة: الدكتور كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط١٠، ١٩٨٦م.

١١٤– رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي: أحمد بن عبد النور (ت٧٠٢هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٢م.

١١٥– روائع البيان في إعجاز القرآن، الدكتور محمد سالم محيسن، دار محيسن، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

١١٦– روح البيان، البرسوي: إسماعيل حقي (ت١١٣٧هـ)، در سعادت مطابقة عثمانية، استنبول، ١٩٢٦م.

١١٧– روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، نشر وتصحيح: السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١١٨– زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.

١١٩– الزمن النحوي في اللغة العربية. الدكتور كمال رشيد، دار عالم الثقافة، عمان، ٢٠٠٨.

١٢٠– سر الفصاحة، الخفاجي: أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي(ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٢١– سنن الترمذي، الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٢٢– سنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير. الأُستاذ الدكتور خليل بنيان حسون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

١٢٣– الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب: جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني النحوي (ت٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ودار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١٢٤– شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي (ت ١٩٣١م= ١٣٥١هـ)، تحقيق: الدكتور يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٢٥– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٢٦–شرح التسهيل، الطائي الجياني: جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، هجر، القاهِرة، ط١، ١٩٩٠م.

١٢٧–شرح التصريح على التوضيح، الأزهري: خالد بن عبد الله (ت٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٢٨–شرح جمل الزجاجي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الأشبيلي (ت٦٠٩هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتورة سلوى محمد عمر عمر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٢٩– شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.

١٣٠– شرح شافية ابن الحاجب في علم الصرف، الأستراباذي: أبو الفضائل ركن الدين الحسن (ت٧١٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٣١– شرح شذور الذهب، الجوجري: محمد بن عبد المنعم (ت٨٨٩هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور نوَّاف بن جزاء الحارثي، الجامعة الإسلامية فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ط١، ٢٠٠٤م.

١٣٢– شرح قطر الندى وبلَّ الصدى، ابن هشام الأنصاري: أبو عبد الله جمال الدين (ت٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٣٣–شرح الكافية الشافية، ابن مالِك الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٢م.

١٣٤– شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي النحوي (ت٦٤٣هـ)، تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٣٥–شرح الوافية نظم الكافية، ابن الحاجب النحوي: أبو عمرو عثمان (ت٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور موسى بنَّايي علوان العليلي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٨٠م.

١٣٦–الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، علق عليه ووضع حواشيهِ: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٣٧- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

١٣٨- صحيحُ مسلِم، النيسابوري: مُسلِم بن حجاج أبو حسين القُشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٣٩-الصرف الواضح، عبد الجبار علوان النايلة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

١٤٠- صفوة التفاسير، الصابوني: محمد علي، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٤١- الطراز المتضمنِ لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٠٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤٢- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدكتور صلاح الدين زرال، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

١٤٣-علم الأصوات، الدكتور كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٤٤-علم الدلالة أصولهُ ومباحثُـهُ في التراث العربي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: ٢٠٠١م.

١٤٥-علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، الأُستاذ الدكتور هادي نهر، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١٤٦-علم الدلالة، الفصلان التاسع والعاشر من كتاب مقدمة في علم اللغة النظري ، جون لاينز. ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.

١٤٧-علم اللغة الاجتماعي، دكتور هدسن، ترجمة: الدكتور محمود عبد الغني عياد، مراجعة: الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.

١٤٨-علم اللغة العام، دي سوسور: فردينان، ترجمة: الدكتور يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: الدكتور مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

١٤٩- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

١٥٠- علم النفس الإسلامي، معروف زريق، دار المعرفة، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

١٥١- علم النفس اللغوي، الدكتورة نوال محمد عطية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٧٥م.

١٥٢–عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، الدكتور صائل رشدي شديد، المكتبة الأهلية، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٥٣–فتح القدير الجامع بين فتي الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، صنعاء، د.ت.

١٥٤– في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٦، ٢٠٠٧م.

١٥٥– في النحو العربي، نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٥٦–في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. الدكتور خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة، بيروت، د.ت.

١٥٧–قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الدامغاني: أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

١٥٨–القاموس المحيط. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب محمد بن إبراهيم (ت٧١٨هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

١٥٩–القرآن وعلم النفس، الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ٢٠٠١م.

١٦٠– الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، الدكتور عيسى علي العاكوب، والأستاذ علي سعد الشتيوي، منشورات الجامعة المفتوحة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

١٦١–كتاب الإعراب محاولة جديدة لإكتناه الظاهرة، أحمد حاطوم، شركة المطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

١٦٢–الكتاب، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٦٣–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححهُ: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.

١٦٤–الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ)، أعدَّه للطبع ووضع فهارسهُ: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

١٦٥–لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي (ت٧٢٥هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، د.ت.

١٦٦- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري: محبّ الدين عبد الله بن الحسين البغدادي (ت٦١٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦٧- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٦٨- لسان العرب، ابن منظور: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة (ت٧١١هـ)، تحقيق: الأستاذ عبد الله علي الكبير، والأستاذ محمد أحمد حسب الله، والأستاذ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٦٩-اللسانيات الاجتماعية عند العرب، الدكتور هادي نهر، دار الأمل، إربد، ط١، ١٩٩٨م.

١٧٠- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاتهِ، الدكتور حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

١٧١-اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج، الأستاذ الدكتور سمير شريف أستيتية، عالم الكتب الحديث، إربد، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، ط٢، ٢٠٠٨م.

١٧٢-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٧٣- اللغة بين العقل والمغامرة، الدكتور مصطفى مندور، الاسكندرية، ١٩٧٤م.

١٧٤-اللغة العربية معناها ومبناها. الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

١٧٥-اللغة والدلالة، دراسة: عدنان بن ذريل، مراجعة وتقديم: حسن حميد، دار مجد لاوي، عمان، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٧٦- اللغة والدلالة، معجم في اللغة العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية مع نماذج تطبيقية وفق المنهجية الجديدة. الدكتور يوسف مارون، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٧٧- اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة، الدكتور موفق الحمداني، المكتبة الوطنية، بغداد، ومطابع مديرية دار الكتب، الموصل، ١٩٨٢م.

١٧٨- لمحات نفسية في القرآن الكريم، الدكتور عبد الحميد محمد الهاشمي، دعوة الحق، ١٤٠٢هـ، سلسلة شهرية، العدد (١١).

١٧٩-المبدع في التصريف، أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد السيد طلب، دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.

١٨٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ضياء الدين (ت٦٣٧هـ)، قدَّمهُ وعلق عليهِ: الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة، القاهرة، د.ت.

١٨١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيَّة: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، تحقيق: الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق العناني، دار الخير، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٨٢- مختار الصحاح، الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.

١٨٣- المخصص، ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٨٤- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

١٨٥- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

١٨٦- المُزهِر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (ت٩١١هـ)، شرح وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٩م.

١٨٧- مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، الدكتور أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

١٨٨- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.

١٨٩- المشترك اللفظي في اللغة العربية، الدكتور عبد الكريم شديد محمد، ديوان الوقف السني مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٧م.

١٩٠- المشتقات العاملة في الدرس النحوي، الدكتور عصام مصطفى آل عبد الواحد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٩١- مشكل إعراب القرآن، القيسي: أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٩٢- معالم التنزيل، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة خميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.

١٩٣–معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشرهِ، ط١، ١٩٨١م.

١٩٤–معاني القرآن، الأخفش الأوسط: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١٩٥–معاني القرآن، الفرَّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب/ بيروت، ط٣: ١٩٨٣م.

١٩٦–معاني القرآن الكريم، النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٨م.

١٩٧–معاني القرآن، الكسائي: علي بن حمزة (ت١٨٩هـ)، تقديم: الدكتور عيسى شحاتة عيسى، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٩٨–معاني القرآن وإعرابه، المسمى: المختصر في إعراب القرآن ومعانيهِ، الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي (ت٣١١هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد فتحي عبد الرحمن، قدَّم لهُ: الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ٢٠٠٧م.

١٩٩–معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٢، ٢٠٠٣م.

٢٠٠– معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ضبطه وصححهُ: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٠١– المعجم الكبير، الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، موصل، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٠٢– المعجم الوسيط. إخراج: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار. المكتبة الإسلامية، تركيا، د.ت.

٢٠٣– المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، الأستاذ الدكتور عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٠٤– المعجم وعلم الدلالة، الدكتور سالم سليمان الخمَّاش، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

٢٠٥– معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد،١٩٨٣م.

٢٠٦–معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٠٧–المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، الدكتور محمد محمد يونس علي، دار المدى الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٠٨–مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، دار التراث العربي، الكويت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٠٩– مفتاح العلوم، السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١٠– المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٢١١– مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، مراجعة وتعليق: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢١٢–المقتضب، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢١٣–مقدمة لدراسة فقه اللغة ، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦م.

٢١٤–مقومات الجملة العربية، الدكتور علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢١٥–ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي (ت٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد الفلاَّح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

٢١٦–الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢١٧–من أسرار البيان القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٢، ٢٠١٠م.

٢١٨–من أسرار النظم القرآني، آيات وعِبَر، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله السعادة، مكتبة مبارك العامة، القاهرة، د.ت.

٢١٩–من بلاغة القرآن، الدكتور أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٢٠– منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

٢٢١- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٢٢- من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي. الدكتور أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٢٣- نحو الفعل، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٤م.

٢٢٤- نحو المعاني. الدكتور أحمد عبدالستار الجواري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.

٢٢٥- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، الدكتور أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٢٢٦- النحو الوافي، عباس حسن، الناشر آوند دانش، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٢٧- النحو والدلالة، مدخل لِدراسة المعنى النحوي- الدلالي، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٢٨- النداء في اللغة والقرآن، الدكتور أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

٢٢٩- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٣٠- نظرية المعنى في الدراسات النحوية، الأستاذ الدكتور كريم ناصح الخالدي، مكتبة المجتمع العربي، ودار صفاء، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٣١- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ)، عرض وتحقيق وتعليق: الدكتور نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٣٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٣٣- هموم المرأة، تحليل شامل لمشاكل المرأة النفسية، الدكتور مرفت عبد الناصر، مكتبة مدبولي، ومطابع ستار برس، القاهرة، د.ت.

هەرێمی کوردستانی– عێراق
وەزارەتی خوێندنی باڵا وليكۆڵينەوەی زانستی
زانكۆی سەلاحەددین – هەولێر

تایبەت مەندییەکانی پێغەمبەرانی خۆراگر (ئولو لعەزم) لە قورئانی پیرۆزدا و وەسفەکانیان لێکۆڵینەوە لە ئاماژە پێکهاتەکان-

نامەیەکە

پێشکەش بە ئە نجوومەنی کۆلێژی زمان لە زانکۆی سەلاحەددین – هەولێر کراوە

کە بەشێکە لە پێداویستییەکانی وەرگرتنی پلەی ماستەر لە زمانی عەرەبیدا

لەلایەن

سەردار ئەحمەد قادر - بەکالۆریۆس لە زمانی عەرەبی – زانکۆی سەلاحەددین - ٢٠٠٤

بەسەرپەرشتی

پرۆفیسۆر دکتۆر عزە ددین مەحەممەد ئەمین سلێمان

نەورۆز ٢٧١٠ کوردی　　جومادەلئولا ١٤٢٣ کۆچی　　ئازار ٢٠١١ زایینی

پوختە

سوپاس و ستایش بۆ خودای پەروەردگاری هەموو جیهانیان، دروود و سڵاو لەسەر پێغەمبەری نازدار وە لەسەر کەس و هاوەڵان و شوێنکەوتووانی بەتێکڕا، لەپاشان:

تۆێژینەوە لە بواری لێکۆڵینەوەی قورئاندا بۆی هەیە پشت بە بەرنامەو پەیڕەوێکی شیکاری سەنگین ببەستێت وڕاستییەکان ببات‌ەوە سەر ڕیشەی خۆیان، چونکە لێکۆڵینەوە لە بواری قورئاندا فراوانترین ڕووبەر وشێواز دەگرێتەوە. بێگومان ئەو زانیاریانەی لە زمانی عەرەبیدا خزمەتی قورئانی پیرۆز وپەرجووەکانیان کردووە کۆتاییان نایات، ئەوەندە هەیە دەتوانین بڵێین: ئەم زانست وزانیاریانەی – لەوەتەی خودا قورئانی بۆ پێغەمبەر ناردووە، تا ڕۆژی ئەمڕۆ – جگە لە بەشێکی کەمی نهێنییەکانی لێکۆڵیینەوەیەکی ئەوتۆی لەسەر نەکراوە بە تایبەتی لەڕووی هونەری ئاخاوتن وتایبەتمەندی باڵایی شێواز وپەرجووی پێکهاتەکان ودید گای هزری نوێ بە جۆرێ لەگەڵ گۆڕان وگەشەکردنی بیری مرۆڤ بە درێژایی ڕۆژگار وسەردەمەکان بگونجێت. بۆیە بەردەوام زانایان ولێکۆڵەرەوانان سەرەڕای هەمە چەشنەیی لایەنەکانی زۆر هەڵوەستەی لەسەر دەکەن ولەواتاکانی ڕادەمێنن وچێژ لە شێوازەکانی دەبینن ونایابی وباڵایی چنینی ئایەتەکانی وباڵا دەستی لە پێکهاتەکانی وبەرزی واتا وئاماژە مەبەستەکانی سەرنجیان ڕادەکێشێت.

لە چوارچێوەی ئەوەی باسمان کرد بابەتی (تایبەت مەندیەکانی پێغەمبەرانی خۆڕاگر لە قورئانی پیرۆزدا و وەسفەکانیان/ لێکۆڵینەوە لە ئاماژە پێکهاتەکان) مان بۆ تێزەکەمان هەڵبژار بۆ وەدەست هێنانی ماستەر لە زمانی عەرەبیدا، تا لایەنێك لە لایەنە زۆرەکانی قورئانی پیرۆز پیشان بدەین، کە چاوەڕوانی لێکۆڵینەوەیە. بە پێی پەیڕەوکردنی زمانێکی شیکاری ئەم پێکهاتانە لە چوار چێوەی شێواز وڕۆنانی خۆیاندا. هەروەها ویستمان لەم کارەماندا لە چوار چێوەی قورئاندا کارەکە فراوان وچالاك بکەین. ئەو پێکهاتە هێماییانە بکەینە ڕوانگەیەك بۆ وەسفی وردی پێغەمبەر وپەیامبەرانی بڕوا بەخۆ بوو وبەمشوور لە دەقەکانی ئایەتەکان، تا ئەو لایەنە یارمەتیدەرانە بدۆزینەوە کە یارمەتیمان دەدەن بەلایەنی پەیوەندیدار بەم بابەتەو هەڵێنجان ووەرگرتنی هەموو مەبەست وهێما قورئانییەکان بە هەموو ڕەهەند وشێوازەکانییەوە. هەموو ئەوانەی وتمان شتێك نین سەرەتاکەی لە ئێمەوە دەست پێبکات، بەڵکو پشتمان بەو لێکۆڵینەوە قورئانییە زۆرانە بەستووە کە زانایانی زمان ولێکۆڵەران ولێکدەرەوەکان بۆیان جێ هێشتووین ودەرگای بیرکردنەوەیان بۆ کردووینەتەوە، هەروەها دەروازەیەکیان بۆ والا کردووین تا لە وێوە بڕوانینە هەموو لایەکی دەقی قورئان، ئەمە سەرەڕای تۆێژەرە هاو چەرخەکان کە بیرۆکەو وێناو سەرنجیان لەسەر لێکۆڵینەوەی قورئان پێ بەخشیویین وزۆر سوودمان لێ وەرگرتوون. لێکۆڵینەوەکە وای خواست کە لە دەروازەیەك و پێنج بەش وپوختەیەك پێك بێت. وامان بەباش زانی کە دەروازەکە بەناونیشانی (دەروازەیەکی پێناسە ئاسا بۆ پێکهاتە

ئاماژەییەکان دەربارەی وەسف) بێت، چونکە نەمان ویست لە سروشتی تیۆری پتر بێت بۆ لێکۆڵینەوەی زمان وپێکهاتەی ئاماژەیی دەربارەی وەسف لە ڕووی ئەو وردەکارییانەی کە پەیوەستە بە شێواز وڕێژەی جۆر بەجۆرەوە. هەروەها ئەرکە وەسفییەکانی کە پشت بە ئەستوونی (یەکەی یامەتیدەر) دەبەستێت، کە دەرهاویشتەی جوولەی ڕەگەزە زمانییەکانە وهاوبەشی پێکهاتە کەیەتی تا هەر پێنج بەشەکەی بەپێی دابەش کردنێکی پێنجییەنە بەدوادابێت وبەگوێرەی ژمارەی پەیامبەرانی خودان باوەڕ وباوەڕ بەخۆ بوو ببێت وبەگوێرەی ریزبەندی پێشینەی کۆن وتازە پۆلێن بکرێن، ئاوهاش ئەم بەشانەمان بەم ناونیشانانە ڕێك خستووە:

- بەشی یەکەم: پێکهاتە هێماییەکان لە وەسفی سەروەرمان نوح (سڵاوی خودای لێ بێت).
- بەشی دووەم: پێکهاتە هێماییەکان لە وەسفی سەروەرمان ئیبراهیم (سڵاوی خودای لێ بێت).
- بەشی سێیەم: پێکهاتە هێماییەکان لە وەسفی سەروەرمان موسا (سڵاوی خودای لێ بێت).
- بەشی چوارەم: پێکهاتە هێماییەکان لە وەسفی سەروەرمان عیسا (سڵاوی خودای لێ بێت).
- بەشی پێنجەم: پێکهاتە هێماییەکان لە وەسفی سەروەرمان محمد (دروودی خودای لە سەر بێت).

لەم پێنج بەشەدا هەوڵمان داوە لەسەر ئەو پێکهاتە وەسفییانە دەربارەی پەیامبەرانی خاوەن بڕوا وبەمشوور بووەستین بەگوێرەی گروپ وقوتابخانە ڕێزمانییەکان، هەروەها بە هێنانەوەی ئایەتەکەی پێشوو دەستمان بەلێکۆڵینەوەکە کرد واتا پێش ئەو ئایەتەی کەدوای ئەو هاتووە وپێکهاتە وەسفییەکە لە خۆ دەگرێت. ئێمە دەربارەی هەموو ئەوانەی وتمان لافی بێ کەموکوڕی لێ نادەین، چونکە تەنها خودا بێ کەموکوڕییە، لەگەڵ ئەوەشدا دەڵێین: ئێمە بۆ خزمەت کردنی قورئانی پیرۆز لەم لێکۆڵینەوەیەدا کەم تەرخەمیمان نەکردووە ودوا پاڕانەوەمان هەر ئەوەیە کە سوپاسی خودای زەوی وئاسمانەکان دەکەین.

Kurdistan Region- Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Salahaddin University- Erbil

The Properties an Initial Determination of the Apostles (Aulu Al-Azm) in the Holy Qur'an and the Description Study in the Significane of Synthetic.

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Languages University of Salahaddin – Erbil, in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Languages.

By

Sardar Ahmad Khder – B.A. 2004 Salahaddin University

Supervised By

Prof. Dr. Izaddin Muhamad Amin Sleman.

March 2011 A.D. Jumada Al-Aula 1432 Al- H. Nawroz 2711 K.

ABSTRACT

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon our master Muhammad, the Seal of the Prophets and Messengers, and his family and good and pure, and those who followed them in truth until the Day of Judgement After: entitled to a researcher in the field of Quranic studies to adopt the approach an analytical counterweight to seek the facts from the root, studies Quranic broader study area and ways, is no doubt that science and knowledge in the Arabic service of the Holy Quran, which does not expire wonders, and suffice it to say: This is science - since the descent of the Holy Quran to the present day - has not been studied, only the little secrets, the container of the Arts say , and for its unique methods and prodigious structures, and visions of a renewed intellectual developments of the consensus of thought of human beings over time periods Walker. So scientists and researchers will remain prolonging stand between his hands, and go through the consideration of the remarkable aspects of light on the variety, reflect on its meanings, and tasting techniques, and the Icetknhon what it includes verses of the masterpieces of systems, and strange compositions, and high-meanings and connotations and purposes.

In the context of what we have chosen the theme: ((The properties an initial determination of the Apostles(Aulu Al-Azm)

in the Holy Qur'an and the description\ study in the significane of synthetic.)) to be our mission to get at master's degree in Arabic language, and to show some of the many aspects in the Holy Quran waiting for the study, and we will conduct it at the guidance method of linguistic analysis of these structures within the contexts, and we want our work that is active in the Chamber Quranic very active, monitor the structures function to describe an initial determination of the Apostles in the texts of IP carefully and patiently to find between us at issues are the subject, and the absorption of nominally stylistic all purposes and meaning, the Qur'an. We are all what we said did not proceed to start from ourselves, but from the Quranic Studies massive made by linguists and grammarians and commentators, who fought us ideas, and gave us the entrances of the new in the text of his destination, as well as caused by the Students of the Qur'an

contemporaries of ideas and perceptions and observations informed us good benefits.

The necessary research to be in the boot of five chapters and a conclusion, and we saw that the boot titled: ((the entrance to the definitions of composition indicative of description)), because we did not want to be more than thalamus theoretical nature of our understanding of the study of language and structure indicative of the description in terms of fractions of formulas different, and functions of metadata based on the ranked ((referenced unit)) for generating dynamic linguistic elements of the problem comes after the installation of five chapters according to the number of five-division preliminary determination of the Apostles, in order of seniority, these chapters Vensagna Banwanat (Uloolazm) the following:

- Chapter 1: Description of the structures function on the Prophet Noah (peace be upon him)
- Chapter 2: Structure function description of Prophet Ibrahim peace be upon him
- Chapter 3: Structure function on the description of Moses (peace be upon him)
- Chapter 4: Compositions function to describe Jesus (peace be upon him(
- Chapter 5: Structure function description of Prophet Muhammad peace be upon him)

We have tried in these chapters of the five monitoring structures descriptor for an initial determination of the Apostles, broken down by grammatical factions, and we studied the incorporation of the remembrance of the previous verse to go before the subsequent verse, which included the installation descriptor. We are all in what we do not claim perfection, you stop to God alone, but we say: We did not fail in this study in the service of the Holy Quran. The last worship is praise be to Allah, Lord of the Worlds.

Researcher
Sardar Ahmed 6/3/2011